المقدم عبدالحميد حسين

الفتح الإسلامي

في العراق والجزيرة

١٩٥٨ ـ ١٩٦١

ساعدت وزارة المعارف على نشره

مطبعة شفيق ـ بغداد

المقدم عبدالحميد حسين

الفتح الإسلامي

في العراق والجزيرة

١٩٥٨ ـ ١٩٦١

ساعدت وزارة المعارف على نشره

مطبعة شفيق ـ بغداد

كلمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

ترث الامم عن اجيالها السالفة مفاخر تدفع الابناء الى البناء الحسن ، لتضمن لاجيالها القابلة عيشا يتناسب مع مكانتهم بين امم الارض التى تتنافس فى العصر الحاضر فى تأمينه ٠

وقد ورث أبناء الامة العربية عامة وأبناء العراق خاصة صفحات تاريخية يفتخر بها ومجدا غابرا يدفعنا الى العمل لاستعادته ، ودروسا فى التضحيـة ونكران الذات تنير لنا السبيل لبناء مستقبل افضل ، وتوحى الينا باننا لا نقـل كفاءة عن الامم الاخرى التى سبقتنا فى مضمار التقدم ، « ان لم نكن نتفـوق عليهـا » ٠

ومن هذه الصفحات المشرفة معارك تحرير العراق من الحكم الفارسـى فى صدر العصر الاسلامى الاول الذى تمكن بها العرب من تدمير اعظم قوة فى شرقى الارض فى ذلك العصر (بعد ان تمكنوا من تدمير اقوى دولة فى سورية) وخاصة في معركة القادسية الفاصلة فى معارك التحرير هذه ٠

ونظرا لاهمية هذه المعركة وعدم دراسة منطقة القتال دراسة علمية صحيحة مبنية على تسلسل الحوادث ، فقد قمت بزيارة الارض بنفسى عدة مرات ، الامر الذى ساعدنى على الاطلاع على تفاصيل الارض ـ بالرغم من التبـدل الذى جرى عليها فى هذه الفترة الطويلة ، ـ فثبت مواقعها بالنسبة للدراسـة التى تهيأت لى ، وافردت بحثا خاصا فى تحقيق موقع القادسية كما تجولت فى باقى اقسام العراق مسترشدا بما تيسر لى من المراجع التاريخية والجغرافيـة فتمكنت من تثبيت المواقع على أقرب ما تكون من الصحة ٠

ولما كنت قد اصدرت كتابى (القائد الخالد ــ خالد بن الوليد ــ فى سنة ١٩٥٥) وفى هذا الكتاب مفصل المعارك التى خاضها الجيش العربى فى تحرير العراق بقيادة هذا القائد العربى الكبير حتي نقل الى الشام فلم ار لزوما لتكرارها فى هذا الكتاب ، انما اكتفيت بذكر موجزها وابتدأت بمعارك المثنى بن حارثة الشيبانى وبامكان من يريد الاستزادة مراجعة ذلك الكتاب •

ولا يسعنى قبل ان انهى كلمتى هذه الا ان اقدم جزيل شكرى لجميع الاساتذة والاخوان الذين ساعدونى فى اتمام هذه الدراسة سواء بتشجشمهم عناء السفر والتجوال معى أم بتهيئة المصادر التاريخية والجغرافية ام بارشادهم واعطاء ارائهم صريحة ، ومن الله التوفيق وهو ولى الجزاء •

المؤلف

يتفق الباحثون المحدثون على أن الفتوحات العربية الاسلامية كانت مثالا فذا في التعبئة وسرعة التفوق وسعة النطاق الجغرافي .

ولكنهم يختلفون في تحليلها ، بين من ينسبها الى دوافع مادية ناشئة عن الجفاف التدريجي في الجزيرة العربية لتكون بذلك آخر موجة سامية تدفقت منها ، وبين من يعتبرها ناشئة عن قوة الايمان والدعوة للجهاد . وتمثل الوجهة الاولى رأي جماعة من المستشرقين في حين تمثل الوجهة الثانية نظرة مصادرنا التاريخية العربية .

واذا كنا نخالف الوجهة الاولى لعدم توفر الادلة المادية والتاريخية اللازمة ، فاننا لا نغفل النواحي المادية . ويهمنا أن نذكر أن الاسلام يمثل ثورة كبيرة في حياة العرب وأنه كان القوة المحركة ، أعطى العرب قضية وهيأ لهم راية يحملونها ، ومكن من ايجاد القيادة التي وحدت الصفوف ، وهي أساسية في كل حركة .

وحين ننظر للفاتحين نجد أن عرب المدن ، وخاصة مكة والمدينة ، كانت لهم القيادة وبيدهم التوجيه ، وهم الذين آمنوا بالاسلام وكانوا أبطاله في الردة . أما عامة القوى فكانت من القبائل التي اندفعت الآن ترى في الاسلام قضيتها وتتطلع الى غنى البلاد المفتوحة وربحائها . ومن الطبيعي أن تختلط الدوافع لدى القبائل ، في حين تتركز قوة الايمان لدى الفئة الاولى .

وذهب بعض المستشرقين الى أن العرب لم يقصدوا الفتوح ، بل بدأوا بغارات للنهب ، وأن نجاح هذه الغارات شجعهم على التوغل وانتهى ذلك بالفتوح . وهي نظرة يعوزها التدقيق وفهم طبيعة القوى العربية . ونحن نرى أن الفتوحات العربية مرت بمراحل ثلاثة تكون سلسلة متصلة . فقد كانت المرحلة الاولى الاتجاه الى الاطراف الخصبة للاستطلاع . بدأت في حياة الرسول (ص) واستمرت في خلافة أبي بكر ، وهدفها

ايجاد نقاط على أطراف البلاد المجاورة متصلة خطوط مواصلاتها بالمدينة مباشرة ، وهذه تتمثل بارسال قوات صغيرة الى العراق والشام في آن واحد • ثم تلتها مرحلة توحيد القيادة في كل من الجبهتين وارسال قوات كبيرة ، والتركيز على الاقطار المجاورة حسب قربها الجغرافي وخطورتها الستراتيجية بالنسبة للحجاز والجزيرة والشام ، ثم العراق ثم مصر •

ومما يجلب انتباهنا أن العرب توسعوا مبدئيا الى البلاد التى سبقت اليها هجرات عربية وسامية من قبل • وقد اتخذوا فى هذه البلاد مراكز عسكرية لتكون قواعد للانطلاق الى المرحلة الثالثة ، مثل الكوفة والبصرة في العراق والفسطاط والقيروان في شمال أفريقيا • وكانت المرحلة الثالثة ناشئة عن ضرورة حماية الاراضى العربية الجديدة من الاخطار المحيطة بالوصول الى حدود جغرافية تضمن سلامتها ، وهذا يفسر توسعهم في ايران وما وراء النهر شرقا ، وفى شمال أفريقيا والاندلس غربا ، والنوبة والصحراء الكبرى جنوبا •

وهكذا نرى أن الفتوحات سارت فى خطة مفهومة ، وأنها تعبر عن قوى التوثب التى انطلقت بالدعوة الاسلامية وغمرت الاقطار من سيحون الى البيرنة •

ولن نتطرق الى أسباب نجاح العرب ، ولكننا نبين أن سرعة القوات العربية فى الحركة والمناورة وبراعة القيادة واختيارها مواقع المعارك الحاسمة كالقادسية واليرموك في أماكن تلائمها ستراتيجيا ، وخروج العرب طوعا وايمانهم بأنهم يحملون رسالة تدفعهم الى التضحية جنب ما ينتظرهم من خير ، كل هذه لعبت الدور الاول فى تحقيق تلك الفتوحات •

وقد وضعت بعض الدراسات عن الفتوحات العربية ، كفتوح الشام ومصر وشمال أفريقيا وما وراء النهر ، الا أننا لم نر دراسة تفصيلية لفتح العراق • وهذا ما يجعلنا نرحب بهذه الدراسة بصورة خاصة • ثم أن تلك

الدراسات تنقصها الثقافة العسكرية ، وهي هامة جدا لتوضيح الجانب العسكري وهو قاعدة الموضوع • فترى التحليل والنظرات العسكرية تتخلل هذه الدراسة وتكسبها أهمية ومعنى وتعطى الفتوح حيوية واضحة، وتوضح جوانبها السوقية •

وتتميز هذه الدراسة بميزة أخرى هامة ، وهي أن المؤلف رحمه الله سعى لتحرى المواقع واستقراء سوح المعارك وهي خطوة جريئة بالغة الاهمية فى مثل هذه الدراسة ، قل من يخطوها بين الباحثين الحديثين •

ولولا وشائج قوية كانت تربطنى بالمؤلف طيب الله ثراه لتوسعت فى حديثى عن الكتاب ، ويكفى أن أحيل القارىء الكريم اليه ليرى معى ما فيه من جهد وقيمة •

وقد كان المؤلف رحمه الله شغوفا بالمطالعة دؤوبا على البحث والتتبع، يدفعه ايمان قوى بحق أمته في الحياة الكريمة وأمل بأن تجد فى مآثرها وأمجادها حافزا للبناء والابداع •

وكنت آمل أن يقرأ كتابه مع المقدمة التى كتبتها حين أنجزه عام ١٩٥٩ ، ولكنه أسرع الى جوار ربه وتوارى الكتاب ، حتى أخرجه شقيقه العقيد السيد عبدالمجيد ودعانى لكتابة هذه المقدمة • جزاه الله خيرا عن القراء • والباقيات الصالحات خير عند ربك وأبقى •

عبدالعزيز الدوري

ثبت المصادر

المراجع التاريخية

١ ـ مختلف تفاسير القرآن الكريم
٢ ـ تاريخ بن خلدون
٣ ـ تاريخ الامم والملوك ـ الطبرى
٤ ـ الكامل فى التاريخ
٥ ـ تاريخ اليعقوبى
٦ ـ مروج الذهب ـ المسعودى
٧ ـ فتوح البلدان ـ البلاذرى
٨ ـ النبيه والاشراف ـ اليعقوبى
٩ ـ الطبقات الكبرى ـ بن سعد
١٠ ـ التاريخ الكبير ـ بن عساكر
١١ ـ اسد الغابـــــه
١٢ ـ تاريخ التمدن الاسلامى ـ سيد امير على
١٣ ـ تاريخ العرب ـ حتى
١٤ ـ دستانهاى ايران قديم ـ متمم ايران ـ حسن بيدنيا ـ فارس • طبع طهران

المراجع الجغرافية

١ ـ معجم البلدان ـ الحموى
٢ ـ مسالك الممالك ـ الاصفخرى
٣ ـ مسالك الممالك ـ ابن خرداذبه
٤ ـ صفه جزيرة العرب ـ الهمدانى
٥ ـ من جنة عدن الى عبر الاردن ـ وليم دبلكوبس ـ ترجمة احمــد سوسه
٦ ـ خطط الكوفه ـ ماسنيون ـ ترجمة تقى المصعبى
٧ ـ مراصد الاطلاع فى معرفة الاماكن والبقاع
٨ ـ وادى الفرات ومشروع الحبانية ـ احمد سوسه
٩ ـ بغداد فى عهد الخلافة العباسية ـ ليسترنج • مترجم
١٠ ـ The Middle Euphratis. Mosil.

المراجع الادبية

١ ـ العقد الفريد
٢ ـ البيان والتبين
٣ ـ ابو بكر الصديق ـ هيكل
٤ ـ عمر بن الخطاب ـ هيكل
٥ ـ عبقرية خالد ـ العقاد

الفتح الاسلامى فى العراق

الفصل الاول

أسباب الفتح العربى ، خطة الخلافة العربية فى الفتح ، دار الحركات
مجمل المعارك الاولى (معارك أصحاب الايام) ، موقف
القوات العربيـــة بعد مسير خالد الى الشام
موقف القوات العربية العام ، معارك
المثنى بن حارثة بعد مسير خالد
معركة الجسر ، معركة البويب
غارات المثنى فى العراق

أسباب الفتح العربى

١- شعور العرب بتاريخهم واعتزازهم بحريتهم فقد كان فى اليمن أقوى دول الارض ودام حكمها ٣٠٠٠ عام وقامت فى الحيرة دولة دامت ٤٠٠ عام فى الحكم كانت أقوى دولة فى شمال الجزيرة وضاهت القسطنطينية والمدائن فى الفخامة والابهة ولم يسيطر الفرس عليها حتى سنة ٦٠١م حيث قتل النعمان بن المنذر وبقتله دخلت الحيرة ضمن حكم الفرس المباشر حتى سنة ٦٣٢م حيث حررها خالد بن الوليد

٢- معركة ذى قار بين الفرس والعرب فى العراق اعادت العزة الى نفوس العرب وشعروا ان لهم مقدرة وكفاءة لا تقل عن الفرس والروم *

٣- ايمان العرب بصحة دعوتهم وشعورهم الاسلامى بوجوب نشر العدل والسلام بين الناس وانهم مسؤلين امام الاجيال المقبلة عن تأمين الطمأنينة للشعوب وخاصة فى العراق فاندفعت قواتهم بقيادة خالد ثم بقيادة المثنى فسعد بن أبى وقاص للتحرير .

٤- بعد معارك التوحيد فى الجزيرة (حروب الرده) أصبح لزاما على الامة العربية أن تندفع الى العراق وسورية لتأمين عيش رغيد للاجيال الصاعدة وتخليصها من ضنك العيش الذى هم فيه .

خطة الفتح

كانت الخطة هجومية فى العراق ثم صارت دفاعية وهجومية تجاه سورية وبعد معركة اليرموك فى سورية أصبحت الخطة هجومية فى العراق ووجب على القيادة العربية فى المدينة المنورة أن ترسل القوات اللازمة لتأمين شواطىء الفرات الغربية لتصبح فيها قواعد للجيش العربى لكى يندفع منها الى داخل العراق لتحريره من سيطرة الفرس وخاصة الاحتفاظ بمنطقة الحيرة أمينة وسالمة لانها نصل السهم فى الحركات المقبلة .

---

* سيصدر للمؤلف كتاب يوم ذى قار وفيه نبين أهمية الحيرة وعلاقتها بتاريخ العرب والفرس .

مجمل معارك اصحاب الايام

ما أن انتهت معارك حروب الردة فى الجزيرة العربيـــة ، حتى أمر الخليفة ابو بكر الصديق خالد بن الوليـــد ان يشخص بجيشه الى العراق لتطهيره من قوات الفرس ، كما أمر المثنى بن حارثة الشيبانى ان ينضم الى جيش خالد ، وما ان التحقت قوات المثنى (التى كانت تهاجم العراق) بـــه بالنباج حتى تقدم خالد الى كاظمة فحدثت فيها معركة انتصر فيها خالد على هرمز قائد القوات الفارسية ، وطارد المنسحبين من كاظمـــة وتمكن من أحتلال الابلة وتحريرها من الحـــكم الفارسى ، فبث الحاميات لحمايتهـــا من هجمات الجيش الفارسى غير ان الفرس قدموا جيشا على عجل باتجاه دجلة لطرد الجيش العربى من الابلة[1] ، فالتحقت به فلول جيش هرمز ، فلما سمع خالد بذلك تقدم بجيشه فالتحم الجيشان بمعركة شديدة بموقع المذار انتهت بانتصار العرب على الفرس • وما ان انتهت هذه المعركة حتى علم خالد بان الفرس قدموا رتلين من المدائن الى الفرات يسير احـــــدهما الى الولجة رأسا ويسير الثانى على طريق دجلة ثم يغير اتجاهه الى الولجـــــة لطرد العرب من العراق ، فسار مسرعا الى الولجة والتقى بالقوات الفارسية ودارت بين الجيشين معركة شديدة الوطأة انتصر بها العرب عـــلى الفرس وانسحبت فلولهم باتجـــاه الحيرة والتحق بها بعض القبـــائل العربية الموالية لهم •

اما خالد بن الوليد فقد تقدم بجيشه والتحم بالجيش الفارسى بمعركة هزت شدتها الجيشين المحتربين فانتصر بها العرب وانسحب الفرس باتجاه الحيرة ، فانفتح الطريق للعرب للتقدم نحوها ولم يكن للفرس من القوات الكافية للدفاع عنها سوى حامية الحيرة الفارسية الضعيفة ، ومع ذلك لـــم يترك لها خالد بن الوليد الفرصة فهاجمها وشتت شملها واحتل الحيرة ،

---

(١) راجع خطة الفتح العربى للعراق فى كتاب القـــائد الخالد خالد بن الوليد للمؤلف طبع بغداد ١٩٥٥ •

وبذلك تمكن خالد بن الوليد من انجاز القسم الاول من خطة الخلافة في فتح العراق .

وما ان انتهى خالد من احتلال الحيرة حتى اتاه امر بانقاذ جيش عياض بن غنم المحاصر في دومة الجندل (الجوف) فسار اليه خالد بجيشه وتمكن من فتح الانبار وعين التمر بطريقه لانقاذ عياض .

وبعد انقاذ جيش عياض والقضاء على مقاومة القبائل المعادية واخضاعها الى الحكم العربي الاسلامي عاد الى الحيرة فسار بجيشه شمالا يستبرىء ضفة الفرات اليمنى (الغربية) فتمكن من تطهير هذه الضفة من مقاومات القبائل الموالية للفرس وتدمير الحاميات الفارسية حتى الفراض (حصيبه حاليا) وبذلك اصبح بأمكان خالد ان ينفذ القسم الثاني من خطة الفتح في التقدم الى المدائن للقضاء على الامبراطورية الفارسية في العراق .

وفي هذا الموقف الذي كانت الفرصة مواتية به ، كان موقف القوات العربية في سوريا في غير مصلحة العرب فطلب قادتها النجدة من المدينة المنورة ، فأمر الخليفة خالدا بالسفر الى سوريا بنصف جيشه ، وتسليم قيادة جبهة العراق الى قائدها الاول ـ المثنى بن حارثة الشيباني[٢] .

دار الحركات

كان العراق ساحة الحركات بين العرب والفرس في صدر الاسلام ، فكان هؤلاء يحاولون تحرير سكانه من ظلم السيطرة الفارسية واولاء يسعون للاحتفاظ به ضمن امبراطوريتهم الواسعة التي تمتد من حدود الصين والهند شرقا الى نهر الفرات غربا وفيها قسم كبير من ارمينية ، ومن نهر جيحون وبحر الخزر وبلاد القوقاز شمالا الى البحر الشرقي (خليج البصرة) وبلاد الهند جنوبا [٣] وتشمل على مناطق واسعة يسكنها اقوام مختلفون ، من

(٢) راجع كتاب القائد الخالد ـ خالد بن الوليد ـ للمؤلف الذي صدر في سنة ١٩٥٥ للاطلاع على تفاصيل معارك خالد بن الوليد في العراق .

(٣) راجع خريطة الامبراطورية الساسانية زمن كسرى انوشروان .

جنسيات مختلفة ، وقد قسمت المنطقة الى مقاطعات متعددة(٤) لتسهيل الحكم فيهــــا ٠

وقد خضعت هذه الاقوام للحكم الفارسى عندما كانت الجيوش الفارسية قوية وكسرى الفرس قادرا على توجيه الامور فى الدولة بالنسبة الى مصالح الامبراطورية ٠ غير ان الحال قد تغير فى اواخر عصور هـــذه الدولة التى شاخت ، فلم تعد قواتها بقادرة على تثبيت دعائم الملك المتداعيــة لتفشى الظلم وعدم انتباه رجال الدولة الى مصالح الامبراطورية فى الوقت الذى ظهر فيه العرب وقد نبذوا وراء ظهورهم كل عامل الا مصلحة أمتهم وزالت من بينهم العداوة والبغضاء وآخى الاسلام بينهم فتطلعت عيونهم الى امتلاك العراق وهو على حدود جزيرتهم فخرجوا بموجة قوية لم يعرف الفرس عنها شيئا كمـا تدل على ذلك الحوادث (٥) فارسلوا الحملات لتطهيره وخطوتهم الاولى فى التحرير هى امتلاك السواد (٦) ٠

ويبدأ السواد حيث تنتهى مرتفعات بادية الشام التى تبـــدأ بانخفاض تدريجى ـ من حدود البادية نحو الشرق حتى تصل الى سهول السواد التى يخترقها نهر الفرات من الشمال الى الجنوب فيكون شريان الحياة فى غربيــه وتكثر المدن والمناطق الزراعية على ضفتيه ٠ فيؤمها ابناء القبائل العربية ليمتاروا منها ، ويبيعوا فائض منتوجاتهم الحيوانية الى أهلها ، فلما رأوا غنى هذه المنطقة حاولوا غزوها ، فأخذت الحكومة الفارسية فى وضع حاميات على الطرق المؤدية الى العراق لتمنع القبائل من دخول سهوله الغنية ٠

ولم يكتف الفرس بذلك ، انما جدد سابور ذو الاكتاف النهر البابلى القديم (خندق سابور) والمسمى (كرى سعد) حاليا الذى يبدأ من جنوب

---

(٤) راجع نظام الدولة الساسانية فى فصل معركة القــادسية نفس الكتاب ٠

(٥) راجع محادثات الوفود العربية مع يزدجر الملك ٠ نفس الكتاب ٠

(٦) كان العرب يسعون لامتلاك الهلال الخصيب كلما قويت شوكتهم ٠

هيت (من العقبة الحالية) بمسافة ١٧ كيلومترا مخترقا البادية نحو الجنوب حتى يصب في البحر في خور عبدالله الآن • ووضع عليه المسالح (الحاميات او نقاط الحدود كما نسميها الآن)فكان هذا مانعا للقبائل من ورود السواد والعراق(٧) • واستعانوا ببعض القبائل الموالية لهم وتحالفوا مع المناذرة لتأمين هذه المنطقة ، غير ان هذه المحالفات طرأ عليها بعض الوهن الامر الذي أدى بالفرس الى السيطرة المباشرة على الحيرة بعد مقتل النعمان بن المنذر في سنة ٦٠١ م ، على أن دخول العرب فرادى أو جماعات قد ساعدهم على معرفة المسالك التي تؤدي الى قلب الامبراطورية الفارسية كما عرفوا نقاط الضعف والقوة في الدولة الساسانية •

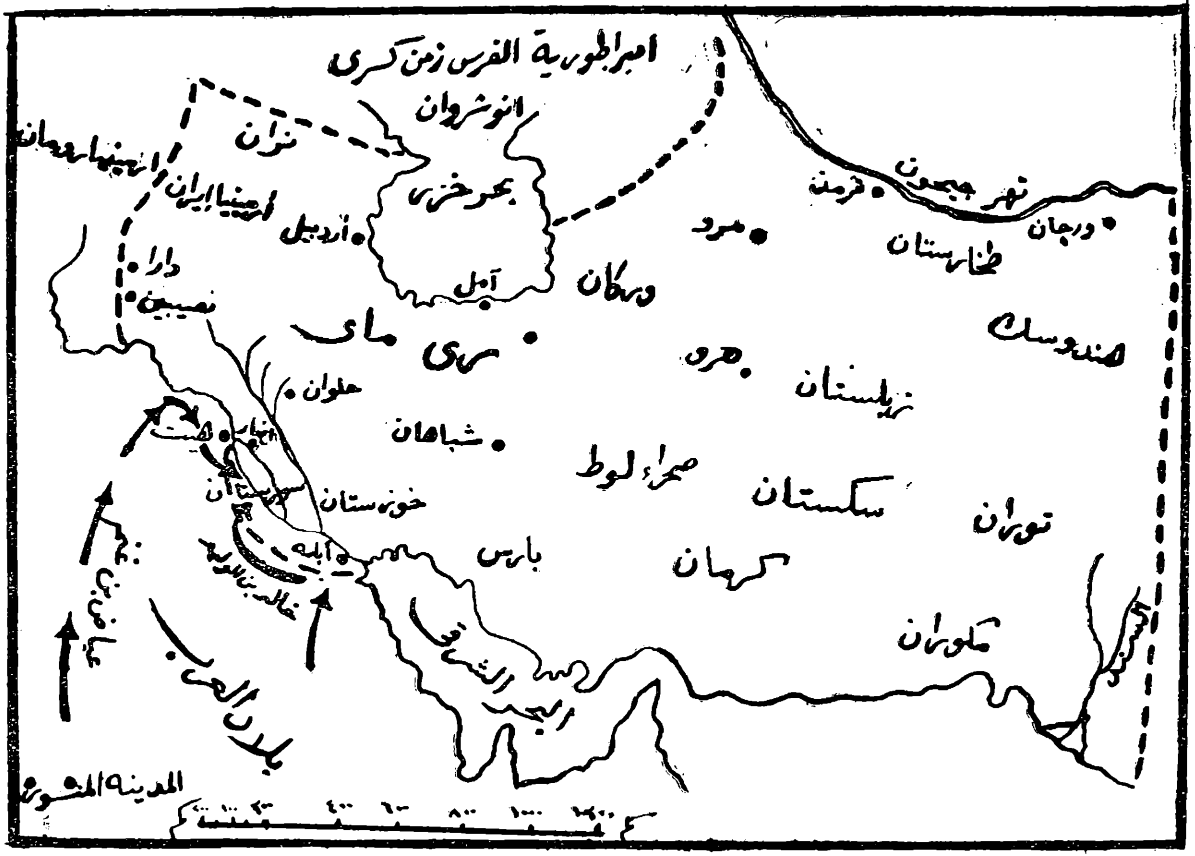
اما في شرق نهر الفرات فقد كانت مجموعة من الانهار تأخذ ماءها من هذا النهر فتسقى المنطقة بينه وبين نهر دجلة وهي المنطقة التي كان البابليون قديما قد فتحوا فيها الانهار لتأمين زراعتها كما تكون خطوط الدفاع عن مملكتهم تجاه هجمات قوات الدول المسيطرة على المناطق الكائنة في شمالهم ، فكانت أبواب جنة عدن التي ورد ذكرها في التورات (٨)وتبدأ هذه الانهار من منطقة الانبار في الزمن الفارسي (وهي منطقة الصقلاوية تقريبا في العراق الحديث التي جددت فيها الحكومة العراقية فتح الانهار منها) وكانت هذه الانهار متعاقبة من الشمال الى الجنوب وبعضها يسير الى الجنوب الشرقي بينما يسير أغلبها الى الشرق •

وقد سيطر الفرس على مياه دجلة والفرات سيطرة تامة فعمر السواد بالزراعة ، حتى انشغل الفرس بالاختلافات فيما بينهم فأهملوا ادامة السدود • وقد حدثت فيضانات كبيرة أزمان قباذ بن فيروز وانبثق في اسافل

---

(٧) راجع كتاب ري الفرات ومشروع الحبانية ـ أحمد سوسه ، وكتاب القائد القالد خالد بن الوليد ـ للمؤلف •

(٨) راجع كتاب من جنة عدن الى عبر الاردن ـ وليم ويلكوس • ترجمة أحمد سوسه •


امبراطورية الفرس زمن كسرى
انوشروان
بحر خزر
اردبيل
دارا
نصيبين
آمل
ماه
مرو
ترمذ
نهر جيحون
طخارستان
زابلستان
حلوان
شباهان
خوزستان
صحراء لوط
سكستان
بارس
كرمان
توران
مكوران
بلاد العرب
المدينة المنورة

كسكر بثق عظيم[٩] فاغفل حتى غلب ماؤه فغرق كثير من ارضين عامرة ، وكان قباذ واهنا قليل التفقد لامره ، فلما ولى كسرى انو شروان امر بردم ذلك الماء فردم بالمسنيات حتى عاد بعض تلك الارضين الى عمارة ، ثم لما كانت السنة التى بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم ارسل عبدالله بن حذافة السهمى الى كسرى ابرويز وهى سنة سبع من الهجرة ويقال سنة ست ، زاد الفرات ودجلة زيادة عظيمة لم ير مثلها قبلها ولا بعدها ، وانبثق بثوق عظام فجهد ابرويز الى ان يسكرها فغلبه الماء ومال الى موضع البطائح فطغى على العمارات والزروع فغرق عدة طساسيج كانت هناك ... ثم دخلت العرب ارض العراق وشغلت الاعاجم بالحروب فكانت البثوق تنفجر فلا يلتفت اليها ويعجز الدهاقين عن سدها ، فانسعت البطيحة [١٠] .

ولما كانت ارض جنوب السواد تنحدر من الشرق الى الغرب لذلك كانت البطائح (الاهوار) على مقربة من الفرات اكثر منها على منطقة دجلة ومن يتجول فى هور الحمار فى العراق الحديث يجد آثار العمارة فى الحافات الغربية منه [١١] وبسبب تكون البطائح انقسمت ارض السواد الى ساحتين جنوبية وشمالية يصعب على قوات الفرس المقاتلة فيهما التعاون فيما بينها لبعد المسافة بين هذه المناطق، وخاصة ان البطائح كانت تبدأ من القادسية الى الولجة ومن هذه تبدأ بطائح اخرى الى الجنوب [١٢] .

ومما يزيد فى صعوبة التعاون هو ان المنطقة التى فى غرب الفرات صحراوية لا تساعد على تحركات قوات المشاة والخيالة لقلة مائها وخاصة

---

(٩) كسكر مقاطعة كبيرة تشمل نوائى الكوت والعمارة فى العراق الحديث .

(١٠) فتوح البلدان ــ البلاذرى ص٢٩٠

(١١) راجع الفرات ومشروع الحبانية ــ أحمد سوسه ، وقد تجولت فى المنطقة عندما كنت منشغلا بتثبيت طريق تقدم خالد بن الوليد فى العراق راجع القائد الخالد ــ خالد بن الوليد ــ للمؤلف

(١٢) بغداد فى عهد الخلافة العباسية ــ لسترنج ــ النسخة الانكليزية .

لقوات لم تتعود ضراوة الصحراء كقوات الفرس ، فساعد ذلك العرب على مهاجمة السواد من منطقة القادسية باتجاه الحيرة ، لان الفرس فقدوا المناورة السوقية تجاه القوات العربية بسبب جغرافية الارض ، ومما زاد فى وهنهم هذا هو انشغالهم فى الاختلافات الداخلية فيما بينهم .

اما بين دجلة والفرات فقد كانت مناطق آهلة ومدن عامرة فى مناطق زراعية كان بالامكان الاستناد عليها فى سوق الجيش ، غير ان الفرس لم يتخذوا التدابير لذلك فهيؤا فرصة للعرب فى مهاجمة العراق وخاصة لأصحاب الايام الذين تمكنوا من التقدم فيها حتى وصلوا الى دجلة وعقدوا محالفات مع السكان بخلاف رغبة القيادة الفارسية فى المدائن، فشعر الاهلون بحسن معاملة العرب وعرفوا عدلهم وتسامحهم ورغبوا فى حكمهم فازداد الخطر على الدولة الفارسية ، فلما انتهت معركة القادسية لم يقم السكان بأية محاولة لعرقلة حكم العرب فى العراق ، الامر الذى ساعد الجيش العربى على التقدم الى جلولاء وخانقين بسهولة . يضاف الى ذلك ان خالد بن الوليد كان قد تمكن من تطهير ضفة الفرات الغربية من الابلة حتى الفراض (١٣) فلم يبق ما يهدد اجنحة الجيش العربى عند الهجوم من منطقة الحيرة (القادسية) .

اما فى شرقى السواد فقد كان نهر دجلة يصب الى دجلة البصرة (الابلة) التى تدعى دجلة العوراء فى انهار متشعبة ومن عمود مجراه الذى كان باقى مائها يجرى فيه وهى كبعض تلك الانهار (١٤) .

ولما كان اتجاه دجلة يعقب اتجاه الغراف حاليا فقد زاد فى انقسام السواد الى ساحتين فتحدد السوق الفارسى باتجاه الحيرة فقط . فاصبح محور الحركات الرئيسى للجيش العربى هو الحيرة ـ المدائن ـ جلولاء ـ خانقين ، وخاصة ان جبال بشتكوه قد قسمت هى الاخرى الساحة فى شرقى

---

(١٣) راجع القائد الخالد ـ خالد بن الوليد ـ للمؤلف
(١٤) فتوح البلدان ـ للبلاذرى ص ٢٩٠

دجلة الى قسمين ايضا وكان المحور المذكور يمر بمنطقة غنية تساعد على تموين القطعات محليا منها .

اما اتجاه الاهواز من الابلة فكان محورا ثانويا لا اهمية سوقية كبيرة له ، ولهذا (كما سنرى) ان الامتين ارسلتا قواتهما باتجاه الحيرة ، هذا عدا ان منطقة الحيرة والقادسية فيها من منابع المياه ما يكفى لجيش عربى كبير يتحشد فيها وهى على حدود البادية التى لايقاتل العرب الا على اقرب حجر منها ليسهل عليهم الانسحاب الى داخلهالتحميهم من عدوهم ان كان النصر له (١٥) .

موقف القوات العربية في العراق بعد مسير خالد :

بعد ان فصل خالد بن الوليد من العراق الى الشام ممتثلا لاوامر الخليفة ابى بكر الصديق ، أقام المثنى بن حارثة الشيبانى الحاميات التى كان قد أقامها خالد وبقى منتظرا وصول أوامر الخليفة اليه لتنفيذ خطة الفتح .

وكان الموقف فى غير مصلحة العرب اذ أن قواتهم انزل موجودها الى النصف ، وان الفرس اتحدوا على رأى واحد وقرروا طرد العرب من العراق ، ولهذا كان لزاما على المثنى أن يتخذ خطة الدفاع وان لا يقبل الاشتباك بأية معركة كبيرة مع العدو سوى بعض الغارات البسيطة التى يستهدف من ورائها رفع معنويات الجند المحارب والحصول على بعض احتياجاته بها .

اما فى جبهة سورية فقد تمكن العرب من الانتصار على البيزنطيين فى اجنادين وتهيؤا لمقاتلتهم فى اليرموك ولا يساعد هذا الموقف القيادة العربية لارسال قوات الى العراق ما لم ينجل الموقف ، وخاصة ان

(١٥) راجع وصية المثنى بن حارثة الى سعد بن ابى وقاص قبيل وفاته ، واوامر الخليفة عمر بن الخطاب الى سعد فى هذا الخصوص فى معركة القادسية نفس الكتاب .

الخليفة لا زال يقاتل بقسم من الامة العربية حيث انه لم يشرك ابناء القبائل التي ارتدت في معارك الفتح هذه مع ان الجزيرة العربية قد توحدت على رأى واحد وزال جميع المخالفين فيها •

اما الفرس فقد اتفقوا على شهر براز بن اردشير بن شهريار ،فولوه الملك بعد ان كانوا منشغلين فيما بينهم بخلافاتهم حول من يتولى الملك ، فوجه هذا هرمز جاذوية في عشرة آلاف مقاتل يسندهم الفيل لمقاتلة العرب وطردهم من العراق • وكتب الى المثنى الكتاب التالى : ـ

من شهر براز الى المثنى بن حارثة : ـ

انى بعثت اليك جندا من وحش اهل فارس ، انما هم رعاة الدجاج والخنازير ولست أقاتلك الا بهم •

فكتب اليه المثنى الكتاب التالى : ـ

من المثنى الى شهر براز

انما أنت أحد رجلين ، اما باغ فذلك شر لك وخير لنا ، وأما كاذب فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله وفى الناس الملوك ، وأما الذى بدا لنا من الرأى ، انكم اضطررتم اليهم ، فالحمد لله الذى رد كيدكم الى رعاة الدجاج والخنازير (١٦) فكان خير جواب على كتاب ملك الفرس التهديدى الذى ارسله الى المثنى ، وهو خير انموذج من الرسائل فى رفع معنوية الجند المقاتل والتأثير على معنوية العدو لاضعافها •

معركة بابل(١٧)

تقدم هرمز جاذوية بقوته من المدائن الى الحيرة ، فلما علم به المثنى جمع مفارزه التى كان قد وزعها فى منطقة السواد وفى منطقة الحيرة ،

---

(١٦) راجع الطبرى ٤ ص ٣٢

(١٧) بابل مدينة قديمة قرب مدينة الحلة وعلى بعد ٩٠ كيلومترا جنوب بغداد وكان طريق الحيرة المدائن ازمان الحكم الفارسى يمر بها •

وكانت هذه القوات قادرة على تدمير هذا العدو ، فاستغل المثنى الفرصة هذه وتقدم الى بابل والتقى بجيش هرمز جاذويه ، واقتتل الجيشان قتالا شديدا ، وكان الفيل يفرق الجند العربى المقاتل ، فحمل المثنى مـــع أناس آخرين على الفيل واعتوروه ثم اصابوا منه مقتلا وقتلوه وعند ذلك ثبتت الكراديس العربية فى القتال واشتدت على العدو ، فلم يقو على الثبات امامها فانهزم من الساحة فأمر المثنى الجند بمطاردته فتعقبه العرب حتى تمكنوا من الوصــول الى المدائن (أقسام المدائن التى فى ضفة دجلة الغربية) •

ولما كانت قوات المثنى غير قادرة على الثبات فى المنطقــة التى وصــلت اليها بسبب قلتها ولاحتياجه الى قوات أخرى لحماية خط مواصلاتها ، كما أن الفرس غير تاركيهم وأنهم لابد وأن يرســلوا قوات أخرى لطردهم من السواد (بين النهرين)لذلك قرر الانسحاب الى منطقة الحيرة ليبقى قويــا وبعيــدا من الاشتباك فى معارك ليست فى مصلحة العرب ، فانسحب بقواته اليهــا •

ولما كانت اخبار الخليفة فى المدينة المنورة قد ابطأت عليه لــذلك قرر الذهاب الى مقر الخلافة للتفـــاوض مع الخليفة حول الوضع الذى هو به للحصول على النجدات اللازمة للفتح ، فخلف مكانه بشير بن الخصاصيـــة على قيادة الجيش كما عين سعيد بن مرة العجلى على المســالح (الحاميــات العربية) واتجه الى المدينة •

المثنى فى المدينة المنورة :

عندما وصل المثنى بن حارثة الشيبانى الى المدينة وجد الخليفة أبا بكر الصديق مريضا ، وبعد أن تذاكر معه حول الوضـــع العســكرى العــام ، ووضع القوات العربية فى العراق ، اســـتدعى الخليفة عمر بن الخطاب ، وأمره ان يندب الناس لينجد المثنى وأن يرد أهل العراق الذين ذهبــوا مع خالد بن الوليد الى الشــام لنجدة القوات العربية هنــاك ، الى العراق لانهم

أهل الضراوة فى الفرس والجرأة عليهم [١٨] ، وتوفى الخليفة الصديق فى سنة ١٣هـ ليلة الثلاثاء لثماني ليالى بقين من جمادى الآخرة ، وكانت مدة حكمه ، سنتان واربعة اشهر الا اربع ليالى وهو ابن ٦٣ سنة • وقد كانت القوات العربية قد سيطرت على ضفة الفرات الغربية كما أنها كانت تمخر فى السواد وغاراتها مستمرة على المدن والقرى الفارسية ونهر دجلة حاجزا بينها وبين قوات فارس •

وبعد أن تولى عمر بن الخطاب أمر المسلمين فى المدينة ، ندب الناس لمدة ثلاثة أيام لفتح فارس فلم يجب أحد النداء ، لانهم كانوا يخافون فارس لشدة سلطانها وشوكتها ، وعزة أهلها وقهرهم الامم ، ايام كان العرب متفرقين ولا جامع يجمعهم ، ولا راية تظلهم •

فلما رآى المثنى عدم جرأة الناس قام فيهم خطيبا فقال : – « أيها الناس ، لا يعظم عليكم هذا الوجه [١٩] ، فاننا قد تبجبجنا ريف فارس وغلبناهم على شقى السواد ، وشاطرناهم ، ونلنا منهم ، واجترأ من قبلنا عليهم ، ولها ان شاء الله ما بعدها » •

ثم قام عمر بن الخطاب (ض) فى الناس فقال : ـ « ان الحجاز ليس لكم بدار الا على النجعة ، ولا يقوى عليه أهله الا بذلك ، أين الطراء المهاجرون عن موعود الله ؟ سيروا فى الارض التى وعدكم الله أن يورثكم أياها[٢٠] فانه قال ليظهره على الدين كله ، والله مظهر دينه ، ومعز ناصره ، ومولى أهله مواريث الامم ، أين عباد الله الصالحون ؟

وبعد خطبتى المثنى وعمر بن الخطاب شعر الناس بواجبهم تجاه الله وتجاه الاجيال القابلة لتأمين عيش كريم لها ، فلبوا النداء ، وكان أول

---

(١٨) اصبحت خطة القيادة العربية فى المدينة اعادة القوات التى ارسلت من العراق الى الشام بعد الانتصار فى معركة اليرموك •

(١٩) كان العرب يرون أن مقاتلة الرومان (البيزنطيين) اسهل عليهم من مقاتلة الفرس •

(٢٠) راجع تاريخ بن خلدون ج ٢ ص • ٣١ طبع مصر •

منتدب فيهم ، أبا عبيد بن مسعود الثقفى ، فولاه عمر قيـــادة القوات التى أخذت فى التهيؤ للمسير الى العراق ، فسار أبو عبيد بالقوة الى العراق بأثر المثنى الذى عاد مسرعا بعد ان أخذ ابنـاء الجزيرة فى التهيؤ بنـــاء على أمر الخليفة اليه •

وصية عمر لابى عبيد :

عندما تهيأ ابو عبيد للمسير قال له الخليفة موصيا اياه : ـ « انك تقدم على أرض المكر والخديعة ، والخيانة والخزى ، تقدم على قوم تجرؤا على الشر فعملوه ، وتناسـوا الخير فجهلـوه ، فـانظر كيف تكـون ، واحـرز لسانك ، ولا تفش سرك ، فان صاحب السر متحصن ، لا يؤتى من وجـــه يكرهه ، واذا ضيعه كان بمضيعة[٢١] •

وقال له ، اسمع من اصحاب النبى (صلعم) واشركهم فى الامر ، ولا تجتهد مسرعا ، حتى تتبين ، فانها الحرب ، والحرب لايصلح لها الا الرجل المكيث الذى يعرف الفرصة والكف •

وهذه الوصية على قصرها ، تشتمل على أسس قوية ، تفيد كل قائـد يروم قيـادة القوات فى الحرب فى جميع العصور ، فدراســـــــة الموقف والحصول على المعلومات هى أول متطلبات القائـــد لكى يتمكن من اعطـاء القرار الصحيح ، فالاجتهاد (اعطاء القرار) ليس بالامر الهين ، لأى قائد ، فعلى قراره يتوقف النجاح أو الفشل حيث يصعب عليه تبديل قراره بعد ان تشتبك القوات فى القتال ، لهذا يجب أن يكون مبنيا عـلى دراســـة عميقة وصحيحة لادخل للعاطفة فيها[٢٢] • والحرب لايصلح لها الا المكيث بها ، ويعرف الفرصة فيستغلها لصالح قواته قبل أن تفوت ، ويعرف متى يكف عن القتال فيجمع قواته للقتال بوقت أو محل أخر •

(٢١) راجع تاريخ بن خلدون ج ٢ ص ٣١٠ طبع مصر
(٢٢) سنرى كيف أن ابا عبيد الثقفى قـد اوقع الجيش فى مأزق حرج بسبب تأثره بالعاطفة •

احوال مملكة فارس الداخلية :

سار ابو عبيد وسليط بن قيس وسعد بن عبيد ، الى العراق بقواتهم التى اجتمعت فى المدينة ، اما فى فارس فلا زالت فيها الاختلافات مستمرة ، والنبلاء لايرومون الا مصالحهم والقيادة غير موحدة ، وكل قبيل يريد تسلمها ليحافظ على مصالحه الخاصة • ومما زاد فى الطين بلة هو عدم وجود من يعتمدون عليه من آل كسرى ليسلموا اليه الامر سوى بوران، التى كانت عدلا بين الناس كلما اختلفوا ، فسلموها السلطة ، فوحدت القيادة ، بتسليمها الى رستم الذى قضى على المخالفين ، فكتب الى دهاقين الفرس فى السواد ان يثوروا على المسلمين ، وارسل الى كل مقاطعة رجلا ممن يعتمد عليهم ليحرض اهلها على الثورة ، ويقودهم لمقاتلة العرب • فجاء جابان الى البهقباذ الاسفل ، ونرسى فى كسكر[٢٣] ، ووعدهم يوما ، وبعث جندا لمصادمة المثنى ، ونزل النمارق[٢٤] وتوالى الفرس على الخروج على المسلمين فنزل نرسى زندرود ، وثار السكان من اعالى الفرات الى أسفله •

تدابير المثنى بن حارثة :

كان الخليفة ، قد امر المثنى بالاسراع فى الرجوع الى العراق ،وامره بالنجاء[٢٥] حتى يقدم عليه اصحابه ، فلما سمع بخطة رستم ، وثورة السكان ، جمع المفارز العربية التى كانت موزعة فى السواد ، والفرات ، وامر قادة قطعاته بالحذر والحيطة ونزل موضع خفان ،غربى الفرات[٢٦] ،

---

(٢٣) البهقباذ الاسفل خمسة طساسيج هى ــ الكوفة ، فرات بادقلى ، السيلحين ، طسوج الحيرة ، طسوج نستر ، طسوج هرمزجرد ــ راجع معجم البلدان ــ ياقوت •

(٢٤) النمارق موضع قرب الكوفة كانت به وقعة بين الفرس والمسلمين ــ مراصد الاطلاع •

(٢٥) المقصود بالنجاء هنا ، عدم الاشتباك مع الفرس بأية معركة قبل وصول النجدات •

(٢٦) خفان ــ لعله موقع القائم حاليا (مركز ناحية القادسية فى العراق الحديث)

فامن مهاجمة الفرس من خلفه ، وأمن على خطوط مواصلاته • واقام حتى قدم عليه ابو عبيد الذى تحرك من المدينة بعد حركته بشهر واحد ، فكانت خطة المثنى صحيحة اذ ان نهر الفرات اصبح حاجزا بينه وبين قوات الفرس ، فيساعده على تطبيق امر الخليفة بالنجاء حتى يقدم عليه ابو عبيد ، فاذا ما اراد الفرس العبور عليه بقوات متفوقة ينسحب الى البادية فيجتنب الاشتباك بقواته القليلة بالنسبة الى قوات الفرس نتيجة الوضع الجديد فى فارس • غير ان فى هذه الخطة محذورا وحيدا هو ترك مناطق كبيرة من العراق تتقدم فيها قوات الفرس من دون مقاومة ، الا ان امنية الجيش وسلامته تتطلب ترك هذه المناطق •

معركة النمارق :

بعد ان استجمت قوات أبى عبيد فى خفان اياما ، سار الى ملاقات جابان، فكان المثنى على الخيل ، وجعل على ميمنته والق بن جيدارة وعلى ميسرته عمرو بن الهيثم بن الصمت بن حبيب السلمى ، وقد اجتمع لجابان قوات كثيرة ، فاشتبك الجيشان فى القتال ولم يقاوم الفرس طويلا حتى انتصر عليهم الجيش العربى واسر قائد الفرس جابان(٢٧) وارسلوا الخمس من الغنائم الى المدينة المنورة •

تضحية المثنى :

هذا درس فى التضحية ونكران الذات ، وما اكثر هذه الدروس عند العرب فى صدر الاسلام ، فقد كان القادة العرب لا يهمهم ان كانوا رؤساء ، او مرؤسين ، فهم يؤدون خدمة للامة والدين ، يبتغون وجه الله ،

---

(٢٧) بعد انتهاء معركة النمارق تمكن فضة التميمى من اسر جابان قائد الفرس ، فتمكن من خدع فضة فأمنه فجاء به الى ابى عبيد ، فقيل له فى قتله فقال ـ (انه امنه احد المسلمين فاخاف الله فى قتله) ، وهذا لعمرى خير مثال للتعاون بين الرجال فى سبيل المجموع ، وقد آن لهذه الامة ان تسترجع الرشد فتسير على هدى القرآن • فتعيد سيرة الماضين •

وهذا منتهى ما تصل اليه النفس البشرية فى العمل لمصلحة الامة ، والمثنى رئيس قومه ، غير خامل الذكر ، وهو اول من هاجم العراق لتحريره يقاتل بامرة خالد بن الوليد ، ثم يرجع الى القيادة ، واليوم يقاتل بامرة رجل لم يكن اكثر كفاءة منه ، ولكن الخليفة عزله مع خالد بن الوليد لا لسخطة او خيانة انما الذى حدا به الى عزلهما هو افتتان الجند بهما واعتقاده ان النصر له ما دام قائده خالد بن الوليد او المثنى بن حارثة ، بينما يعتقد الخليفة ان النصر من عند الله وانه جل جلاله ناصر دينه سواء اكان خالدا والمثنى على رأس القوات ام كان غيرهما يقود القطعات فى المعارك ، غير ان البطل الشيبانى الذى كان يقاتل فى سبيل العرب والدين لم يؤثر هذا العزل فى اخلاصه فاندفع يقاتل لاحدى الحسنيين « ظهور او شهادة» فترك لعمر ولنا درسا خالدا فى التضحية كما ترك خالد بن الوليد هذا الدرس .

بيننا وبين عمر

أما نحن وأن كنا نرى رأى الخليفة بان الله جل جلاله ناصر دينه ومنجز وعده فاننا نختلف واياه فى واسطة هذا النصر ، فان الله جل جلاله قد ارسل رسوله فى العرب بعد أن هيأ خالدا والمثنى والقعقاع وأبا عبيد وغيرهم من الرجال الذين كانت لهم ثقافة عالية تمكنهم من قيادة الجيوش فى ساحات الحرب الى النصر وفى رأينا أنه كان يجب أن يستمر هذان القائدان فى القيادة لفترة أخرى لكى يتجنب العرب الضحايا التى تكبدوها فى المعارك التى حدثت بعد عزلهما عن القيادة كما حدث فى معركة القادسية . (٢٨)

معركة السقاطية

كانت كسكر مقاطعة فارسية وهى ملكا للاكاسرة ، وكان على نرسى ان يثور بها على العرب فيحميها من هجماتهم ، فلما انهزمت قوات الفرس من

(٢٨) راجع معركة القادسية نفس الكتاب لترى كثرة الشهداء العرب .

النمارق ذهبت الفلول الى السقاطية لتتهيأ مرة ثانية غير ان ابا عبيد عاجلهم القتال فقد ارسل المثنى على رأس الخيالة العرب الذين بادروهم القتال فلم يتيسر لهم الوقت للتهيؤ له فتشتتوا ايضـــا فوصــل العرب الى كسكر وشاطىء دجلة (٢٩)

نظرة فى خطتى الفرس والعرب

يظهر لنا من المعركتين السابقتين أن الفرس كانوا يرومون مشاغلة قوات الجيش العربى بما تيسر لهم من القوات بالحرب على جناحى القوات العربية .

أما المثنى فقد انتبه الى خطتهم التى كانوا يرومون بها مشاغلة العرب فى كل مكان فجمع قواته فى خفان ولم يقبل معركة حتى وصلت النجدات اليه من الحجاز وبذلك افسد عليهم خطتهم ، اذ انه لم يشتبك معهم فى قتال الا فى اتجاه واحد فأمن النصر بتحشده هذا وهو الاسلوب الصحيــح فى التحشــــد .

ويظهر الضعف فى خطة الفرس بعدم التهيؤ التام للقتال الامر الذى شجع العرب على الاستمرار فى مهاجمة البلاد العراقية ، غير ان الحـوادث المقبلة ووضعية الفرس الداخلية تشير الى ان المعارك ما هى الا معارك تعويق ومشاغلة لكسب الوقت للتهيؤ للمعركة الفـــاصلة فيما بعد ، حيث انهم لم يتمكنوا من توحيد قيادتهم الا منذ مدة قصيرة وهم بحاجة الى الوقت الكافى لتنظيم جيش كبير وسوقه الى ساحات الحرب . الا أن هذه المعـــارك أفادت الجند العربى اذ انها رفعت معنوياتهم وزال من نفوسهم تهيبهم من مقـــاتلة الفرس (٣٠)

---

(٢٩) راجع بن خلدون الجزء الثانى صفحة ٦٨ .

(٣٠) بالرغم من انتصار العرب فى يوم ذى قار وانتصاراتهم فى معارك خالد بن االوليد فلا زال الجند العربى يتهيب من مقاتلة الفرس كما يوضح ذلك خطبتى عمر بن الخطاب والمثنى فى المدينة .

اما في فارس نفسها فقد حدث ان انتبهت القيادة الفارسية الى الخطأ الذى كانت تسير عليه في اسلوب محاربة العرب فاخذت تعد العدة لمعركة فاصلة تطرد بها العرب من العراق أما في الشعب الفارسى فقد تأثر سواد الناس بحسن معاملة العرب فشعروا بالظلم الذى كان يلحقهم من جراء تصرف حكامهم والملاكين ففضلوهم على الفرس ولذلك لم يقوموا بأى عمل معاد للجيش العربى فيما بعد كما سنرى فى فتح المدائن [٣١] الامر الذى سبب تسرع الفرس بارسال جيش آخر لطرد العرب من العراق فكانت نتيجة ذلك معركة الجسر •

معركة الجسر

تجمع الجيش العربى

بعد انتهاء معركة السقاطية جمع ابو عبيد قواته المتوغلة فى السواد وانسحب الى موضع المروحة [٣٢] قرب البويب [٣٣] وقد أحسن عملا ، ذلك لان الفرس اخذوا يجهزون حملة كبيرة لمقاتلته ويصعب على الجيش العربى الاشتباك فى القتال داخل السواد ما لم تؤمن المناطق الخلفية له (خطوط مواصلاته) وهذا يتطلب قوات اخرى غير متيسرة للقائد العربى لمحافظة الحيرة •

تقدم الجيش الفارسى

اما الفرس فقد جهزوا جيشا قوامه (١٢٠٠٠) مقاتل بقيادة بهمن جاذويه وكان الجالينوس بامرته ، وقد اخرجوا رايتهم التاريخية (درفش كاويان) لتشجيع الجند وهذه الراية لا يخرجها الفرس الا فى

---

(٣١) راجع فتح المدائن نفس الكتاب •

(٣٢) المروحة ـ موضع بالسواد به وقعة قس الناطف ، لان المروحة على شاطىء الفرات الغربى ، وقس الناطف على الشرقى ـ راجع مراصد الاطلاع فى معرفة الامكنة والبقاع •

(٣٣) راجع معركة البويب •

الخطر او عنـــدما يكون الملك هو الذى يقود الجيش ، وهى مصنوعـــة من جلود النمور وطولهـــا اثنتى عشر ذراعا [٣٤] على اننـــا نعتقـد ان الجيش الفارسى كان اكثر عددا مما جاء فى المراجع التاريخية لان الجيش الفارسى فقد (٦٠٠٠) مقاتل قبل أن يقتل أبو عبيـد ومع ذلك فقد تمكن من ضرب الجيش العربى ضربة أفقدته التوازن فجعلت الفرد العربى المقـــاتل يرمى نفسه فى النهر طلبا للنجاة ، وقد كانت قوة الجيش العربى اكثر من(٩٠٠٠) مقاتل حيث ان عدد المفقودين فى هذه المعركة كان (٤٠٠٠) مفقود وانسحب منهم (٢٠٠٠) مقاتل الى المدينـــــة بعد انتهاء المعركة ، وبقى مـــع المثنى (٣٠٠٠) مقاتل [٣٥] • وبعد أن أتم الجيش الفارسى تنقله نزل على الضـفة اليسرى لنهر الفرات قبالة الجيش العربى الذى كان معسكرا فى الضـــفة اليمنى ، فأرسل القائد الفارسى الى أبى عبيد (اما أن تعبروا الينـــا وندعكم والعبور ، وأما أن تدعونا أن نعبر اليكم) •

خطأ ابى عبيد

وعند وصول رسالة قائد الفرس قرر أبو عبيد العبـور اليهم فاعترض على هذا القرار أمراء الجيش العربى وطلبوا ان يسمح للفرس بالعبور اليهم غير أن أبا عبيـد لم يوافق على رأي امرائه قائلا لهم (لا يكونوا أجرأ على الموت منا ، نعبر اليهم) • وقد ألح عليه سليط بعدم العبور قائلا (ان العرب لم تلق مثل جنود فارس منذ كانوا ، وانهم حفلوا لنا ، واستقبلونا من الزهاء والعدة بما لم يلقنا به احد منهم ، وقد نزلت منزلا لنا فيه مجال وملجـــأ ، ومرجع من فرة الى كرة) فقال أبو عبيد « لا افـعل جبنت والله » • وكان

---

(٣٤) هناك رأى بعدم اخراج الفرس هذه الراية مع الجيش لانالمعركة كانت من معارك التعويق وليست معركة فاصلة ، غير اننا نعتقد ان القوة كانت من القوات الفارسية الدائمة وكان اعتقاد الفرس انهم قادرين عـــلى الانتصار بهذا الجيش على الجيش العربى ، ولذلك فالمعركة مهمة •

(٣٥) راجع تاريخ الامم والملوك ـ الطبرى ـ ج ٤ ص ٦٧

الرسول بين العرب والفرس قد اخبرهم أن الفرس عيروهم ، فازداد أبو عبيد تمسكا برأيه واتهم سليطا بالجبن فقال له سليط « انا أجرأ منك نفسا وقد أشرنا عليك بالرأى فستعلم » .

ومن هذه المحاورة يظهر لنا جليا أن الامراء العرب لم يكونوا موافقين على رأى أبى عبيد فى العبور ، وكان هذا الرأى هو الصائب بالنسبة لموقف الجيش العربى ومن المصلحة أن يكون القتال فى جانب الفرات الايمن (الضفة الغربية) فان انتصر العرب فانهم سيعبرون وليس امامهم الا قوات مغلوبة على امرها ، وان كانت الاخرى فلهم مجال الانسحاب وليس هنالك مانع يعرقل انسحابهم ، الا ان أبا عبيد وهو شجاع وجسور لا يهاب الموت اخذ الامر على المكابرة وعدم التروى واثرت عليه العاطفة فى دراسة الموقف فأخطأ فى العمل ، والقائد ان فكر فى الامر على المكابرة اصابته النكبات ، وهو من القادة الذين قلما ينجحون فى قيادتهم ، فكان لزاما على أبى عبيد ان يأخذ برأى الآخرين خاصةوانه كان قد سحب جميع جيشه من نواحى السواد اتقاء لمثل هذه الحالة الخطرة وبعبور الجيش العربى الىالضفة الثانية فقد المناورة كما اصبح نهر الفرات حاجزا بينه وبين خط مواصلاته ، وعند عبور الجيش العربى نزل فى ساحة ضيقة المطرد والمذهب ، وبهذا اصبحت حرية العمل بيد الفرس الذين كان يسندهم الفيل وهو السلاح المدرع فى ذلك العصر .

وبعد استتمام العبور اشتبك الجيشان بالقتال وكان كل فريق صامدا لعدوه صمودا شديدا ، واستمر القتال الى آخر النهار فاستبطأ العرب النصر وكانت الفيلة قد فتكت بالجيش العربى لان خيولهم جفلت منها لعدم تعودها على رؤية الفيل فلما رأى العرب هذا الوضع ترجلوا وقاتلوا راجلين فنادى أبو عبيد فيهم أن يقطعوا أحزمة الفيلة ويرموا الرجال من على ظهورها ، غير أن الفيلة اخذت تقاتل الجند العربى بشدة فدفعته أمامها ، واشتدت المعركة فتصافحوا مع الفرس بالسيوف واستمات العرب فى القتال ، وشذوا

العزم على احراز النصر فكثر القتل فى الجيش الفارسى حتى بلغ (٦٠٠٠) قتيل [٣٦] وساء وضعهم ، غير أن أبا عبيد وقد رأى تأخر النصـــر وتأثير الفيل فى الجند العربى تقدم لمقاتلة الفيلة فخبطه الفيل وقام عليه ، ولم تمض جولة حتى ساء وضع الجيش العربى واشـــتد الفرس عليهم وحوصروا فلم يبق امامهم الا الانسحاب الى الضفة الاخرى وقطع القتال ٠

نكبة الجيش العربى

ولما اراد العرب الانسحاب أسرع عبدالله بن مرثد الثقفى الى الجســر فقطعه [٣٧] وبذلك بقى العرب بين سيوف الفرس والنهر وكانت معنويتهم مضعضعة وقد فقدوا التوازن ، ولم يكن بامكانهم اعادة الكرة اضيق الساحة التى حصروا بها ـ كما ذكرنا ـ فتهافت الناس فى الفرات طالبين النجاة من السيوف الفارسية فيلقون حتفهم فى النهر فغرق اناس كثيرون بلغ تعدادهم (٤٠٠٠) غريق وهكذا أضر عبدالله بن مرثد بقومه بقطع الجسر الذى كان يجب ان لا يقطع الا بعد ان يتم الجيش العربى عبوره الى الضفة اليمنى من نهر الفرات وبأمر من القائد لا حسب رأى أحد الجند الذى كان من عشيرة القائد الشهيد ٠ وتتبع الجيوش الحديثة أوامر خاصة فى هذه الحالات ٠

المثنى يحمى العبور

فلما رأى المثنى بن حارثة الشيبانى الوضع الذى صـــار اليه الجيش العربى أمر جماعة من الناس أن يعيدوا عقد الجسر وصار يقاتل على رأسه حتى تمكنوا من عقده ثانية وتمكنوا من العبور الى الضفــة الاخرى فاصيب المثنى بجرح بليغ فدخلت احدى حلقات درعه فى جسمه أما الفرس فانهم لم يعبروا النهر ، اذ انهم وصلتهم اخبار من المدائن بحدوث ثورة فيها الامر

(٣٦) الطبرى ج ٤ ص ٧٢

(٣٧) ان ابى عبيد الثقى وعبد الله بن مرثد من عشيرته ونعتقد أن هذا قطع الجسر متأثرا بهذه العاطفة ، والعاطفة تؤثر على الحساب العلمى الدقيق فتكون النتيجة نكبة كما حدث هنا ٠

الذى سبب انقسام الجيش الفارسى ، فضاعت الفرصة التى كانت متيسرة للقائد الفارسى فى القضاء على فلول الجيش العربى المنسحب أمامه •

أما العرب فقد انسحب منهم اناس كثيرون الى ديارهم ، ونعتقد انها القوات التى جاءت مع أبى عبيد الى العراق حيث ان قوات المثنى لا زالت تقاتل الفرس منذ اربع سنوات ولم يبد منها اى ضعف تجاه العدو (٣٨)

عمر يشد عزم المنسحبين

بعد وصول الجند المنسحب الى المدينة شعروا بخطأ الانسحاب من دون أمر من القائد ، فندموا على ما فعلوا ، كما أن قسما منهم لم يذهب الى المدينة خجلا من عار الانسحاب امام العدو ،وخاصة أن الآية الكريمة فى القرآن (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال ، او متحيزا الى فئة ، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) تمنع الانسحاب امام العدو وترك ساحة القتال من دون أمر ، غير أن عمر بن الخطاب ترحم لهؤلاء المنسحبين وقال « اللهم كل مسلم فى حل منى، انا فئة كل مسلم ،من لقى العدو فقطع بشىء من امره ، فانا له فئة ، يرحم الله أبا عبيد لو كان انحاز الى لكنت له فئة » •

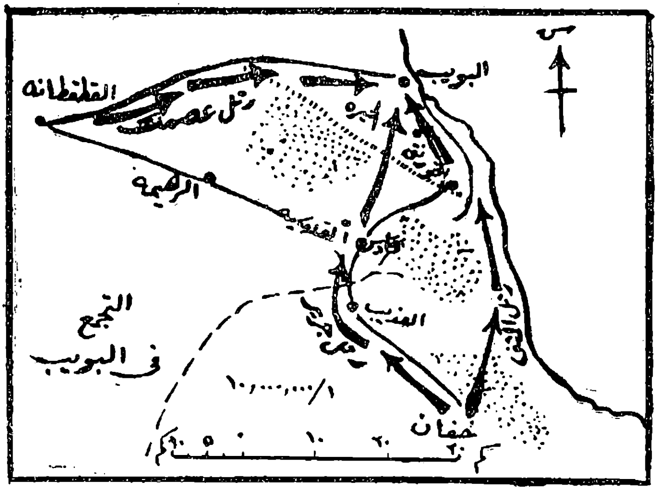
وهكذا أوضح الخليفة ما غاب عن تفكير الناس بان القيادة العامة فى المدينة سوف لا تحاسب المنسحبين من الساحة ، لانها ستعيد الكرة ، وتلك خطة تدل على حسن تبصر بالعواقب ، فانه رضى الله عنه أراد أن يرفع معنويات المنسحبين ويفهمهم أن الحرب هجوم وانسحاب وكر وفر وتضحيات، وجعلهم يشعرون أنهم مرتبطون مباشرة بمقر الخلافة فوضع بعمله هذا البلسم لجروح الافراد ، كما وضع الخطط لقيادة الامة •

---

(٣٨) كانت معركة الجسر فى شعبان سنة ١٣ هجرية ، فهى بعد اليرموك باربعين يوما معركة اليرموك فى ٢٠ ـ ٢٢ آب سنة ٦٣٦م والجسر فى ايلول نفس السنة •

معركة البويب (٣٩)

معركة البويب هى معركة الثارات لاصحاب الجسر اذ بعــد انسحاب المثنى بن حارثة بقواته من الجسر الى المروحة (٤٠) ورجوع جيش الفرس قام المثنى بعدة غارات على بعض المواقع فى العراق واسر بعض رجال الفرس، ثم رجع برجاله الى موقع أمين منتظرا أوامر جديدة من المدينـــــة المنورة وكان الخليفة قد أخذ بارسال الامداد الى المثنى فأرسل بجيلة (٤١) وأرسل ضبة بقيادة عصمت بن عبدالله وسمح لمن أخلص من المرتدين بالجهاد فارسل



معركة البويب خريطة رقم ٢

---

(٣٩) البويب ـ نهر بالعراق فى موضع الكوفة عند دار الرزق ياخذ من الفرات ، كانت عنده وقعة بين المسلمين والفرس فى ايام ابى بكر وكان مجراه الى دار صالح بن على بالكوفة ومصبه فى الجــوف العتيق ايــام المدود وليزيدوا به الجوف تحصينا وقد كانوا قد فعلوا ذلك حتى كانت السفن البحرية ترفأ اليه ـ راجع معجم البلدان ياقوت ـ ب ليبزج ١٨٦٦ ٠

(٤٠) المروحة ـ موضع بالسواد به وقعة قس الناطف لان المروحة على شاطىء الفرات الغربى وقس الناطف على الشرقى ـ مراصد الاطلاع فى معرفة الامكنة والبقاع ٠ـ

(٤١) نعتقد ان بنى شيبان كانوا اغلبية القوات لانهم اجرأ الناس على الفرس واقربهم اليهم ٠

من تطوع منهم الى العراق وقد طلب المثنى منهم الاسراع بالالتحاق بقواته حيث بلغه ان الفرس مختلفون فيما بينهم ، وان الفرصة سانحة للهجوم .

اما الفرس فانهم لما بلغهم بأن قوات عربية جديدة أخذت تتوارد على المثنى بعثوا على عجل مهران الهمداني مع ما تيسر لديهم من القوات ، وأمره رستم (قائد القوات الفارسية العام) أن يسرع بالتقدم الى الحيرة ويحافظ على التماس بالقوات العربية ريثما يتم تجهيز جيش كبير لاجل القضاء على الجيش العربي الجديد .

التجمع في البويب

عندما وصلت الاخبار الى المثنى بما عمل الفرس ، وكان قد نزل بقواته مرج السباخ (٤٢) بين القادسية وخفان طلب الى القوات العربية الاجتماع في البويب على أن تعقب المسالك التالية : - (راجع الخريطة الرقم ٢)

١- سارت قوات المثنى وسط السواد الى النهرين فالخورنق الى البويب .

٢ - تعقب قوات عصمت طريق بادية الشام فالنجف الى البويب .

٣- تتقدم قوات جرير باتجاه الجوف ومنها الى البويب .

وكان في هذه الارتال قبيلة الازد وكنانة بقيادة عرفجة بن هرثمة ، وعلى كنانة غالب بن عبدالله بقوة ٧٠٠ مقاتل ، والرباب من تميم بقيادة علقمة التميمي ، وأرسل الخليفة بني جشم بقيادة ابن المثنى الجشمي كما أرسل عبدالله بن ذي السهمين مع من خرج معه ، والربعي في بني حنظلة ، وربعي بن عامر في بني عمر ، وأرسل بني ضبة برآسة بن الهوبر ، والمنذر بن حسان وقرط بن جماح في عبد القيس (٤٣) ويظهر أن النجدات التي

---

(٤٢) ان هذا الموقع في جنوب غربي الرحبة في العراق الحديث كما ظهر لنا اثناء التجوال في المنطقة .

(٤٣) راجع الطبري الجزء الرابع ص ٧٥

وصلت الى المثنى قاربت (٥٠٠٠) مقاتل ، وتكون قوة المثنى التى اجتمعت لديه تزيد على (٧٠٠٠) محارب مع قواته من بنى شيبان الذين كانوا معه • وقبيل المعركة وفد على المثنى أنس بن هلال النميرى فى جماعة من النصارى من النمر ووصل قوم من بنى تغلب الى ساحة القتال فلما شاهدوا وضع العرب والفرس قالوا نقاتل مع قومنا وكانوا بقيادة عبدالله بن كليب بن خالد • (٤٤)

التهيؤ للقتال

كان الجيش الفارسى قد سبق العرب فى التجمع غيرأنه لم يعبرالفرات بل بقى فى الضفة اليسرى ، وما أن اجتمعت القوات العربية حتى كتب مهران قائد الجيش الفارسى الى المثنى « اما أن تعبروا الينا أو نعبر اليكم » فكتب اليه المثنى أن اعبروا الينا ، وكان المثنى يقاتل على اسس السوق العربى القديم (وهو أن يقاتل على ادنى حجر من البادية) ليسهل عليه الانسحاب اليها عند الفشل ، ولهذا فهو لا يجعل بينه وبين البادية أى مانع يعيقه •

لما عبر الفرس نزلوا موضع دار الرزق فى شوميا (٤٥) فعبأ مهران قواته على ثلاثة صفوف ومع كل صف فيل وأمامه المشاة ، وكان على الخيل شهربازار ، وبهذا الاسلوب من التعبية حصل مهران على التعاون التام بين أجزاء قواته (الخيالة والمشاة والدروع ـ الفيل) كما أن المشاة كانوا يحفظون الفيل من هجمات الفدائيين العرب الذين لابد أن يتقدموا لمقاتلته ، وكان قلب الجيش الفارسى بقيادة مهران ، أما الجناحان فكانا بقيادة ابن

---

(٤٤) ان التحاق تغلب مع الجيش العربى وهم نصارى كان حمية للقومية العربية ضد الفرس الذين كانوا يسعون لمحاربة قومية العرب ، وسيصدر كتاب لنا باسم (يوم ذى قار) نبين فيه عوامل هذا الكفاح ونتائجه •

(٤٥) شوميا ـ موضع فى بقعة الكوفة نزله جيش مهران لمحاربة المثنى والمسلمين ، قالوا وشوميا هى موضع دار الرزق فى الكوفة ـ معجم ياقوت ـ ليبزج ١٨٦٦

الازاذية (مرزبان الحيرة) ومردانشاه • كما يساعد هذا الاسلوب القائد الفارسى على ادامة الهجوم بموجات متعاقبة •

أما المثنى بن حارثة فقد جعل على الطلائع النسير وعلى مجردته أخاه المعنى وعلى الرجل (المشاة) مسعود ، أما المجنبات فكانت بقيادة بشير بن الخصاصية وبسر بن أبى رهم وطلب الى المقاتلين أن يفطروا ليتمكنوا من مقاتلة عدوهم بقوة ، كما جعل الاحتياط (الردىء) بقيادة مذعور (٤٦) ، وكان المثنى يحرض المقاتلين على القتال ويسوى صفوفهم كما كان ينبه اصحاب الرايات قائلا لهم « انى لأرجو أن لا يؤتى العرب من قبلكم » ، واذا علمنا ان العربى يموت على أن لا يجلب العار على قومه عرفنا أهمية هذا التنبيه ، وقد سبق أن عالج خالد بن الوليد الموقف فى معركة عقرباء بنفس هذا الاسلوب (٤٧)

المعركـــة

طلب المثنى الى جيشه أن يهجم على العدو عند التكبيرة الرابعة ، غير ان الفرس عاجلوهم القتال عند اول تكبيرة من تكبيراته واشتبك الجيشان ، وكان المثنى يوجه قادة جيشه الى العمل الصحيح بواسطة الرسل بينه وبينهم، وهو فى وسط القتال ، وثبت كل فريق لقتال عدوه ثباتا شديدا حتى تأرجح النصر بينهما ، فكانت النتيجة غير مضمونة لكل من الفريقين المتحاربين وفى مثل هذا الموقف على القائد أن يقدر موقفه جيدا ويعرف نقاط الضعف فى عدوه ليتمكن من معالجته ، وهكذا انتبه المثنى الى ان النصـــر لا يمكن ان يحرزه العرب الا بالهجوم على قلب جيش العدو وتدميره ، ذلك لان مجنبتى كلا الجيشين ثابتة فى محلهـــا ، فطلب الى أنس بن هلال النميرى والى بن مرادى الفهرى أن يهجما معه قاصـــدا قائد الفرس بهرام فى القلب فدخل

---

(٤٦) كان القتـــال فى شهر رمضـــان لذلك طلب اليهم ان يفطروا لتكون لهم مقدرة على القتال •

(٤٧) راجع القائد الخالد ــ خالد بن الوليد ــ للمؤلف •

ميمنته واشتد القتال وما زالت المجنبات ثابتة في محلاتها تقتتل بدون نتيجة ، فقال ربعي لجنده « تترسوا بالمجان فانهم شادون عليكم ، فاصبروا لشدتين وأنا زعيم لكم بالظفر في الثالثة » (٤٨) ويظهر من هذا أن الفرس قاموا بثلاث هجمات على الجيش العربي ، فلما انتهى زخم هجومهم قام المثنى بالهجوم على القلب فتمكن من افناء قوة القلب في جيش الفرس وتدمير ما بقي منها ، وعند ذلك انقسم الجيش الفارسي الى قسمين وفقد التعاون بينهما وصار قلب الجيش العربي يعاون المجنبين بعد أن هزت المجنبات بعضها بعضا ، كما تمكن أحد التغلبيين من قتل قائد الفرس (مهران) ، وما هي الا فترة حتى تمكن العرب من ازالتهم من مواقعهم فلما رأى المثنى هذا الوضع أمر الجيش العربي بادامة شدة القتال وعدم افساح المجال لهم ليستعيدوا تنظيم جيشهم ، فازدادت شدة الجند العربي ولم تمض فترة اخرى حتى انقلب تراجع الفرس الى انسحاب ثم الى هزيمة ، فأسرع المثنى الى الجسر الذي سيعبر عليه الفرس فقطعه فلما وصلته القوات الفارسية كانت قوات المثنى في رأس الجسر فصار الجيش الفارسي بين السيوف العربية التي صارت تحصد فيه من أمامه ومن خلفه وكانت مباغتة لهم أفقدتهم الرشد والعمل الصواب فضيق العرب عليهم الخناق حتى تمكنوا من افناء الكتائب الفارسية المستميتة في القتال ، أما الآخرين فقد خاضوا النهر فغرق كثير منهم فيه ، وقد سمّي هذا اليوم بيوم الأعشار لأن مائة رجل من العرب أحصى كل منهم أنه قتل عشرة من الفرس ، (٤٩) وهكذا ثأر العرب لقتلى معركة الجسر .

وبعد المعركة وقف المثنى في الجيش وقال لرجاله « قد قاتلت العجم في الجاهلية والاسلام فوالله لمائة من العجم كانوا أشد على من ألف من العرب ، ولمائة من العرب أشد على من الف من العجم اليوم ، ان الله قدأذهب مصدوقهم ووهّن كيدهم ، فلا يردعنكم زهاء ترونه ، ولا سواد ولا قسي فج،

---

(٤٨) الطبري ج٤ ص ٧٥
(٤٩) نفس المصدر والصفحة

ولا نبال طوال ، فانهم اذا أعجلوا عنها أفقدوها كالبهائم أينما وجهتموها اتجهت ، وهذا نوع من رفع معنويات الجند المحارب وهو تنبيه الى الجند العربى فى أسلوب مقاتلة الفرس فى المستقبل القريب ، اذ أنه كقائد عالم عاقل يعرف ما وراء هذه المعارك .

وهذه المعنويات هى التى يحتاجها أبناء أمتنا فى عصرهم الحاضر ، فان معنوية أجدادنا كانت ضعيفة قبل الاسلام فكانوا يشعرون بالضعف تجاه العدو فلما استعادوا العزم وشددوا العزائم انتصروا مع العلم أن تسليح الفرس كان خيرا من تسليحهم ، كما هو حالنا اليوم .

كما أن المثنى انتبه الى خطورة العمل الذى قام به بمسابقته الفرس وقطع الجسر فنبه رجاله الى عمله هذا فقال لهم « لقد عجزت عجزة وقى الله شرها بمسابقتى اياهم الى الجسر وقطعه ، حتى أحرجتهم ، فانى غير عائد ، فلا تعودوا ولا تقتدوا بى أيها الناس ، فانها كانت منّى زلة ، ولا ينبغى احراج أحد الا من لا يقوى على امتناع » (٥٠)

وهذا درس آخر يتركه لنا المثنى بن حارثة الشيبانى فى تبيان مسؤلية الآمرين فى تهيئة الرجال للقيادة والحرب ، لان الجندى والقائد الصغير يقلد قائده الكبير فى عمله والمثنى يعرف هذه الطبيعة فى نفسية الرجال ولذلك نبههم الى هذا العمل الذى قام به ، فان العدو اذا حوصر فانه سيقبل معركة يستبسل فيها ، وقد يقبل الابادة فى سبيل غاية أخرى قد تكون اكتساب الوقت لوصول نجدات جديدة أو للحصول على هدف آخر من الاهداف الحربية المختلفة والمتعددة .

والذى نعتقده أن المثنى قد رأى بثاقب فكره أو بدا له أن الجندى الفارسى لم يبق له من القوة ما تثبته فى المعركة بعد الحالة التى صار اليها ،

---

(٥٠) تستبسل قوات العدو ان حضرت ولم يترك لها مخرجا للانسحاب، وقد يتأثر النصر او يتأخر راجع الحركة الافراجية التى قام بها خالد بن الوليد فى معركة اليرموك فى كتاب القائد الخالد خالد بن الوليد ـ للمؤلف .

فسابقهم الى الجسر فقطعه ليتمكن من ابادة هذه القوة التى بابادتها تكون منطقة الحيرة والسواد تحت رحمة الجيش العربى ويؤثر على معنوية الشعب الفارسى ورجال الدولة الفارسية فيشعروا بالضعف تجاه العرب فيسهل الانتصار عليهم فى المعارك المقبلة ، وهذه أقل فائدة من ابادة هذا الجيش ، غير أن قطع الجسر جعل بعض الكتائب فى الجيش الفارسى تستميت فى القتال حتى أفنيت ، فاتضح للمثنى خطورة قطع الجسر ، اذ كان الصحيح أن يترك الجيش الفارسى يبدأ العبور على الجسر وتكون الملحمة لابادته على مدخل الجسر فتحصل بذلك الغايتان المطلوبتان هما المحافظة على النصر وابادة جيش العدو .

المطاردة

بعد انتهاء المعركة أرسل المثنى من القوات العربية ما يكفى لمطاردة قوات الجيش الفارسى التى تمكنت من الانسحاب من ساحة القتال لتشتيت شملها ، وقداستمرت المطاردة الى الليل ومن الغد الى الليل (اى انها استمرت يومين كاملين) ، وكانت بجيلة القبيلة العربية التى نفلها الخليفة ربع الخمس قد استمرت بالمطاردة حيث قام فيها جرير بن عبدالله وخاطبها قائلا «يا معشر بجيلة ، انكم وجميع من شهد هذا اليوم فى السابقة والفضيلة والبلاء سواء ، وليس لأحد منهم فى هذا الذى لكم منه ، ولكم ربع خمسه نفلا من أمير المؤمنين ، فلا يكونن أحد أسرع الى هذا العدو ، ولا أشد عليه منكم للذى لكم منه دنية الى ما ترجون فانما تنتظرون احدى الحسنيين ، الشهادة والجنة ، أو الغنيمة والجنة » فتقدمت هذه القبيلة للمطاردة واشترك معها الرجال الذين كانوا قد اشتركوا فى معركة الجسر الخابطة . ويظهر من سير الوقائع التى حدثت فيما بعد أن العرب تمكنوا بهذه المطاردة من تدمير القوات الفارسية ، حيث تمكن العرب من السيطرة على ما بين النهرين ووصلوا الى ساباط(٥١)

---

(٥١) ساباط قرية كانت قريبة من المدائن عندها قنطرة على نهر الملك ، وكانت القرية سميت بالقنطرة لانها ساباط (راجع مراصد الاطلاع فى معرفة الامكنة والبقاع)

توزيع الغنـــائم

وبعد الانتهاء من المطاردة جمع المثنى الغنائم ووزعها على المجـــاهدين بعد أن أخرج الخمس ونفل بجيلة ربعه ، وأرسل حصـــة الرجال الذين أبقاهم في معسكر الحيرة وفي القوادس مع النساء ، ومما يستوجب ذكره في هذا الصدد ان النساء عندما علمن بتقدم رتل الى معسكرهن تهيأن للقتـــال بالعمد والحجارة حتى أن جاء البشير معلنا النصـــر وأن ما يرونه ما هو الا حصتهن من الغنائم وحصة المجاهدين الذين كانوا حرسا للمعسكر •

خسائر الفرس

بلغت خسائر الفرس عـــددا كبيرا من القتلى وقد روى أن خسائرهم بلغت (١٠٠٫٠٠٠) قتيل ومع أن الفرس قد خسروا كثيرا من مقاتليهم الا أننا لا نميل الى تصديق هذه الرواية المبالغ فيها ، لان الفرس أرسلوا هذا الجيش على عجل ولم يكن الوضع الداخلي في فارس يساعد على ارســال جيش كبير تكون خسائره فقط هذا العـــدد ، كما أن الفرس لم يتمكنوا فيما بعد من ارسال اكثر من (١٢٠٫٠٠٠) مقاتل في أقوى المعارك (معركة القادسية) مع العلم أن وضع الدولة الفارسية كان قد استقر عند ارسال جيش القادسية فلم تتمكن الدولة من سوق أكثر من هذا العدد الى القتال ولو قدرت لفعلت •

انما الذي نعتقده أن سبب ايراد هذا العـــدد الكبير من القتـــلى هو الانتصار الساحق الذي أحرزه الجيش العربي على الفرس في هـــذه المعركة ولان قتلى الفرس لم يدفنوا كما يظهر حيث ورد في المصادر أن العظام بلغت تلولا تلوح للمارين من بعيد ، فلما بدأ تدوين وقائع المعارك ذكر هذا العدد الكبير تقديرا ومن دون دراسة ، كما أن هنالك عامل آخر هو الاعتزاز الذي انتشر بالدين الاســـلامي ذلك الوقت فجعل النـــاس يقبلون مثل هـــذه الارقام اذ حصلت لديهم فكرة أن النصر كتبه الله للاسلام فمهما كان العدو كثير العدد فهو مخذول فشجع هذا العامل المؤرخين على ايراد هذه الارقام •

غارات المثنى

بعد انتهاء معركة البويب لصالح العرب قام المثنى بعدة غارات على القرى والمدن الفارسية في السواد لتطهير المواقــع التي لا زالت مواليــة للفرس ومعادية للعرب في الاتجاهات المختلفة كما أنهــا ذات فائدتين اذ كان الجيش العربي يؤمن بها المواد المطلوبة لاعاشة الرجال والحيوانات من الغنائم وتشجع العرب على حركات التعرض المقبلة وتؤثر على معنويات الفرس •

فقد تقدم المثنى الى الحيرة وخلف بها أميرها السابق بشير بن الخصاصية كما أرسل جريرا الى ميسان وهلال بن علّفة الى دست ميسان (٥٣) ووضع الحاميات في المواقع التي تتطلب ذلك ونزل الى اليس والانبــار (٥٤) وكانت اهم غارتين هما الغارة على الخنافس والاخرى على سوق بغداد •

الغارة على سوق الخنافس

وكان في سوق الخنافس يتوافد الناس لعرض الفــائض من منتوجاتهم وكانت تجتمع فيه قبيلتا ربيعة وقضاعة لحماية السوق عند انشغال النــاس في

---

(٥٢) راجع تاريخ بن خلدون ج ٢ ص ٢١ طبع مصر •

(٥٣) ميسان كورة واسعة كثيرة القرى والنخيل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان بها قرية بها قبر العزيز المشهور •

(٥٤) اليس والانبــار ـ حدثت فيهــا معركتــان اليس الصغرى والكبرى •

(٥٥) الخنافس ارض للعرب قرب الانبار من ناحيــة البردان يقــام فيه سوق للعرب اوقع المسلمون في ايام ابي بكر واميرهم خالد بن الوليد فقال ابو ليلى الفدكي :ـ

فقــالوا ماتريــــد فقلت ارمــي ... جموعــا بالخنــافس بالخيــول
فدونــكم الخيــول فالجموهــا ... الى قــــوم باســـفل ذي اثــول
فمــا ان احســوا مــا تولــوا ... ولــم يغررهــم ضبــح الفيــول
وفينا بالخنافس باقيــــات ... لمهبوذات في جنــح الاصيـــل

ثم كانت وقعة اخرى في ايام عمر بن الخطاب (رض) وامارة المثنى بن حارثة كبسهم يوم سوقهم وقتلهم واخذ اموالهم •

فقال ـ صبحنا بالخنافس ••• الخ ـ معجم البلدان ياقوت •

البيع والشراء ويظهر أن حماية السوق من مسؤليـــة هاتين القبيلتين حسب اتفاق سابق مع الفرس •

استعد المثنى للغارة على هذا السوق ، فسار ليلا وما انبثق الصباح الا والجند العربى قد باغت الناس فيه وغنموا منه فقال المثنى : ـ

طرقنـا بالخنافس جمـع بكـر   وحى من قضـاعة غـير ميـــل
نسفنا ســوقهم والخيـــل رود   من التطواف والشرب النجيـــل

وبعد انتسافه للسوق عاد الى الانبار[٥٦] معقبا الاتجـاه من الخنافس ـ البردان ـ الروضة ـ تل نخيل (كرد علوان) ـ ام الشيطان ـ تل النخيل ـ الانبار ، مارا من جنوب بحيرة الحبانية[٥٧] ، فلما رآه اهل الانبار تحصنوا منه غير انهم ما لبثوا ان عرفوه واستقبله دهقانها وقدم العلف الى حيواناته ، وهذا يدل على ان الفرس كانوا بحـال لايحسدون عليـه من التفرقة وأن سيطرة الحكومة المركزية ضعيفــة ، وأن الاهلين يفضلون حكم العرب على حكم الفرس ، وخاصة أن الدهاقين لايهتمون الا بمصالحهم الخاصــة حتى انهم كانوا يتدخلون بامور الدولة لتوجيــه الامور حسب مصالحهم ، فلذلك اصبحت قيادة الجيش غير قادرة على تثبيت اركان الملك المتداعى بالرغم من كثرة جندها وحسن تسليحه •

الغارة على بغداد

بعد ان تزود المثنى بالزاد وأخذ علف الحيوانات من أهل الانبار طلب من حاكمها ان يرسل معه الادلاء الى بغداد للغارة على المدائن ، ثم اتخـذ طريق البر الى بغداد ونعتقد انه طريق الفلوجــة ـ الكاظمين الكائن شمال طريق بغداد ـ الفلوجة حاليا وبعد ان قطع اكثر من نصف المســافة اعطى

---

(٥٦) راجع المعجم ياقوت •

(٥٧) لقد سرت بهذا الطريق عند استطلاعى للمنطقة ونكاد نجزم بأن هذا الاتجاه هو الذى سار عليه المثنى فى غارته هذه •

فترة استراحة لقواته ، ثم تقدم الى بغداد وكانت المسافة الباقية لاتزيد على خمسة فراسخ وهى ما تساوى ستة عشر ميـــلا فاصبح فى السوق ووضع السيف فى أهله ، وأخذ هو وجماعته ماخف حمله وغلا ثمنه ، وامر رجاله أن لايحملوا اكثر مما يحمل الفرس وبهذا نبه رجاله الى عـدم الطمع ، حيث كان القصد من الغارة القاءالرعب فى قلوب أعدائه واشغالهم بانفسهم واستطلاع حالة البلاد الفارسية التى لم يطلع على حالتها بعد ، فشجع الجند العربى على ضرب الفرس فى كل مكان وزمان ، ثم عاد الى الانبـار فالحيرة وفى طريقه الى الانبار نزل السيلحين(٥٨) فسمع جماعة من جنده يتناجون خشـية طلب الفرس فقـال لهم : تناجـوا بالبر والتقـوى ولا تناجوا بالاثم والعدوان ، انظروا فى الامـور وقدروها ثم تكلموا ، انه لم يبلـغ النذير مدينتهم ، ولو بلغهم لحال الرعب بينهم وبين طلبكم ، ان للغارات روعات تنتشر يوما الى الليل ولو طلبكم المحامون من رأى العين لما ادركوكم وانتم على العراب حتى تنتهوا الى عسكركم وجماعتكم ، ولو ادركوكم لقاتلتهـم لاثنين ، التماس الاجر ورجاء النصر ، فثقوا بالله واحسنوا الظن به ، فقـد نصركم فى مواطن كثيرة وهم اعد منكم ، وسأخبركم عن الغارة وعن انكماشى والذى أريد بذلك انخليفة رسـول الله (صلعم) أبا بكر اوصـانا أن نقلل الخرجة ونسرع الكرة فى الغارات ونسرع فى الاوبة . وهذا يدل على أن أبا بكر قد اصدر الوصايا الى قادة جنده ـ للقيام بالحركات فى العراق .

تطهير ضفة الفرات الغربية

كانت قبيلتا تغلب والنمر تسكنان ضفة الفرا تالغربية متحالفتين مـع الفرس وكان خالد بن الوليد قد قاتـل تغلب وشتت شملها وطهر المنطقـة منها ، ولكن بعد مسير خالد الى الشام وتطور الموقف بصالح الفرس رجـع

---

(٥٨) السيلحين ـ طسوج قرب بغداد بينه وبينهـا ثلاثة فراسـخ قريـة وراء عقرقوف تسميه العـامة الصالحين ، وهى التى بات بهـا المثنى واصبح واغار على بغداد . ـ مراصد الاطلاع .

بعض القبيلتين الى مناطقها ، ولم يكن العرب ليأمنوا جانبهما لذلك كان على المثنى أن يسعى لتطهير هذه الضفة ، وخاصة أن خطة الخلافة فى الفتح كانت التقدم باتجاه المدائن – ولا بد أن المثنى كان قد اطلع على هذه الخطة ولذلك وجب عليه أن يسعى لتطهير هذه الضفة من بقايا هاتين القبيلتين المواليتين للفرس شمال خط الحركات المقبل الحيرة – المدائن حيث أن المنطقة التى تقع الى جنوب هذا الخط قد اصبحت أمينة كما ان المنطقة التى شمال محور الحركات هذا تشتمل على مراعى طيبة تستفيد منها حيوانات الجيش العربى اثناء فترة التحشد خاصة ، فلذلك ارسل المثنى عتبة بن النهاس للقيام بهذا الواجب ثم سار المثنى بأثره وتقدم فيما بين دجلة والفرات (فى منطقة الجزيرة) حتى وصل الى شاطىء تكريت(٥٩) .

اثر معارك المثنى فى معركة القادسية

يحسن بنا ان نذكر اثر معارك المثنى بن حارثة فى معركة القادسية اذ أنه بعد انتقال خالد الى الشام ، اصبح موقف القوات العربية دفاعيا فى العراق ، وكان على الجيش العربى أن يحتفظ بالحيرة كقاعدة للحركات المقبلة ، فهى نصل السهم للهجوم على المدائن ، أما الفرس فعليهم ان يستعيدوها من العرب بأى ثمن لانها القاعدة السوقية المهمة فى ضفة الفرات الغربية لكى يتمكنوا من طرد العرب من العراق لهذا جرت المعارك المتتالية فى هذه المنطقة للسيطرة عليها(٦٠) .

وفى هذه الفترة تمكن الفرس من توحيد كلمتهم واتفقوا على تسليم

---

(٥٩) راجع بن خلدون ج ٢ ص ٣١ طبع مصر .

(٦٠) ان اهمية الحيرة فى كونها مدينة كبيرة فيها مخازن للطعام وهى على مركز المواصلات بين المدائن والانبار والبصرة (الابلة) كما ان السيطرة عليها تجعل القوات العربية حرة فى التنقل بين اطراف السواد والجزيرة والضفة الغربية للفرات (كما حدث فعلا) عدا انها تسيطر على مراعى كثيرة وواسعة تساعد الجيش الذى يسيطر عليها على تأمين رعى حيواناته واسقائها .

السلطة الى (بوران) احدى بنات كسرى وأزيلت الاحقاد بينهم موقتا[٦١] فكان من البديهى أن ترسل القوات لطرد العرب وقد تمكنت القوات الفارسية من الانتصار على العرب واستعادوا المنطقة من ايديهم سوى بعض المناطق التى ليس لها اهمية سوقية ، فاستهدف المثنى بعمله انتزاع هذه المناطق من أيدى الفرس واعادتها الى الحضيرة العربية ، ولهذا فحركات المثنى كانت حركات سوقية مهمة كانت الغاية منها الاحتفاظ بهذه المنطقة اما فى الفرس فقد نبهتهم الى الخطر الذى يحيق بدولتهم فأخلصوا النيات واتفقوا على العمل سوية ولكن لم يكن ليفيدهم هذا الاتفاق اذ انه جاء متأخرا بالرغم من انهم بدأوا يجهزون حملة كبيرة كانت نتيجتها معركة القادسية .

---

(٦٠) راجع الفصل الثانى من نفس الكتاب لترى الموقف الداخلى فى فارس ، ويلوح لنا انه بالرغم من هذا الاتفاق الظاهرى فان الفرس بقيت نفوسهم غير مرتاحة من بعضها الامر الذى يشير صراحة الى قرب زوال هذه الدولة المتفسخة .

الفصل الثانى

معركة القادسية

الموقف الداخلى فى فارس • موقف قوات الطرفين قبيل المعركة • وضع قوات العرب العام • تنظيم الجيش الفارسى • تنظيم الجيش العربى • أسلوب القتال لدى الطرفين • أسلحة الطرفين • اعلان التعبئة العامة لدى العرب والفرس • الحركات التى سبقت تحشد الجيوش • المفاوضات • وصية المثنى •

المعارك الدامية

يوم ارماث • يوم أغواث • يوم عماس • يوم القادسية • انتصار العرب والمطاردة • خسائر الطرفين • غنائم الجيش العربى • تأثير المعركة فى الفرس والعرب

ما ان انتهت معارك المثنى التمهيدية فى العراق وبدأ بغاراته فى السواد حتى تنبه الفرس الى الخطر المحدق بهم ، فشعروا بأنهم مقبلين على أيام عسيرة ما لم يوحدوا جهدهم فان العرب فى مهاجمتهم العراق فى هذه المرة يهدفون الى السيطرة عليه وطرد الفرس منه وهمهم نشر راية محمد (صلعم) على هذه الربوع ، كما شعروا ان النكسات التى منوا بها كانت نتيجة اختلافاتهم فيما بينهم فلذلك عليهم ان ينهوا هذه الاختلافات لكى تتوحد قيادتهم ليضمنوا النجاح .

وقد اجتمع الزعماء الفرس فى المدائن وعلى رأسهم (رستم والفيرزان) وهما القائدان الكبيران فى فارس ورئيسا اكبر حزبين فيها ، فطلبوا اليهما ان يصفيا الخلافات فيما بينهما قبل ان يفقدا بلادهما وعزهما نهائيا وينكبا فارس فى عزها وملكها وتاجها[١] وقد جاء فى بعض المراجع ان الفرس قالوا لرستم والفيرزان « انتما فى اختلاف والمسلمون يمخرون السواد ، وما تنظرون والله الا ان ينزل بنا ونهلك ، والله ما جر هذا الوهن علينا غيركم يامعشر القواد ، لقد فرقتم بين اهل فارس وثبطتموهم عن عدوهم ، والله لولا أن فى قتلكم هلاكنا لعجلنا لكم القتل الساعة ، وان لم تنتهوا لنهلكنكم ثم نهلك وقد اشتفينا منكم »[٢]

وقد كان الفرس لايطيعون الا رجلا من آل كسرى (من العائلة السياسانية الحاكمة) فهو البيت الكسروى الذى قاد فارس الى العزة والهناء والسؤدد ، وكان عليهم ان يجدوا رجلا من بقايا هذا البيت الذى يحترموه لكى يسلموه الملك وحتى يتسنى لهم ذلك أسند الامرالى بوران ابنة كسرى موقتا وكانت ذات عقل وحكمة تعدل بين الناس دائما وكلما الم بهم حادث

---

(١) راجع الطبرى ٤ ص ٨١

(٢) هذا دليل على ان الاختلاف شديدا بين زعماء فارس مع العلم ان رستم كرديا والفيرزان عجميا ونعتقد ان الاختلاف كان حول تولى الملك فلا يمكن ان يتم التفاهم بينهما سريعا .

وهى قادرة على تمشية أمور المملكة حتى وجدوا (يزدجرد) فسلموه الملك[٣] .

وما ان استقر يزدجرد حتى بعث القوات الى انحاء العراق المختلفة لطرد العرب منه فارسل رتلا باتجاه الابلة وآخر باتجاه الحيرة وثالثا باتجاه الانبار ومفارز الى نقاط المقاومة الاخرى .

وضع القوات العربية العام

كانت خطة الخلافة الاسلامية فى المدينة المنورة هجومية باتجاه العراق ودفاعية باتجاه الشام غير أن تحشد القوات الرومانية البيزنطية السريع أجبر القيادة العربية على تبديل خطة الفتح فصارت الهجوم باتجاه الشام والدفاع باتجاه العراق[٤] الا ان حركات المثنى بن حارثة فى العراق بعد ان فصل خالد بن الوليد منه الى الشام ومراجعته المدينةالمنورة وتشجيعه الجند العربى على الاستمرار فى مهاجمة فارس ساعدت الخلافة على ارسال الجيوش من الجزيرة الى العراق ومـا ان انتهى فتح الشام حتى كانت القوات العربية قد اكملت تحشدها فى العراق فأمر الخليفة قائد جيش الشام (أبو عبيدة بن الجراح) ان يرسل أهل العراق اليه ويبقى معه خالد بن الوليد . لان الرومان البيزنطيين لايسعهم ارسال قوات جديدة لاخراج العرب من سورية ، واذا كان فى نيتهم ذلك فانهم لايقدرون على ذلك الا بعد مرور مدة طويلة بسبب بعد قواعدهم ولان العرب قد تمكنوا من تدمير اقوى جيش جهزوه حتى الان ، واذا كان بنيتهم التعاون مع السكان من القبائل الموتورة من العرب فيتطلب ذلك فترة طويلة ايضا[٥]

(٣) قيل ان عمره احدى وعشرين سنة وكان بعيدا عن أمور الملك .

(٤) لقد جرى تغيير الخطة من دون ان يؤثر ذلك على مواقف القوات فى العراق تأثيرا سيئا اذ ان الانسحاب الى حدود البادية ساعد على المحافظة على سلامة القوات وهـذا هو منتهى ما يستهدفه القـادة عنـد وضع الخطط (المرونة) .

(٥) راجع فتح الجزيرة فى الفصل الثالث نفس الكتاب .

لذلك فان الموقف مساعد على الاشتباك مع الفرس بمعركة فاصلة فى العراق ٠

اما فى الجزيرة فقد سمح الخليفة للمرتدين لان يشتركوا فى القتال فى معارك الفتح وكانت معنوياتهم كبيرة جدا حيث انهم آمنوا بأن ما وعدهم الله حق وانه جل جلاله منجز وعده بأنهم سيملكون العالم ، وان لهم من القوة ما يتفوقون بها على الروم والفرس فلم يعد هنالك فارس الاسد والروم الاسد انما اصبحت العرب الاسد ٠

انسحاب القوات العربية

عندما وصلت الانباء الى المثنى بأن الفرس ارسلوا القوات فى اتجاهات مختلفة فى العراق وانهم اتحدوا ، قدر موقفه فعلم ان لاقبل له بمواجهة هذه القوات فى عدة اماكن وخاصة ان قواته كانت موزعة فى مناطق متعددة فى العراق ، فلذلك امر بالاجتماع فى منطقة واحدة وكتب الى الخليفة عمر بن الخطاب يخبره الخبر ٠

اما الفرس سكان المناطق التى سيطر عليها العرب فانهم عندما رأوا تقدم قواتهم ثاروا ونقضوا العهود التى كانت بينهم وبين العرب فكان انسحاب قوات المثنى عملا صحيحا ولا يمكن ان يكون احسن منه ٠

فلما وصل كتاب المثنى الى عمر بن الخطاب ارسل اليه الكتاب التالى يأمره بالانسحاب الى حدود البادية « اما بعد فاخرجوا من بين ظهرى الاعاجم وتفرقوا فى المياه التى تلى الاعاجم على حدود ارضكم وارضهم ، ولا تدعوا فى ربيعة احدا ولا مضر ولا حلفائهم احدا من اهل النجدات ولا فارسا الا اجتلبتموه فان جاء طائعا والا حشرتموه ، احملوا العرب على الجد اذ جد العجم ، فتلقوا جدهم بجدكم » وامرهم بالانتظار حتى يصلهم امره ٠ ومن هذه الرسالة المختصرة تظهر النقاط التالية :ــ

١ ــ أن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) أمر المثنى بسحب القوات من

العراق وهى نفس الخطة التى كان المثنى قد طبقها ، وهذا هو التوافق الحسن بين القيادة العليا وبين القيادة فى الميدان وهذه الصفة هى ميزة القائد القدير الذى يحسب لكل أمر حسابه بصورة صحيحة •

٢ ـ أن الخليفة أراد العرب أن يقاتلوا العجم على حـدود أرض العرب وهى نفس خطة السوق العربى القديم فى قتال الفرس لأن البادية خير حصن للعرب فيما اذا لم ينتصـروا على عـدوهم فهى أمهم الرؤم التى تحتضنهم وتحميهم من مطاردة الفرس والروم ، وهى نفسها التى حفظت لهم حريتهم عندما كان الاسكندر المكدونى قد أخضع الامم الواحدة تلو الاخرى فقدمت له الطاعة سوى العرب فلا بد من أن يقاتلوا على حدودها ، لان الفرس غير قادرين على تحمل ضراوتها •

٣ ـ ان الخليفة أمر أن تحشد جميع جهود العرب لمقـاتلة الفرس فهو قد أعلن النفير العام فى قبيلتى ربيعة ومضر وحلفائهما ، وليس لأحد عذر فى التنصل من القتال فمن جاء طائعا فيها والا فيجب أن يشرك فى القتال مرغما لأنه سيقاتل عن مستقبل الامة العربية •

٤ ـ أن فارس قد جدت فى الامر وأن المعركة المقبلة ستكون حاسمة فى النزاع بين الفرس والعرب ويجب أن تتحشد القوات الكافية للقتال قبل الاشتباك فى المعركة معهم ولذلك أمر العرب أن لا يتقدموا حتى يصل اليهم أمره لكى يتم التحشد ، وبناء على أمر الخليفة فقـد تفرق الجيش العربى فى أمواه العراق على حـدود البادية بالجل من شـراف الى غضى (٦) فى نزل متقاربة يساعد بعضها بعضا ومن ملاحظة الخريطة نرى أن هذه المنازل لايبعد

(٦) فى رواية ان العرب تفرقوا ما بين غضى الى القطقطانة الكائنـة قرب الكوفة حاليا ونعتقد ان ما كان متقدما الى القطقطانة هو المفـارز التى وكل اليها واجب مراقبة العدو ،اذ لابد وأن ترك المثنى بعض القطعات فى المواقع الامامية القريبة من مواقع الجيش الفارسى لارسال الاخبـار ، ولكن هـذا لايعنى ان منطقـة التحشد كانت قريبة من الفرس بهـذه النسبه ، ومـا اثبتناه فهو الاصح •

بعضها عن البعض الآخر اكثر من مرحلة يوم واحد وهى منازل المياه المنتشرة على حدود البادية مع أن أقرب هذه المنازل الى المواقع الفارسية يبعد ما لا يقل عن مرحلتين وقد تصل الى أربع مراحل ، هذا بالاضافة الى أن الطريق يخلو على الاغلب من المياه سوى بعض الآبار التى لا تؤمن الميـــــاه الكافية للجيش الكبير الذى يترك الفرات باتجاه البادية •

٥ ـ ويلوح لنا أن العرب قد طبقوا الخدمة الاجبارية فى الحرب باجبار القادرين على الالتحاق بالجيش •

اعلان التعبئة العامة فى الجزيرة العربية

وبعد أن أرسل الخليفة الكتاب المار الذكر الى المثنى كتب الى عماله فى جميع أنحاء الجزيرة العربية باعلان التعبئة فيها وهو ما ندعوه اليوم بالنفـــير وجاء فى كتابه (لا تدعو أحـــــدا له سلاحا أو فرسا أو نجـــدة أو رأيا الا انتخبتموه ، ثم وجهتموه اليّ ، والعجل العجل) •

وقد قال رضى الله عنه عندما بلغه جـد الفرس فى الامر وانهم هيئـــوا قواهم « والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب » فلم يدع رئيسا ولا ذا رأى ولا ذا شرف ولا ذا سطة ولا خطيبا ولا شاعرا الا رماهم به ، فرماهم بوجوه الناس وغررهم (٧)

وبما أن القتال مع الفرس أصبح قتال حياة أو موت لاحـــدى الامتين الفارسية أو العربية فلا بد اذا أن يجند الخليفة القوى المختلفة للأمة العربيـة فطلب الى الذين كانوا قد ارتدوا بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يلتحقوا بالجيش العربى وكان الخليفة الاول (أبو بكر الصـديق) لا يستعين بهم ، غير أن الوضع العام قد تغير فى الجزيرة العربيـة فاصبح لزاما الاستعانة بهم لأن : ـ

١ ـ أن القتال فى زمن الخليفة الاول كان لتطهير الجزيرة وتوحيدهـا

---

(٧) راجع الطبرى ج ٤ ص ٨٧

على رأى واحد وقد تم ذلك (٨)

٢ ـ أن العرب قد توسعوا فى سورية وقواتهم منشغلة فى تحريرها ولا يصح سحب هذه القوات من الشام ، وأن القتال مع الفرس الذين جدوا فى الامر يتطلب قوات كبيرة

٣ ـ استشهاد الكثيرين من العرب فى معارك التوحيد فى الجزيرة وفى معارك تطهير ضفة الفرات من الرجال المخلصين فى سريرتهم فوجب الاستفادة من الذين كانوا قد ارتدوا فان لم يقاتل هؤلاء عن الدين والعقيدة فانهم سيقاتلون للدنيا حتما ، وأن القيادة العربية التى ستتولى الامر هى التى ستوجه الامور الى مصالح الدين والدنيا معا فلا خوف من اشتراكهم فى القتال للفتح اذا •

٤ ـ ان ابقاء الذين ارتدوا بعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) خارج القتال سيجعلهم يشعرون أنهم غير مرغوب فيهم ، وأنهم ليسوا من الدولة الاسلامية العربية وباشتراكهم فى القتال مع الفرس يزيل منهم هذا الشعور ويجعلهم يشعرون أن انتصار المسلمين على الفرس انما هو نصر الامة العربية أجمع •

٥ ـ ان اشتراك الذين كانوا قد ارتدوا فى القتال يعنى أن الامة العربية قد جدت فى الامر وهى تريد استعادة المجد العربى ، وخاصة مع الفرس الذين لهم معهم ثارات قريبة منذ أيام سابور ذى الاكتاف •

مناطق التحشد (التجمع)

وقد كانت مناطق الاجتماع للجيش العربى اثنتين :ـ

المنطقة الاولى : ـ المدينة المنورة ـ وهى للجند المقاتل الذى يلبى الدعوة من نواحى الجزيرة المختلفة وهو بعيد عن المثنى وقوات العراق التى كانت على حدود البادية •

---

(٨) راجع معارك التوحيد فى كتاب القائد الخالد خالد بن الوليد طبع بغداد سنة ١٩٥٥ للمؤلف

المنطقة الثانية :ـ منطقة تجمع القوات العراقية المرابطة مع المثنى والذين يلبون الدعوة من الرجال القريبة مناطقهم من العراق •

من هو القائد

فلبى العرب الدعوة للجهـــاد فى سبيل الله الذى وعـــدهم بأن يرثوا أرضهم وأموالهم وديارهم وأرضا لم يطأوها ، وأخذ الجند العربى فى التوارد مستبشرين بالنصر ، وعلى الخليفة أن يعين القائد ، فمن هو الذى سيتولى قيادة الجيش فى القتال مع الفرس ؟ فهؤلاء المهاجرون والانصار لا ينضوون تحت لواء غير صحابى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الطبقـــــة العلية (الارستقراطية) فى قريش لا تقبل بغير قريشى ، ولســـنا نلومهم فى ذلك لانهم فى بدء نهضتهم •

فلما وقف الخليفة عمر بن الخطاب (رض) خطيبا فى المسلمين وطلب اليهم أن يلبوا داعى الجهاد قالوا له (سر ، وسر بنا معك) (٩) فخرج الخليفة فى الاول من شهر محرم الحرام فى السنة الرابعـــة عشرة للهجرة ونزل صرارا (١٠) وعسكر به وخلف على المدينة على بن أبى طالب (رض) وعلى مقدمة جيشه طلحة وعلى مجنبتيه الزبير وعبدالرحمن بن عوف •

وما أن عرف الصحابة قراره هذا حتى اجتمعوا اليه وأبدوا له غير هذا الرأى فقال عبدالرحمن بن عوف « اجعل عجزها بى ، وأقم وابعث جندا فقد رأيت قضاء الله لك فى جنودك قبل وبعد ،فانه ان يهزم جندك ليس كهزيمتك وانك ان تقتل أو تهزم فى أنف الامر خشيت أن لا يكبر المسلمون ، وأن لا يشهدوا أن لا اله الا الله أبدا (١١) ، وكان هذا رأى صائب فقبله الخليفـــة فوقف فى الناس خطيبا وقال « ان الله عز وجل قد جمع علـيّ الاسلام وأهله،

---

(٩) الطبرى ج ٤ ص ٨٤
(١٠) صرار ــ ماء قرب المدينة
(١١) الطبرى ج ٤ ص ٨٣

فألف بين القلوب وجعلهم فيه اخوانا ، والمسلمون فيما بينهم كالجسد ، لايخلو منه شيء من شيء أصاب غيره وكذلك يحق على المسلمين أن يكونوا وأمرهم شورى بينهم بين ذوى الرأى منهم فالناس تبع لمن قام بهـذا الامر ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعا لهم ، ومن أقام بهذا الامر تبع لأولى رأيهم وما رأوا لهم ، ورضوا به لهم من مكيدة فى حرب كانوا فيه تبعا لهم ، يا أيها الناس ، انى انما كنت كرجل منكم حتى صرفنى ذووا الرأى منكم عن الخروج فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلا وقد أحضرت هـذا الامر من قدمت ومن خلفت» (١٢) فتمكن الخليفة من افهام الناس أنه كان متهيئا لقيادة الجيش الى العراق ، غير أن الصحابة لم يوافقوه على رأيه وهم الذين صرفوه عنـه ، وهم قادة الرأى فى الدولة الاسلامية الفتية ، وأن رأى الجماعـة هو الرأى المصيب ، وليس له أن يخالف الاجماع فى الرأى وقد أمر القرآن بالشورى فهو دستورهم الذى يجب أن لا ينحرفوا عنه قيد شعرة كما أن الناس فهموا أن ليس لهم الا الطاعة والتقدم للقتال بمعنويات عاليـة والجنـدى ان أفهم الاسلوب الصحيح فلا يداخله الشك فى أعمال قادته ، وهـذه حالة يجب معالجتها جيدا •

بعد أن قرر الخليفة البقاء أخذ يفكر فى القـائد الذى تسلم اليه قيادة الحملة الى العراق ، وبينما هو وقادة الرأى يفكرون بذلك ، ورد الى المدينـة المجاهدون من هوازن ، ومعهم كتاب سعد بن أبى وقاص واذا فـيه « انى قد انتخبت لك الف فارس مؤد كلهم لهم نجدة ورأى وصاحب حيطة يحوط حريم قومه ويمنع ذمارهم ، اليهم انتهت احسابهم ورأيهم ، فشأنك بهم » •

فقال الناس ، وجدته •

قال فمن ؟ قالوا الاسد عاديا

قال من ؟ قالوا سعد بن أبى وقاص •

---

(١٢) الطبرى ج ٤ ص ٨٣

فارسل اليه ، فحضر فسلمه قيادة الجيش العربى وكان عامله على هوازن .

وصية الخليفة الى سعد

فلما عينه قال له « يا سعد بن وهيب ، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله (صلعم) وصاحب رسول الله (صلعم) فان الله عز وجل ، لا يمحو السيء بالسيء ، ولكنه يمحو السيء بالحسن ، فان الله ليس بينه وبين أحد نسب الا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الامر الذى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم منذ بعثه الى أن فارقنا فالزمه ، فانه الامر ، هذه عظتى اياك ان تركتها ، ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين (١٣)

ولما أراد الخليفة أن يسرحه بجيشه الى العراق بعد أن كمل تجمع القوات دعاه اليه وقال له : « انى قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتى فانك تقدم على أمر شديد كريه ، لا يخلص منه الا الحق فعود نفسك ومن معك الخير واستفتح به ، واعلم أن لكل عادة عتادا ، فعتاد الخير الصبر ، فالصبر الصبر على ما أصابك وأنابك يجتمع لك خشية الله ، واعلم أن خشية الله تجتمع فى أمرين ، فى طاعته واجتناب معصيته ، وانما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة ، وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة ، وللقلوب حقائق ينشئها الله انشاء ، منها السر ومنها العلانية ، فاما العلانية فان يكون حامده وذامه فى الحق سواء ، وأما السر فبظهور الحكمة من قلبه على لسانه ، وبمحبة الناس فلا تزهد فى التحبب ، فان النبيين قد سالوا محبتهم ، وأن الله اذا أحب عبدا حببه ،واذا أبغض عبدا أبغضه ، فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس ، ممن يشرع معك فى أمرك (١٤) ، فسار

---

(١٣) الطبرى ج ٤ ص ٨٤

(١٤) راجع العقد الفريد طبع مصر ج ١ ص ٦٨

سعد الى العراق وكان مقدار القوة التى سار بها من المدينة تبلغ (٤٠٠٠) مقاتل ٠

ثم كتب له الرسالة التالية نثبتها لسمو الوصايا التى فيها وأهميتها العسكرية البالغة وهى :

أما بعد ، فانى آمرك ومن معك من الاجناد بتقوى الله على كل حال فان تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا اشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لان عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، والا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحوا منهم ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ، ولا تقولوا أن عدونا شر منا فلن يسلط علينا فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى اسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ، وأسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله ذلك لنا ولكم ٠ وترفق بالمسلمين فى مسيرهم(١٥) ولا تجشمهم مسيرا يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم فانهم سائرون الى عدو مقيم حامى الانفس والكراع وأقم بمن معك فى كل جمعة يوما وليلة حتى تكونوا لهم رائحة يحيون فيها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم(١٦)

---

(١٥) يميل القائد الى الاسراع فى الوصول الى مناطق تحشده للسيطرة على المواقع الحسنة ولذلك منعه من هذا الاسراع الا فيما يحفظ مقدرة الجند على القتال ٠

(١٦) هذه نقاط لاحظها الخليفة عمر فان اعطاء عطلة الاسبوع تعيد نشاط الجسم والتهيؤ للعمل المنتج ٠

ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك الا من تثق بدينه ولا يرزأ أحد من أهلها شيئا فان لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها فما صبروا لكم فتولوهم خيرا ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح (١٧) ، واذا وطئت أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم ولا يخفى عليك أمرهم ، وليكن عندك من العرب أو من أهل الارض من تطمئن الى نصحه وصدقه فان الكذوب لا ينفعك خبره وان صدقك في بعضه ، والغاش عين عليك وليس عينا لك ، وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا امدادهم ومرافقهم وتتبع الطلائع عوراتهم، وتنق للطلائع أهل الرأى والبأس من أصحابك وتخير لهم سوابق الخيل فان لقوا عدوا كان أول ما تلقاهم القوة من رايك ، واجعل أمر السرايا الى أهل الجهاد والصبر على الجلاد ولا يخص بها أحدا بهوى فتضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك ولاتبعثن طليعة ولا سرية في وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة ونكاية فاذا عانيت العدو فاضم اليك أقاصيك وطلائعك وسراياك واجمع اليك مكيدتك وقوتك ثم لا تعاجلهم المناجزة ما لم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتلته وتعرف الارض كلها كمعرفة أهلها فتصنع بعدوك كصنعه بك ، ثم أذك أحراسك على عسكرك وتيقظ من البيات جهدك ولا تأت بأسير ليس له عقد الا ضربت عنقه لترهب به عدو الله وعدوك والله ولى امرك ومن معك وولى النصر لكم على عدوكم والله المستعان ٠

خطة رستم

أما فى فارس فقد كان رأى يزد جرد الملك ورجال مملكته أن يكون رستم هو قائد الجيش الذى سيقاتل العرب ، غير أن رستما طلب الى الملك

(١٧) لايصح الاستعانة بالظلم لمحو الظلم فان النفوس لاتطمئن لذلك وانما ادفع الظلم بالعدل حيث تميل الشعوب اليه كما مالت الى العرب فى السابق ٠

أن يبقيه الى جانبه فهو ذخيرة القيادة الفارسية ، فأن فشل أو اصيب في القتال فلا أحد يقوم مقامه ، فابدى رغبته في البقاء وارسال غيره وهذا أهيب للدولة وأسلم لهم ، غير أن يزد جرد أبى الا أن يكون رستم على رأس الجيش وتسند اليه القيادة ، فلما رأى رستم اصرار الملك قال « ان الاناة خير من العجلة ، وللأناة موضع ، فقتال جيش بعد جيش امثل من هزيمة مرة وأشد على عدونا » •

الا أن يزد جرد لم يوافق على هذا الراى فطلب اليه أن يتقدم بسرعة، حيث أن أهل السواد كانوا يلحون على ارسال الجيش لطرد العرب من ديارهم لانهم غير آمنين على ما بايديهم ، لان العرب يرسلون الغارات المتتالية عليهم[١٨] ، وقد رأى رستم أن يرسل الجالينوس على رأس قوة ليقاتل العرب ويمده بالقوات اللازمة ، غير أن يزد جرد لم يوافقه أيضا على هذا الرأى وأصر على وجوب تقدمه بنفسه مسرعا لطرد العرب من العراق •وكان رستم يعتقد أن العرب ما تزال تهاب العجم ما لم يضربهم به ، وقد تثبت أركان الدولة الفارسية به فقال للملك « أيها الملك ، ان العرب لاتزال تهاب العجم ما لم تضربهم بى ، ولعل الدولة أن تثبت بى ، فيكون الله قد كفى ونكون قد أصبنا المكيدة ورأى الحرب ، فان الرأى فيها والمكيدة أنفع من بعض الظفر[١٩] ••••• الخ

واذا القينا نظرة على خطة رستم نجد أنها خطة رجل مجرب خبر الحرب وعرفها وعالم بنفسيات العرب ، فهو يريد أن يطيل أمد الحرب حتى يضجر العرب فيتفرقوا فيضرب الباقين منهم ضربة شديدة قاضية على جميع آمالهم ، وهذا هو ما ذكره الخليفة لجنده وقادتهم ، فقد ذكر لهم

---

(١٨) هذا ما كان يستهدفه عمر بن الخطاب والمثنى بن حارثه فى كثرة الغارات فأن الهدف الرئيسي منها كان تحطيم استعدادات العذو عدا تأمين ما يحتاجه الجيش •

(١٩) راجع الطبرى ج ٤ ص ٨٩

أن الفرس سوف يطاولونهم في الوقت وطلب اليهم أن يوطنوا أنفسهم لهذه المطاولة فتهيئوا لها وبقوا في مناطق تحشدهم ولم يتقدموا لكي يضجر الفرس فيرسلوا القوات لمقاتلتهم بخطة غير الخطة التي يريدها قادتهم ، كما جرى ذلك فعلا .

أما يزدجرد فكانت خطته تتجلى في المثل الذي ضربه لرستم في أثناء المحاورة بينهما فقد سأل رستما أن يصف له العرب فقال رستم « صفة ذئاب صادفت غرة فافسدت » فقال يزدجرد « لا ، انما مثلهم ومثل أهل فارس كمثل عقاب أوفى على جبل يأوي اليه الطير بالليل فتبيت في سفحه ، فلما أبصرته الطير لم تنهض من مخافته ، وجعلت كلما شذ منها طائر اختطفه ، فلو نهضت نهضة واحدة ردته وأشد شيء يكون في ذلك أن تنجوا كلها الا واحد ، وان اختلفت لم تنهض فرقة الا هلكت فهذا مثلكم ومثل العرب ، فاعمل على قدر ذلك[20] .

ومن هذا يظهر أن خطة يزدجرد هي الاشتباك بمعركة فاصلة مع العرب وعدم المطاولة في الوقت أو في المعارك ، وهذه خطة مقبولة من وجهه القضاء على العدو مبكرا ، غير أن ذلك يتطلب تهيئة القوات اللازمة ، وهذا يتطلب وقتا طويلا ، وأن النهضة الواحدة ان انطبقت على الطير فلا يفقد منه الا واحدا ، فلا تنطبق على المعارك الفاصلة في القتال لان الفشل في هذه المعركة يسبب فقدان المملكة نهائيا ان لم تتطور الظروف بصالحها وعلى هذا تكون خطة يزدجرد ليست الخطة المثلى للتطبيق ، ونعتقد أن يزدجرد لم يكن غافلا عن ذلك انما سبب هذه المخالفة للقائد المسؤول عن القتال كان لعاملين هما ١ ـ ان السكان الموجودين في السواد يلحون على الدولة لارسال القوات لطرد العرب حيث أنهم غير آمنين على ممتلكاتهم ، وهذا يعني أن

---

(٢٠) ان الوضع الذي في فارس يشير الى أن اعداء رستم ارادوا التخلص منه فاقنعوا الملك .

السياسة قد تدخلت فى أمور القيادة العسكرية فدفعتها الى القتال فى الوقت غير المناسب لاحراز النصر •

٢ ـ ان الاختلافات فى فارس أدت الى تزاحم الاضداد فى البلاط الفارسى ، فاراد اعداء رستم أن يحرجوه فيسببوا له الضرر وبهذا ضحوا بمصالح المملكة فى سبيل مأربهم ولنا أن نفكر فى هذا بسبب الاختلافات التى كانت سائدة فى فارس ذلك الوقت كما ذكرنا ذلك وخاصة أن رستم من العنصر الكردى لا الفارسى •

ذكرنا اختلاف النظرتين بين رستم ويزدجرد ، وانهما كانا يفكران بخير الاساليب لمقاتلة العرب ، غير أنهما لم يكونا عالمين بعقيدة العرب الجديدة وايمانهم الذى جاؤا به الى العالم فى خرجتهم هذه ، فانهم بخروجهم هذه المرة لم يكونوا قد جاؤا للرعى ، انما جاؤا يريدون تحرير العالم من نير الاستعباد ومن ظلم الاقطاع ونشر الامن بين الناس ونشر عقيدتهم (لا اله الا الله ، محمد رسول الله) فلذلك فهم يقاتلون لاحدى الحسنيين (الجنة والنصر أو الشهادة فى سبيل الله والنصر) وهذه العقيدة لم تكن مفهومة لدى الفرس كما سيظهر لنا من المفاوضات التى دارت بين الطرفين ، بينما الواجب على كل قائد ان يعرف عن عدوه كل المعلومات المتيسرة ليتمكن من مقاتلته ، لا أن يقاتله وهو لا يعرف عن عقيدته شيئا • وكان لدى الفرس الوقت الكبير لمعرفة أكثر ما يمكن من المعلومات عن العرب الذين كانوا يهاجمونهم فى العراق منذ ثلاث سنين ، ولكنهم لم يعرفوا عنهم الا انهم قوم حفاة عراة جياع ، جاؤ ليتزودوا من بلادهم لا غير ، بينما الواقع هو غير هذا فالجوع هو ليس السبب الرئيسى لهذا الفتح(٢١) •

كانت خطة العرب موضحة فى وصية المثنى بن حارثة الى سعد بن ابى وقاس التى جاء فيها أن لا يقاتل الفرس فى عقر دارهم ، انما يقاتلهم على

---

(٢١) راجع عوامل الفتح العربى ـ نفس الكتاب •

ادنى حجر من أرض العرب وأدنى مدرة من أرض العجم، فان انتصروا فلهم ما وراءها ، وان فشلوا انسحبوا الى البادية التى يعرفون طرقها بامان حتى يتمكنوا من اعادة الكرة ، ويساعدهم الجمل فهم ينجحون حيث يصل هذا الحيوان الذى امتازوا باستخدامه والاستفادة منه اكثر من الفرس والرومان وقد جاء فى كتاب الخليفة عمر بن الخطاب الى سعد بن ابى وقاص ...

« واعلم فيما لديك انك تقدم على أمة عددهم كثير ، وعدتهم فاضلة ، وبأسهم شديد ، وعلى بلد منيع وان كان سهلا ، كؤد لبحوره وفيوضه ، ودآدائه الا أن توافقوا غيضا من فيض ، واذا لقيتم القوم فابدؤهم الشدة والضرب واياكم والمناظرة لجموعهم ، ولا يخدعنكم فانهم خدعة مكرة ، أمرهم غير أمركم ، الا أن تجادوهم ، واذا انتهيت الى القادسية ، والقادسية باب فارس فى الجاهلية ، وهى أجمع تلك الابواب لمادتهم وما يريدونه من تلك الاصال، وهى منزل رغيب خصيب حصين ، دونه قناطر وأنهار ممتنعة ، فتكون مسالحك على أنقابها ويكون الناس بين الحجر والمدر وعلى حافات المدر والجراع بينهما والزم مكانك فلا تبرحه ، فانهم اذا أحسوك انغصتهم ، رموك بجمعهم الذى يأتى على خيلهم ورجلهم وحدهم وجدهم ، فان أنتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونويتم الامانة ، رجوت ان تنصروا عليهم ، ثم لايجتمع لكم مثلهم أبدا ، الا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم ، وان كانت الاخرى كان الحجر فى ادباركم ، فانصرفتم من ادنى مدرة من أرضهم الى ادنى حجر من ارضكم ثم كنتم عليهم أجرأ وبها أعلم ، وكانوا عنها أجبن وبها أجهل ، حتى يأتى الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكرة ... »

ومن هذه الوصية يظهر أن الخليفة أمر سعد بن ابى وقاص بعدم التوغل فى أرض فارس ما لم يقض على قواتهم الرئيسية فى القادسية ، فينفتح الطريق أمامه الى المدائن ، فان أرادوا الوقوف أمام القوات العربية فيما بعد فتكون قواتهم ضعيفة .

وفى كتاب الخليفة هذا ما يثبت ما ذهبنا اليه من أن العرب لايقاتلون الا على حدود ارضهم ولا يتوغلون فى الهلال الخصيب الا بعد أن يقضوا على قوات العدو • فهى خطتهم الفضلى •

كما نبه الخليفة سعدا بعدم المناظرة مع الفرس لألايعرفوا فيهم ثغرة يستفيدون منها والعرب قديما لا تطيل بقاء الوفود المرسلة من قبل العدو فى معسكراتها ، كما أن هذه الفكرة كانت وصية الخليفة الاول الى قادة جنده •

وفى رسالة اخرى أمر الخليفة سعدا بعدم التقدم وترك منطقة القادسية حتى يتقدم عدوه اليه ، كما أمره أن يراقب جناحه الايمن من اتجاه الابلة (البصرة) بارسال قوات الى هذا الاتجاه فارسل المغيرة على رأس قوة لحماية هذا الجناح عددها (٥٠٠) مقاتل وقد كتب سعد الى الخليفة أن القوات العربية منتشرة فيما بين غضى الى القطقطانة فامره الخليفة أن يجمع القوات اليه فى القادسية ويسحب حامية الابلة التى بقيادة ـ المغيرة ، وقد كان المثنى قد وزع القوات عندما أمرهم الخليفة بالانسحاب من السواد ـ ونعتقد أن قوات الجيش العربى الامامية كانت بالقطقطانة والعذيب لاجل الانذار بتحركات العدو ولتكون ستارا للعرب بينهم وبين الفرس •

قوة الجيش الفارسى

عند تقدم قوات الفرس من المدائن الى القادسية كانت المقدمة مؤلفة من (٤٠ر٠٠٠) مقاتل ، والكوكب (القسم الاكبر من الجيش) بقوة (٦٠ر٠٠٠) مقاتل والساقة (المؤخرة) بقوة (٢٠ر٠٠٠) مقاتل ، فيكون مجموع القوة الفارسية (١٢٠ر٠٠٠) مقاتل ، منهم خمسة عشر الف شريف متبوع ، وكان يسند القوات الفارسية ثلاثة وثلاثون فيلا [٢٢] وبهذا تكون الدولة الفارسية قد هيأت القوة الكافية لطرد العرب والتنكيل بهم ، وفى الحقيقة أن هذه القوة كافية جدا لو أحسنت القيادة الفارسية استخدامها

(٢٢) راجع تاريخ بن خلدون ج ٢ ص ٣١٦

والاستفادة منها ، أو كان الايمان الذى يقاتل به جنود فارس يشابه الايمان الذى لدى الجندى العربى ولكن الفرق كبير بينهما .

قوة الجيش العربى .

لبى ابناء الجزيرة العربية النداء الذى وجهه الخليفة اليهم ، يشجعهم النصر الذى أحرزه المثنى على الفرس ، وقد ورد فى المراجع التاريخية أن سعد بن ابى وقاص تحرك بجيشه البالغ اربعة آلاف مقاتل من المدينة المنورة نحو العراق ، وأمره الخليفة أن يفرق جيشه فى مياه منطقة زرود[٢٣] ويندب من حولها من الرجال للانضمام بالجيش من كل ذى نجدة ورأى وقوة وعدة، ثم أمده بقوة بلغ عددها (٢٠٠٠) مقاتل من أهل اليمن ثم أرسل اليه (٢٠٠٠) مقاتل نجدى وانظم اليه (٤٠٠٠) من رجال تميم والرباب مع (٣٠٠٠) محارب من بنى أسد على أن ينزلوا على حد أرضهم بين الحزن والبسيطة وكانت منطقة أسد وتميم أقرب مناطق القبائل العربية الى العراق ، فكانوا بمنطقتهم بين قوات سعد وقوات المثنى التى تفرقت فى مياه العراق ، وكان تعداد قوات المثنى يقارب ٨٠٠٠ مقاتل من ربيعة منهم (٦٠٠٠) من بكر وائل (ربيعة الاسد) والفان من سائر ربيعة ومعه قبيلة بجيلة من اليمن (٢٠٠٠) مقاتل وبعد وصول سعد الى شراف التحق به الاشعث بن قيس بقوة (٣٠٠٠) مقاتل[٢٤] .

ولما كان عدد من وزعت عليهم الغنائم بعد معركة القادسية (٣٠٠٠٠) مقاتل وان خسائر العرب بلغت (٨٥٠٠) شهيد فى معركة القادسية فيكون عدد الجيش العربى المقاتل فى ابتداء معركة القادسية (٣٨٥٠٠) مقاتل[٢٥] .

---

(٢٣) زرود جبل زرود أى بلوع والزرد البلع ، ولعلها سميت بذلك لابتلاعها المياه لانها رمال بين الثعلبية والخزيمة بطريق الحاج من الكوفة .
(٢٤) تاريخ بن خلدون ج ٢ ص ٣١٦
(٢٥) الطبرى ج ٤ ص ١٧٣

وصية الخليفة للجند

ولما أن سمح الخليفة لسعد بالمسير من المدينة قام في الناس خطيبا وقال « ان الله تعالى انما ضرب لكم الامثال ، وصرف لكم القول ليحيي بها القلوب فان القلوب ميته في صدورها حتى يحييها الله ، من علم شيئا فلينتفع به ، وأن للعدل امارات وتباشير ،فأما الامارات فالحياء والسخاء والهين واللين ، وأما التباشير فالرحمة ، وقد جعل الله لكل امر بابا ، ويسر لكل باب مفتاحا ، فباب العدل الاعتبار ومفتاحه الزهد ، والاعتبار ذكر الموت بتذكر الاموات، والاستعداد له بتقديم الاعمال والزهد وأخذ الحق من كل أحد قبله حق ، وتأدية الحق الى كل أحد له حق ، ولا تصانع في ذلك أحدا ، واكتف بما يكفيك من الكفاف ، فان من لم يكفه الكفاف لم يغنه شيئا ، اني بينكم وبين الله وليس بيني وبينه أحد ، وان الله قد الزمني دفع الدعاء عنه ، فانهوا شكاتكم الينا ، فمن لم يستطع فالى من يبلغناها ، ناخذ له الحق غير متعتع[(٢٦)]

ومن هذه الخطبة التي اوجز فيها الخليفة القول وفصل حكمها لجنده، نرى من الواجب التنويه عن نقطة من أهم النقاط في القيادة وهي العدل بين الجند وأخذ الحق لاصحابه ، وانه سمح للجند أن يوصلوا ظلامتهم اليه سواء من تمكن من ايصالها بنفسه اليه أو بواسطة الرجال اللذين عينهم الخليفة لذلك ، وهذا منتهى ما يطلبه الجندي اذ يتقدم الى القتال ، وان العدل والمساوات بين الجند ، أولى دعامات النجاح •

موت المثنى

بينما كان سعد بن أبي وقاص بزرود يشجع القبائل العربية على الالتحاق بجيشه وقوات المثنى متفرقة في مياه العراق اذ انتقض على المثنى الجرح الذي اصيب به في معركة الجسر فمات على أثر ذلك ، ولكنه لم يشغله الجرح عن واجبه تجاه امته فاوصى اخاه المعنى أن يلتحق بسعد وحمله

---

(٢٦) نفس المصدر ص ٨٦

وصية طلب اليه ان يوصلها باسرع وقت الى سعد بن ابى وقاص وكان المعنى مع زوجة اخيه (سلمى بنت خصفة التميمية) قد نزل القادسية فاشـــغله قابوس بن قابوس بن المنذر الذى وعده الفرس بان يتولى امارة الحيرة ان تمكن أن يجمع من العرب من يجتمع عليه ليقاتـــل العرب المســـلمين ، فلما فرغ المعنى منه أسرع الى سعد وهو فى شراف وأعطاه الوصية ويذكر فيها المثنى بن حارثة « أن لا يقاتل عدوه وعدوهم (يعنى المسلمين من أهـل فارس) اذا استجمع أمرهم ومالوهم فى عقر دارهم وان يقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب وأدنى مـدرة من أرض العجم ، فان يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما ورائهـــا ، وان تكن الاخرى فاؤا الى فئة ، ثم يكونوا أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم الى أن يرد الله الـــكرة عليهم » ، وهذه هى فكرة الخليفة عمر بن الخطاب فى خطته للقتـــال ، كما ورد فى أوامره الى سعد ثم أمّر سعد المعنى بدل اخيه المثنى على قومه بعد أن ترحم عليه ، ثم خطب زوجته سلمى وتزوجها اكراما للمثنى ولها .

من هو المثنى

وبموت المثنى بن حارثة الشيبانى انتهت صفحة من صفحات جهـــاد العرب ضد الفرس الذى كان يتزعمه بنو شيبان من بكر وائل ، ذلك الجهاد الذى ابتدأ قبل الاسلام وانتصروا فـــى يـــوم ذى قار على الفرس * واستمر نضالهم بقيادة المثنى حتى جاء الاسلام فاندفع أشبال الجزيرة الى الهـــلال الخصيب ليطهروه من الفرس والروم .

ولا يجوز لابناء الامة العربية أن يمروا على اسم هذا البطـــل العربى المسلم من دون أن يعرفوا نسبه وموجز اعماله التى قام بها خدمـــة للدين والدولة الاسلامية الناشئة والفقيرة من كل مادة تهىء لها النصر الا الايمان

* سيصدر للمؤلف كتاب يوم ذى قار وفيه يبين نضـــال بنى شيبان ضد الفرس والكفاح بين القومية العربية وبين الاعاجم .

به ، فلذلك يجب علينا أن نذكر هنا موجزا عن هـــذا العربى الكريم الذى جاهد الفرس لوجه الله ، لا طمعا فى مال ولا جـاه ** فهو من بنى شيبان من بكر وائل القبيلة العربية التى لم ترضخ لحكم الفرس وبقيت تناضل فى سبيل تحرير العراق من الحكم الاجنبى فيه ، فتوجت نضالها بمعركة ذى‌قار التى قال عنها الرسول الاعظم (صلعم) هذا اول يوم انتصف به العرب من العجم وبى نصروا) فاصبح المثنى ربيب هذا اليوم التاريخى العظيم •

والمثنى هو بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعيد بن مرة بن ذهل بن شيبان بن عجل بن ثعلبة بن عكابـــة بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن ناسط بن هنب بن أقصى بن‌جديدة بن أسد بن ربيعـة • فهو فى النسب فى أعلى أرومة فى العرب وله فخر النسب على كثير من غيره من أبنـــاء القبائل • ولأن كان الرجال ينجحون بدرايتهم وحسن تدبيرهم للامـــور ، فان للنسب تأثير كبير فى علو المهمة وطلب الرفعة •

والمثنى صاحب العلاء الحضرمى فى مقـــاتلة المرتدين فى البحرين لاعادتهم الى حضيرة الدولة العربية الاسلامية الناشئة وهو أول من هـــاجم الفرس فى العراق فهو أسد العرب على الفرس قبل وصول خالد بن الوليد الى العراق وصاحب الصولة الاولى وقائد الزمرة الاولى فى حرب التحرير العربى ، غير خامل الذكر ، رفيع العماد ، ومثل من أمثلة التضحية والتفانى فى خدمة الامة العربية فى صدر الاسلام ، اذ بينما هو يقود ثمانية آلاف من المقاتلين الشجعان من بنى شيبان ينضم طائعـــا الى خالد بن الوليـــد ويعمل بقيادته ثم لا يلبث الموقف أن يتطور فيعود الى قيـــادته بعد مسير خالد بن الوليد الى الشام وبينما هو يؤدى واجبه على أحسن وجه يأتيه أمر الخليفـة بالانضمام الى أبى عبيـــد ويعمل بامرته (وهو اكثر كفاءة منه فى قيـــادة القوات) فينكب الجيش العربى فى واقعة الجسر فيقف حاميـــا له مضحيا

** كان الاستاذ عبدالستار القرغولى قد اصدر كتابا عن المثنى وفيـه شرحا وافيا لمن اراد ان يطلع على سيرة هذا البطل العربى المناضل •

بنفسه في سبيل انقاذ الجند العربي من المأزق الحرج مكتفيا من حظـــه من الدنيا أنه يعمل لخير الامـــة غير ملتفت الى منصب ولا جاه ، غير أن المنصب يركض اليه كلما الم بالجيش العربي ضائقة •

ذلك المثنى الذي تنعاه سلمى للخيل ، وأنى للخيـــل من قائد كالمثنى في معركة القادسية ؟ •

فأن ذكرناه اليوم فما نذكره الا لحسن تدبيره وبلائه في المعـــارك وتقديمه الحساب قبل العتاب ، ولنا أن نذكره فالخيل في معركة القـــادسية تريده بالرغم من بلاء المجاهدين الذين لم يكونوا مقصرين في قتال عدوهم•

وكأني بفرسه وقد رأت كيف أن الحرب قد كشرت عن انيابهـا وأن الخيل بحاجة الى من يقودهـــا قبل وصول القعقاع الى القـــادسية فصهلت « وامثنياه » فأجابتها سلمى – لا مثنى للخيل اليوم • – •

فرحم الله المثنى بن حارثة الشيباني وطيب ثرى شراف التي مات ودفن فيها ما دام في الدنيا نور وظلام ، وما دامت تذهب وتعـود الايام وجزاه الله خيرا في الدار الآخرة •

ما رأينـــا بالعراق أمـــيرا	مثل المثنى الذي من آل شيبانا
ان الامـــير القرم لا كذب	في الحرب اشجع من ليث بخفانا

(عروة بن زيد)

(وددت لو رأيت فتح جلولاء ولو قبل موتي بيوم واحد)

(المثنى)

حالة الدولتين العربية والفارسية

كانت حالة الدولة العربية عند معركة القادسية حالة طيبة فقد تواردت اليها الاسلحة والاموال الكثيرة من المناطق التي فتحها القادة الاول في فتوح العراق والشام وخاصة الغنائم التي حصلوا عليها من معارك خالد بن الوليد

والمثنى بن حارثة الشيبانى ، فأصبحت الدولة بحالة تمكنها من تجهيز الجيوش وامداد المقاتلين بما يحتاجون اليه من سلاح وتجهيزات ، كما تمكنت من امداد عوائل المقاتلين بمواد الاعاشة ، فلذلك أصبح الجندى العربي يندفع في القتال فلا يفكر بمن وراءه حيث أن هنالك حكومة ساهرة عليهم ، فهذا خير ضمان لهم ، كما أن رقعة الدولة اصبحت اوسع مما كانت عليه فى زمن الخليفة الإول واستتب الامن فى الجزيرة وارتفعت المعنويات . ولكن بالرغم من ذلك الحال الحسن فقد بقى التسليح من النوع الخفيف فليس لدى الجيش العربى أسلحة ثقيلة كما سيرد فى بحث التسليح ، وأن الدولة فقيرة بالنسبة لثروة الدولة الفارسية المليئة خزينتها بالمال ، فقد احصيت جباية الدولة فى عهد كسرى أبرويز لعام ثمانية عشر من حكمه فكانت أربعمائة وعشرين الف الف [٢٧] وفى الخزينة أموال اخرى من ضرب فيروز يزدجرد منها اثنى عشر ألف بدرة من الورق فى كل بدرة مصارفة أربعة آلاف مثقال من الذهب فيكون مجموعها (٤٨٫٠٠٠٫٠٠٠) مثقال ، ومن صنوف الجواهر والطيوب والامتعة والآنية ما لا يحصيها الا الله وغنائم الجيش العربى فى فتح المدائن ما يدل على هذا الثراء [٢٨]

وقد كانت رقعة الدولة الفارسية ذات الجند الكثير والمدجج بالسلاح المختلف تمتد من الفرات غربا الى الصين والهند شرقا ومن نهر سيحون والتركستان وجبال القفقاس شمالا الى البحر العربى والهند جنوبا ،وتشتمل على بلاد ايران الحالية والبختيارية والولايات الصغرى فى اواسط قارة آسيا والعراق والجزيرة [٢٩] ولها المقدرة التامة على تسيير الجيوش الجرارة من

---

(٢٧) راجع مقدمة بن خلدون ـ طبع مصر

(٢٨) راجع فتح المدائن نفس الكتاب .

(٢٩) ان سيطرة الفرس الفعلية على العراق ابتدأت فى سنة ٦٠١ م بعد قتل النعمان بن المنذر راجع العقد الفريد ج ٢ وفود النعمان الى كسرى لترى النضال بين النعمان والفرس فى سبيل السيطرة على العراق ، كما سيصدر للمؤلف كتاب يوم ذى قار يبين فيه هذا الكفاح ومسبباته ونتائجه

غير تكليف لخزينتها يؤثر على تسيير أمور الدولة كما يؤثر ذلك على الدولة العربية الناشئة ، (راجع خارطة الدولة الفارسية فى عهد كسرى أبرويز)

غير أن الدولة والشعب كانا يعانيان من مشكلة الانقسامات الداخلية كثيرا ، فالمانوية ، والمزدكية ، والزرادشتية ، قد قسمت عقائد الشعب وكان نفوذ رجال الدين والنبلاء يهدد النظام الملكى الساسانى اذ أنه فى سنة ٦٢٨م بعد وفاة قباذ الثانى تدخل النبلاء فى شؤون الدولة بصورة لم تكن بصالحها، فخلعوا عددا من الملوك بينهم بنتين من بنات كسرى الثانى ، ولذلك لم يعد بامكان قيادة الجيش الفارسى تثبيت دعائم الملك المتداعى الذى ينهكه النظام الطبقى بخلاف الدولة العربية التى لا أثر لنظام الطبقات فيها ، والتى أساس العمل فيها العدل ولا اثر للنظام الطبقى فيه • وكانت طبقات الدولة الفارسية كما يلى : ـ (٣٠)

اولا ـ طبقة الروحانيين ـ (آثروان) وهى الطبقة التى تقوم بالواجبات الدينية وكان لها تأثير كبير فى البلاط وفى توجيه الامور فى المملكة فى اواخر عهد الدولة الساسانية •

ثانيا ـ الطبقة العسكرية ـ (جنكيها ـ آرتش تاران) وهى الطبقة المسؤولة عن الدفاع عن الدولة غير أنها لم تكن لها الحرية الكافية فى العمل فقد كانت السياسة تلعب دورا كبيرا فى توجيه الامور العسكرية * ولذلك لم يكن بامكانها تثبيت دعائم الملك •

ثالثا ـ طبقة الموظفين ـ (دبيران) وكانت هذه الطبقة تقوم بتمشية أمور الدولة الفارسية ، غير أن الدهاقين الاقطاعيين كانوا يوجهون الامور بالنسبة الى مصالحهم الخاصة ، غير مهتمين بأمور الدولة ، لذلك فسدت الرعية والموظفون ، فلم يخلصوا العمل والنية لدولتهم •

---

(٣٠) راجع (دستانهاى) ايران قديم ـ متمم ايران باستان ـ فارسى تأليف حسن بيدنيا ـ طبع طهران •

رابعا ـ طبقة العمال والفلاحين والكسبة ـ (واس ترى يوشان وهتخشان) وقد كانت هذه الطبقة متذمرة من وضع الدولة وغير مخلصة ، وقد أنهكتها الضرائب التى تجبى منها ، ففى زمن كسرى أنو شروان مثلا كانت الضرائب درهما عن كل جريب من الحنطة ، أو شعير ، والارز نصفا او ثلثا ، وعن كل أربعة نخلات فارسية درهما ، وكل ستة نخلات دقل درهما ، وكل ستة اصول زيتون درهما والكرم ثمانية دراهم ، والرطب سبعة دراهم ، يدفعها الفلاح للحكومة عدا ما يأخذه أصحاب المقاطعات منهم (٣١) واذا ما علمنا أن القسم الغالب من جند الجيش من هذه الطبقة لتجسم لنا الخطر الذى كانت الدولة الفارسية مقبلة عليه ، فهم سوف لا يستميتون فى الدفاع عن المملكة تجاه العدو وخاصة تجاه العرب الذين كانوا بتماس معهم منذ ثلاث سنوات وعرفوا عدلهم ورأفتهم ، والذين كان العدل هوالسائد بينهم وحقوقهم مضمونة وسوف نرى كيف ترك قسم من الجيش الفارسى الجيش والتحقوا بالجيش العربى يقاتلون معه ضد الفرس أنفسهم فى معركة القادسية نتيجة لهذا التذمر الذى ساد هذه الطبقة ووضع المملكة الفارسية العام (٣٢) .

خامسا ـ وهناك طبقات ممتازة فى الامبراطورية الساسانية وهى : ـ

١ ـ شترداران (شهر داران) وهم الملوك والامراء التابعون لحكم الامبراطورية الفارسية .

٢ ـ طبقة القادة والامراء ـ وهؤلاء يكلفون بواجبات خاصة (حسب أوامر كسرى كما نعتقد) .

---

(٣١) راجع معظم المصادر التاريخية ، ابن خلدون ، الكامل فى التاريخ ، فتوح البلدان ، وغيرها .

(٣٢) راجع القتال فى معركة القادسية نفس الكتاب .

٣ ـ وزركان (بزركان) ويكون الذى يشغل هذا المنصب حاضرا عند اصدار كل أمر ملكى •

سادسا الدهاقين وهم الطبقة التى كانت حلقة الوصل بين الطبقات العليا والشعب في الدولة الفارسية وبين الشعب والفلاحين وهى ذات التأثير المباشر فى الناس غير أن هذه الطبقة فسدت ففسدت اخلاق عامة الناس •

التشكيلات الادرية فى الدولتين

كانت الدولة الفارسية مقسمة الى مقاطعات كثيرة يدير كل منها رئيس وزراء (مرزبان) مثل مرزبان ارمنستان (ارمينية الفارسية) وخوارزم (خارزم) وحدود الروم والخزر •

وكان كرسى كل مرزبان من الفضة عدا مرزبان الخزر فكرسيه من الذهب ، وقد كان عدد المقاطعات ازمان الفتح العربى ستة وعشرين مقاطعة لكل منها شاه فيكون كسرى شاهشاهان (ملك الملوك) وكانت اهم هذه المقاطعات هى ، نيشابور ، مرو ، سرخس ، هرات ، زارلستان ، كابل ، سغد (الصغد) ، سمرقند ، بخارى ، فرغانه ، خوارزم (خارزم) ، سيستان ، مرورد ، كركان ، باميان ، بادغيس (٣٣) •

ويدل هذا على أن السلطة كانت غير مركزية ، وأن هذا التنظيم يسهل ادارة الدولة ، لو لم تكن هنالك الاختلافات التى أضعفتها •

أما الدولة العربية فلم يكن لديها تشكيلات واسعة فى ابتداء معركة القادسية سوى العمال الذين كانوا يجبون الاموال من القبائل فى الجزيرة ، وامارة الشام ، ولم يكن لدى العرب هذه المناصب والالقاب التى كانت لدى الفرس سوى جماعة الصحابة الكرام مع العلم ان هذه الجماعة لم يكن لها أى امتياز سوى فى العطاء الذى فرضه عمر بن الخطاب لجميع رجال الدولة ،

---

(٣٣) راجع دستانهاى ايران قديم ـ حسن بيدنيا ـ طبع طهران ـ فارسى •

باعتبارها الطبقة الاولى التى ضحت بنفسها ونفيسها فى سبيل الإسلام منذ ابتداء دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى الآن كما انها قد عافت الدنيا وما فيها فى سبيل ارضاء خالقها جل جلاله ولها الاستشارة فقط ، وكانوا يشتغلون بنية خالصة لا يخالطها اى طمع فى الدنيا حتى ان الخليفة الاول قد اوصى ببيع قطعة ارض كان يمتلكها لتسديد الرواتب التى كان يتقاضاها من الخزينة عند مماته لحصول شك لديه بصحة أخذه هذه الرواتب من بيت مال الدولة وآخر خرج من الدنيا وليس له فيها شروى نقير ، والرابع باع سيفه وهو خليفة ليشترى به ثوبا يستر به جسده ، وأمة يكون قادتها مثل هؤلاء يكون النصر فى ركابها لا محالة .

أما أهم الولايات وبالاصح الاعمال فكانت ، مكة ، الطائف ، اليمن ، البحرين ، العراق فى القسم المحرر منه ، ونعتقد أنه لا بد من وجود آخرين فى الاقسام الاخرى مثل الشام ، وحضرموت ، ومسقط .

تنظيم وتسليح الجيشين

اولا ــ الجيش الفارسى

كان اعتماد الجيش الفارسى على الخيالة بصورة رئيسية ، أما المشاة فلم يكن اهتمامهم بتدريبه كثيرا ، لان المشاة يقاتلون مع الفيل الذى يسد النقص الذى فيهم ، ونظرا لانهم من أبناء الفلاحين والكسبة فنعتقد أنهم كانوا يجندون وقت الحاجة اليهم وتبقى الخيالة هى الجيش الدائمى .

انواع الخيالة

كانت الخيالة الفارسية على ثلاثة أنواع وهى :ــ

اولا ــ الخيالة الشجعان او الابطال .

ثانيا ــ الخيالة الفدائيون ــ ويناط بهذا القسم الواجبات الصعبة كما

أنهم يقومون بحراسة الملك • *

ثالثا ـ الخيالة المتطوعون ـ وتؤلف من قوميات مختلفة من أجناس الامبراطورية •

المشـــاة

كان الجند المشاة يجمعون من أبناء الفلاحين بواسطة (الدهـاقين) ولم نجد ما يشير الى النظام الذى يجمع به هؤلاء الجنـود ـ ويرسلون الى المعركة ولا تدفع لهؤلاء رواتب فهى خدمة اجبارية ، وكثيرا ما كان هؤلاء يفرون من المعارك ، فلذلك كانت تعطى اليهم واجبات خارج ساحة القتـال ، واذا لزمت الحاجة الى اشتراكهم فى القتال فيتقدمهم جند فارس مع الفيل ، وكثيرا ماكان هذا الاسلوب يفيدهم فى قتالهم ضد الرومان •

التســـليح

كانت الخيالة الفارسية تسلح بالاسلحة التالية : ـ

اولا ـ الخيالة المدرعة ـ وهـــذا النوع من الخيالة يلبس جنودهـــا الدروع الكاملة من الحـــديد ويسلحون بالسيوف والرمـــاح ، ورماحهم على نوعين :

١ ـ الرماح الطويلة وهى التى تستخدم فى مقاتلة الفيلة فى الجيش المعادى •

٢ ـ الرماح القصيرة ـ وهى رماح الطعن ضد الجند المعادى لهم •

وقد شابه الفرس فى تدريع الخيالة غرمائهم الرومان غير أننا لم نجد ما يشير الى انهم استخدموا هذا التدريع فى معركة القادسية •

ثانيا ـ خيالة الهجوم ـ ويسلح هذا النوع من الخيالة بالقوس لرمى

---

* اذا عدنا الى التاريخ الفارسى القديم نجد أن هذه الخيـــالة هى التى أنقذت دارا من الاسر الذى كاد أن يقع فيه فى معركة فى شمال سورية (فى منطقة الاسكندرونة حاليا) ضد الاسكندر المكدونى •

النبال والسيوف والقضيب ذو الرأس المدبب (كرز) والطبر والرماح والدرق (الترس) •

ومما يلاحظ في هذا التنظيم أن الفرس كانوا يعتمدون على الخيالة كثيرا ومن التسليح يظهر أن الفرس كانوا يستعملون الخيالة حسب نوع التسليح ، فهذه خيالة للقتال المتنقل وتلك للقتال الدفاعي ، عندما تتكافأ القوات ، وقد ذكر المؤرخون بأن الجندي الفارسي ماهر في اصابة الهدف عند رمي النبال غير أن ضربات نبالهم غير قوية (قليلة الاختراق) وعند تدقيق النظر الى الرسوم والنقوش القديمة للرماة من الفرس نرى أن اغلبهم كان يسحب القوس أمام وجوههم لا الى الجنب ولهذا تكون الضربة ضعيفة حيث أنهم كانوا يهتمون بدقة الاصابة •

معلومات متفرقة عن الجيش الفارسي

للجيش الفارسي تقاليد موروثة منذ القدم وصلت الى العصر الساساني نذكر ما يلي منها للمعلومات :

١ ـ يحضر الجند الفارسي نهرا ما قبل القتال ويرمون فيه رمية لكل جندي استبشارا بالنصر •

٢ ـ قبل الاشتباك يظهر في الميدان أحد الابطال ويطلب المبارزة مردمرد وقد امتاز العصر الساساني بهذا النوع من المبارزات الفردية •

٣ ـ يحضر رجال الدين الى ساحة القتال لتشجيع الجند للحصول على الدنيا والآخرة •

٤ ـ تنصب للملك منصة عالية عندما يقود الملك الجيش وفي حالة غيابه يستعمل المنصة قائد الجيش ، وقد كان لرستم في القادسية منصة من هذا القبيل أسماها العرب طيارة رستم وهي برج للمراقبة والاشراف على سير القتال •

٥ ـ لاحصاء الجيش قبل القتال يحضر الجند الى منطقة معينة ويرمي

كل جندى سهما فى قوصرة ثم يحصى العدد بعد الانتهاء من رمى الجند ، وتحفظ القوصرات وبعد العودة من القتال يأخذ كل جندى سهما مما فى القوصرات وما بقى من الاسهم فهو عدد الخسائر فى المعركة •

٦ ـ الرواتب ـ كان اكبر راتب فى الجيش هو راتب الملك ويبلغ (٤٠٠١) درهم وعند دفع الرواتب فى آخر الشهر يلبس كل جندى ملابسه وعدته الحربية كاملة فان وجد فيها نقص لا يدفع له الراتب ما لم يكمل النقص • ويذكر أن أنو شروان اضطر مرة الى أن يرجع الى داره ليلبس ملابسه العسكرية وعدته الحربية ليأخذ راتبه •

٧ ـ قيادة الجيش ـ لا تسلم القيادة الى أى قائد ما لم يكن قويا وقورا حكيما (هادىء الاعصاب) ومع ذلك فالطاعة عمياء والاوامر شديدة جدا •

٨ ـ ان راية الجيش التاريخية (درفش كاويان) مصنوعة من جلود النمور ، وكانت محترمة لدى الفرس ولا تخرج الا فى المعارك المهمة ويبلغ طولها اثنان وعشرون قدما وعرضها خمسة عشر قدما • وتبلغ قيمة المجوهرات التى فيها (٢٠٠٠٠٠٠) ريال ايرانى ، كانت حصة ضرار بن الخطاب الفهرى فى معركة القادسية وقد باعها بمبلغ (٢٠٠٠) ريال بعد القادسية * وتروى المصادر العربية أنه باعها بمبلغ ٣٠٠٠٠ كما سيأتى ذكره •

التموين فى الجيش الفارسى

اهتم الفرس فى تموين جيوشهم أكثر من غرمائهم الرومان فشكلوا المخازن والمستودعات للطعام وعلف الحيوانات • وقد كانت الانبار المدينة القديمة فى العراق احدى هذه المخازن وهى بادارة رئيس يسمى رئيس ادارة المخازن (ابنارك بذ) وهذه المخازن تكون قريبة من الحدود وفى

---

* الريال الايرانى حاليا وهذا المبلغ يساوى ٤٠٠٠ درهم سابقا ـ راجع دستانهاى ايران قديم ـ حسن بيدنيا ـ طهران فارسى

المناطق التى يحتمل أن يجرى القتال قربها • والانبـــار كانت على الفرات (قرب الصقلاوية حاليا بينها وبين الفلوجة) وهى على الطريق الذى تتقدم عليه الجيوش الفارسية والرومانية وبهذا يكون الجيش الفارسى متهيئا للقتال جيدا غير أن الوضع الداخلى فى فارس كان على جانب كبير من الخطـــورة فلم تتمكن القيادة من تثبيت الدولة •

اقسام الجيش الفارسى

١ ــ كند ــ جيش او ما يعادله من الاقسام الكبيرة فى الجيش الفارسى ويسمى قائده (سبهبذ) وله علم يسمى (دشت ها) •

٢ ــ درفش ــ ويؤلف عدة درفشات كندا •

٣ ــ دشتها ــ وعدة من هذه الوحدات تؤلف درفش ولم نجـد فى المراجع الفارسية والعربية وغيرهـــا أصغر من هذه الوحـــــدة فى التنظيم الفارسى ونعتقد أنها تقابل الكردوس فى الجيش العربى وقوته بين ٥٠٠ الى ١٠٠٠ مقاتل •

ثانيا ــ الجيش العربى

كانت تنظيمات الجيش العربى فى جميع معـــاركه السابقة على شكل كراديس يقودها رؤساؤها وهم رؤساء القبائل أو أبطالهم فى القيادة والقتال وهم من نفس العشيرة التى تتألف منها الكراديس * فلما تحشدت القوات العربية فى القادسية أمر الخليفة عمر بن الخطاب قائد قواته سعد بن أبى وقاص باجراء تنظيم جديد فكان أول تنظيم فى الجيش حدث فى عصر الاسلام(٣٤)

---

* الكردوس ــ وحدة القتال فى الجيش العربى للمشاة وكانت قوة الكردوس تتراوح بين ٥٠٠ الى ١٠٠٠ رجل يقوده احد القادة الشجعان من ذوى الخبرة فى الحرب ، ويقابله الفوج فى تنظيم الجيوش الحديث

الكتيبة ــ وحدة القتال للخيالة فى الجيش العربى وقوتهـــا تتراوح بين ٥٠٠ الى ١٠٠٠ مقاتل فارس بقيادة أحد الفرسان المشهورين بالشجاعة وحصافة الرأى ولها نفس الاسم فى تنظيم الخيالة فى العصر الحديث •

(٣٤) راجع معظم المصادر التاريخية بهذا الخصوص

فجعل آمر كل عشرة من الرجال عريفا . كما سمى أمراء الاعشار كما كان ذلك سائدا أيام الرسول صلى الله عليه وسلم فكان بامرة كل من أمراء الاعشار عشرة عرفاء وكان يقودامراء الاعشار امراء التعبية (آمرو الوحدات فى التنظيم فى العصر الحديث) . وبذلك أصبح العرفاء يقودون الخلية الرئيسية فى القتال (الحضيرة) . أما امراء الاعشار فيقودون قوة لا تقل عن مائة مقاتل وهم يقابلون امراء السرايا حاليا ، اما امراء التعبية فانهم يقابلون امراء الوحدات فى العصر الحديث وهؤلاء كان بامكانهم القيام بالاعمال بصورة مستقلة فى القتال . وقد استهدف سعد بن أبى وقاص أن تكون الكتائب والكراديس فى جيش القادسية من قبيلة واحدة فجعل كل قبيلة بكتائب خاصة ، فكان جنود الكتيبة الواحدة يغارون عليها ويسعون أن لا يأتى نقص من قبلها يضر الجيش العربى لان ذلك يضر بسمعة الكتيبة اولا ويضر بسمعة القبيلة بأجمعها ثانيا عدا أن ذلك قد يسبب نكبة للجيش العربى المسلم .

غير أن محاذير هذا التنظيم (جعل ابناء القبيلة الواحدة يؤلفون كتائب خاصة بها) انه اذا ازدادت الخسائر لاحدى الكتائب ولم يتيسر من الرجال من أبناء القبيلة وحدها لتعويض النقص الحاصل يسبب مشاكل لقائد الكتيبة فتبقى الكتيبة ناقصة الموجود ، وقد لاقى الجيش العربى بعض هذه المشاكل فى الكتائب المنظمة من منطقة واحدة ، غير أن محذورها هذا يمكن معالجته بتنسيب واجبات للكتيبة تتناسب مع موجودها ، على أن المحذور الكبير هو عدم وجود قائد منها ليقودها ولكن ذلك كانت تعالجه فكرة الشعور بالواجب كما يظهر لنا من دراسة التاريخ الاسلامى والمعارك فقد كانوا يتواهبون فى الحرب ويتركون حمية الاوغاد التى ان عمت جيشا من الجيوش فشل فى الحرب وان القيادة العامة فى المدينة المنورة كانت تنتقى خير القادة لتسلمهم قيادة القوات فى المعارك هذا عدا أن العرب يشعرون أن النصر هو الهدف

الرئيسى فى المعارك وهم يقاتلون به ، فلذلك لا مانع لدى أحدهم أن يكون بامرة أى قائد قدير ومن أية قبيلة كانت وقد سبق لهم أن ساروا الى حرب الروم بقيادة أسامة بن زيد ، وان الآية الكريمة فى القرآن الكريم (انما المؤمنون اخوة) كانت دستورهم

تسليح الجند العربى

اما تسليح الجند العربى فبالرغم من تيسر السلاح لدى العرب فى معركة القادسية فلم يكن كالتسليح الفارسى (وسيرد ذلك فى المقارنة بين السلاحين) واغلب الاسلحة كانت -

١ - السيوف - وهى السلاح الرئيسى فى معركة القادسية •

٢ - الرماح على انواعها - الرماح الطويلة والقصيرة والمزراق ويسلح بها الخيالة والمشاة كل حسب واجباته •

٣ - القوس والنبال - وقد كان العرب يصنعونها ويعرفون استعمالها ، حتى ان سعد بن ابى وقاص كان يبرى النبل قبل الاسلام •

الامور الادارية

لم يغب عن القيادة العربية فى المدينة ما يحتاجه الجيش من القضايا الادارية ولذلك لم يتركها الخليفة على قائد الجيش فارسل الاطباء لمداواة الجرحى والمرضى ، كما كانت النساء يمرضنهم فقد كن يجاهدن فى سبيل الله بعملهن هذا كما كن يسقين الماء ويهيئن الطعام للمجاهدين •

اما القضاء فقد عين من يقوم بواجباته فى الجيش ولم يترك ذلك على القائد الذى يثقل ذلك عليه وعين آخر للاقباض (حصة بيت المال من الغنائم - الخمس) وقد كان فى زمن الخليفة الاول يقوم بهذا الواجب قائد الجيش نفسه ، ولاشك فان انشغال القائد بهذه الامور تلهيه عن واجباته الرئيسية فى القيادة •

كما عين المترجمين والكتاب لتدوين الاعمال وتسهيل الاتصال بالاعداء ،

وبالطبع فان هذا كان نتيجة الحاجة والضرورة التى تظهر فى حينه ، ولكن الشيء المهم فى نظرنا هو وضع الحل المناسب لكل قضية تصادفها القوات وعدم ترك الامور على وضعها مما يدل على ثقافة واسعة الامر الذى أمن سير الامور من حسن الى احسين •

كما عين الخليفة داعية ومرشدين للجند لتفهيمهم امور دينهم ودنياهم، وبذلك حافظ العرب على الروح الوثاب فى الجيش نحو العزة والمجد وامنوا معنوية عالية فى مقاتلة العدو ، فكان على القضاء عبد الرحمن بن ربيعة الباهلى ذو النور وجعل اليه الاقباض وقسمة الفيء وكان داعيتهم ومرشدهم سلمان الفارسى •

وكان للترجمة هلال الهجرى •

وكان للكتابة زياد بن ابى سفيان (٣٥)

وهكذا عالج العرب الامور الادارية لجيوشهم بالنسبة لظروفهم الخاصة بهم وبالنسبة الى عصرهم ، فكان عملهم يدل على اهميتها لديهم فهى من الامور المهمة وهى من اسس الحرب التى لم ينتبه اليها القادة العسكريون من بعدهم ولم يعتبروها من اسس الحرب الرئيسية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية فى سنة (١٩٣٩ - ١٩٤٥ م) :-

ولم يكن العرب ليمتازوا على الفرس فى القضايا الادارية فهم يتساوون معهم ان لم يكن الفرس يتفوقون بها على العرب •

وكان على القائد العربى ان يعالج امور الاعاشة للجيش وكم من مرة اغار على السواد لتأمين مواد الاعاشة وخاصة اللحم (وقد كان هذا الاسلوب متعارفا فيما مضى فى ذلك العصر) بين الجيوش والشعوب المتحاربة وخاصة ان تعداد الجيش العربى كان (٣٨٫٥٠٠) رجل علاوة على عوائلهم ومواشيهم وخيولهم فكان لزاما على القيادة العربية ان تقوم بالغارات لتحصل على الطعام•

---

(٣٥) راجع الطبرى ج ٤ ص ٨٧ •

وقداحتاط قادة الجيش العربى فهيوأ مقادير كافية من الحنطة والشعير والتمر والحبوب الاخرى سوى اللحوم التى كانوا بحاجة اليها وقد كانت بعض غاراتهم تستهدف ذلك خاصة فكانوا يسمون الايام التى يغيرون بها باسم اللحوم ، فيوم الاباقر (كناية عن جلب البقر فى ذلك اليوم) ويوم الحيتان (كناية عن السمك) ، ولم يغفل الخليفة فى المدينة هذه الناحية المهمة فى الجيش فاخذ يرسل الغنم والجزور اليهم من الجزيرة ، وبهذا اصبح العرب اول من استخدم قواعد التموين للجيش ،وهذا ماجعل الجندى العربى يشعر بان الخلافة لايشغلها شاغل عن تامين احتياجاته وما يتطلبه وهذا ما يرفع معنويات الجندى المقاتل اكثر من اى عمل آخر ، وقد انتبه نابليون الى هذه الناحية بعد عمر بن الخطاب بثلاثة عشر قرنا فقال (الجندى يزحف على بطنه) •

مقارنات

لم يرد فى المراجع التاريخية عن استخدام الاسلحة الثقيلة لدى الجيشين المحتربين ، سوى استخدام الفرس للفيل فى مقاتلة العرب ،والسلاح الرئيسى فى القتال كان السيف والرمح والنبل ولايعزب عن بالنا ان المعركة كانت غير مستقرة (كالهجوم على الحصون والدفاع عنها) فلا تتطلب الاسلحة الثقيلة فقد كانت هجمات متتالية من قبل كل من الخصمين على الآخر ، وقد كان الفرس والعرب ماهرين فى استخدام السيوف فى القتال واستعمال الرماح بصورة جيدة لكلا الجندين ، ومما يدل على مهارة العرب فى استعمال السيوف كثرة اسماء السيف لديهم ، وكانت السيوف لها طول وثقل أكثر من السيوف والرماح المستعملة فى العصر الحديث •

اما الرماح فقد كان يبلغ طول قسم منها خمسة وعشرين قدما وهى تستعمل لمقاتلة الفيلة ويتسلح بها صنف الخيالة ومستعملة لدى الجيشين بمهارة •

أما الرماح القصيرة فيبلغ طولها ستة الى تسعة اقدام وكانت مستعملة لدى الجيشين وهي سلاح المشاة وقد تستعمل للرمى على العدو من مسافة قريبـــة •

اما النبل فقد برع الفرس بالاصابة بها بصورة دقيقة وكانت نبـالهم اقوى من نبال العرب حتى انهم كانوا يستهزؤن بنبال العرب ويقولون عنهـا (دوك دوك) اى مغازل وقد تكون ضخامة نبال الفرس احدى العوامل فى ضعف الضربة لها ، واذا كان ذلك فالعرب يتفوقون فى صنع النبال عليهم ، وشهادة الفرس بان النبال العربية كانت تهتك الترس القوية من تروسهـم دليلا على قوة ضربتها(٣٦) •

تنظيم القيادة

وقد كان تنظيم الجيش الفارسى على شكل كراديس (كتائب) شابههم بها العرب وان كان الفرس قد برعوا فى قيادة الكراديس واستخدامها ، فأن العرب قد انتصروا عليهم فى معركة ذى قار وكان تنظيم قواتهم على شكل كراديس فللعرب خبرة كبيرة فى قيادة الكراديس كما انهم باشتباكهم فى القتال ضد الرومان والفرس قد اكتسبوا خبرة واساليب اخرى امكنهم بها من الانتصار عليهم ، وعلى هذا يكون الفرس والعرب متكافئين فى استخدام القطعات وفى قيادتها كما انهما متكافئين فى انواع السلاح غير ان تسليح الفرس اكثر من تسليح العرب •

الخيل والفيـل

استخدم الفرس فى مقاتلة العرب الفيـــل الذى كان يفرق صفوفهم ويشتت قواتهم فهم يتفوقون به على العرب ، وكان الفيل هو العنصر المدرع فهو يقوم مقام الدبابات فى عصرنا الحديث ، وهو حصن مدرع متحرك يجلس على ظهره الرماة والمقاتلون الفرس وهم بامان من سيوف العـــرب

---

(٣٦) راجع فتوح البلدان ـ ص ٢٦٠ ـ البلاذرى ـ طبع مصر

ورماحهم والفيل نفسه مقاتل جبار ضد الخيل وقد رأينا تأثيره على العرب في معركة الجسر ، وخاصة ان طبيعة الخيل أن تنفر من كل شبح لم تكن متعودة على رؤيته ، ولهذا كانت الخيل العربية تنفر منه في المعركة فتسبب تطور القتال في صالح الفرس وعلى هذا وجب على القائد العربي ان يفكر في اتخاذ التدابير لمعالجة الفيلة وتدميرها واخراجها من المعركة(٣٧) .

اما الخيول لدى الجيشين فقد كانت من الخيول الممتازة فقد امتلك الفرس من الخيل العربية بنتيجة اتصالهم بالعرب ، غير ان خيول العرب اقدر على تحمل العطش والجوع من الخيول الفارسية التي كانت متعودة على وفرة الماء والطعام وذلك نتيجة جدب المنطقة التي كان العرب يعيشون بها فهي كفارسها العربي الذي يغالب الصحراء على الجوع والعطش بالرغم من ان العربي كان يعتني بفرسه وكان يفضل ان يبيت هو واطفاله على الطوى ليطعمها طعامهم ان لم يجد مايقيتها به .

ولكن بالرغم من هذا الامتياز لخيول العرب فلم يكن العرب يتفوقون على الفرس في الخيل كما تفوقوا على الرومان ، اذ انه لم يرد ان الفرس قد درعوا الفرس كما درعها الرومان لوجود الفيل لديهم ، ولهذا فقد حافظوا على سرعة الحركة لدى الخيالة فأفادتهم في اثناء القتال في القادسية(٣٨) .

الدروع والجنود

كان الجندي الفارسي يلبس الدروع من الحديد ومن الزرد ولديهم الترس من الحديد ، بينما كانت الدروع قليلة لدى العرب حتى انهم استخدموا الجريد بدل الدرع كما ان قسما منهم لايرغب في الدرع لانه يحدد حركته اثناء القتال ، اما التروس لدى العرب فقد كانت من الجلود وهي

---

(٣٧) سيرد ذلك في وقائع معركة القادسية

(٣٨) راجع هجوم القعقاع على قلب الجيش الفارسي وهجوم الخيالة الفرس المقابل لرده .

أخف من التروس التى لدى الفرس .

اما طعام الجنود فقد كان العربى يكتفى بكمية قليلة من التمر والدقيق، بينما يحتاج الجندى الفارسى الى اكثر مما يحتاجه غريمه العربى ، فلذلك كانت مشاكل التموين فى الجيش العربى اقل مما فى الجيش الفارسى .

على ان الجيش العربى وان بلغ درجة من التكافؤ مع الجيش الفارسى ، فلا زال يشكو نقصا كبيرا فى تسليحه وتجهيزه بالنسبة الى تسليح وتجهيز الجندى الفارسى الذى تصرف عليه الدولة الساسانية اكثر مما يصرف الجندى العربى على نفسه ، ولا شك ان التنظيم فى الجيش الساسانى كان اقدم من تنظيم الجيش العربى الاسلامى الحديث فلا زال التفوق لدى الفرس ، بالرغم من الغنائم التى حصل عليها العرب فى المعارك السابقة .

المعنويات

يقاتل العربى فى صدر الاسلام لاحدى الحسنيين (ظهور او شهادة) اى انه يقاتل وهو معتقد انه ان انتصر فهو يضمن الدنيا والاخرة وان قتل فقد فاز بالاخرة ، وفى كلا الحالتين فهو غير خسران ، وقد كان القادة فى المدينة المنورة والجزيرة العربية يفهمون الناس ذلك ويربونهم على علو الهمة والاستشهاد فى سبيل الله ، كما افهم الجند انهم لايقاتلون عدوهم بعدد ولا كثرة ، انما يقاتلون بالنصر ، كما اوضح ذلك الامام على بن ابى طالب لابى بكر الصديق الخليفة الاول عندما طلب القادة العرب النجدة منه قبيل معركة اليرموك فقال له « انا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ، انما كنا نقاتل بالنصر » حتى صارت هذه الفكرة عقيدة ثابتة لدى العرب المسلمين جندا وقادة .

كما ان اهتمام القيادة فى المدينة بابناء المقاتلين وعوائلهم واعطائهم احتياجاتهم من بيت المال (خزينة الدولة) جعل الجندى العربى لايفكر بأمر معيشة من سيبقى بعده من الذين يعيلهم ان هو قتل فى المعركة ، فان ضمان

الدولة كان كافيا ، والرجال المسؤلون كانوا امناء يسهرون على مصالح الافراد ورائدهم تأمين العدل بين الناس، وليس هنالك تفضيل بعض على بعض آخر الا بالاعمال ، فليس هنالك استغلال للنفوذ والجميع متساوون فى الحقوق يعملون بما أمر به القرآن الكريم ، واعتقاد الجند بانهم يقاتلون وهم على حق رفع معنوياتهم كثيرا ، يضاف الى ذلك العداء المستحكم بين الفرس والعرب منذ القدم ذلك العداء الذى تجلى فى عهد النعمان بن المنذر واسفر عن معركة يوم ذى قار[٣٩] .

هذه عوامل اجتمعت كلها فرفعت معنويات المقاتلين العرب وشجعتهم على الاندفاع فى المعارك ضد الفرس والتضحية بانفسهم ، هذا الى اعتقادهم الجازم بان الله جل جلاله لابد أن ينجز وعده لهم بالنصر ان هم اخلصوا النيات ، وأن رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم قد وعدهم النصر[٤٠] فبلغت معنويات الجند العربى ان اخذ الجنود يتبارون فى قتل عدوهم

ولا نغفل ان نذكر العرب فى فترة التفرق والضعف كانوا يسمون الفرس والروم (الفرس الاسد والروم الاسد) اما اليوم وقد تجرأ فتيان العرب على الفرس والروم اصبحت (ربيعة الاسد) لان هذه القبيلة اشتهرت بشدتها على الفرس وهكذا تغير الحال بعد ان اجتمعت العرب وتوحدت على راية واحدة (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم ..... الآية)

اما الجندى الفارسى فكان يقاتل عن مجد الامبراطورية الساسانية ويستميت فى المحافظة عليها غير ان مصلحة الفرد الفارسى غير مصلحة

---

(٣٩) ان سبب معركة ذى قار الحقيقى هو رغبة الفرس فى حكم العراق حكما مباشرا لمحاربة الفكرة العربية التى كانت تنتشر فى ذلك الوقت، وسيصدر لنا كتابا عن معركة ذى قار نشرح ذلك به شرحا وافيا .

(٤٠) راجع معركة الخندق فى جميع المصادر التاريخية المعنية بسيرة الرسول (صلعم)

الفرد العربي في القتال ، فالعربي يقاتل وهو مطمئن الى ان مصلحته تقضي ذلك بالنسبة الى الحياة الصعبة في الجزيرة العربية ، وان الخـــيرات كرفع التراب في العراق وعليه ان يضمن مستقبل الاجيال المقبلـــة بالاضافة الى العوامل السالفة الذكر بينما مصلحة الفرد الفارسي غير مضمونة فاناستغلال الطبقات العليا في الشعب واستغلال الدهاقين للفـــلاحين كان كبيرا ، وان ذوي النفوذ والاقطاعيين كانوا ينظرون الى مصالحهم الخاصة بالدرجة الاولى قبل مصلحة الدولة والشعب ، وكانت الضرائب كبيرة على الفلاح والكاسب الذي كان ملكا للمتنفذين وهم مستعبدين له ولابنـــائه ، وغير مخلصين لدولتهم ، فاصبح الجيش غير قادر على تثبيت دعائم الملك المتداعي رغم قوته التي يتفوق بها على العرب ، اذ ان هنالك انفصالا يكاد يكون تاما بين حكام الدولة وبين الشعب ولهذا لم يكن هنالك اخلاص لدى الفرد كمثيله لدى الفرد في الدولة العربية الناشئة، هذا مع العلم ان اتفاقالفرس على يزدجرد الملك قد خفف كثيرا من تفرق الامراء ، غير ان هذا جاء متأخرا وان الملك كان بعيدا عن سياسة الدولة ، فلذلك لا بد أن يؤثر عليه المقربون اليـــه في توجيه الامور بالنسبة الى مصالحهم ، (وقد رأينا كيف اجبر رستم على الحرب وهو قائد القوات بخطة غير خطته) فتقدم قادة الفرس الى المعركـة وهم مدفوعين اليها دفعا كما يتضح ذلك من كتاب رستم الى اخيـه والذي هو « اما بعد ، فرموا حصونكم واعدوا واستعدوا ، فكأنكم بالعرب قـــد وردوا بلادكم ، وقارعـــوكم عن ارضكم وابنـــائكم ، وقد كان من رأيي مدافعتهم ومطاولتهم حتى تعود سعودهم نحوســـا ، فان السمكة قد كدرت الماء وان النعائم قد حسنت ، والزهرة قد حسنت واعتـــدل الميزان ، وقد ذهب بهرام ولا ارى هؤلاء القوم الا سيظهرون علينـــا ويستولون على ما يلينا ، وان اشد ما رأيت ان الملك قال لتسيرن اليهم او لأسيرن بنفسي»(٤١)

---

(٤١) الطبري ج ٤ ص ٩٧ وما بعدها

وهذا الكتاب خير ما توصف به حالة الدولة الفارسية فهو صادر عن قائد القوات ويذكر به اوضاع الفرس والاختلافات فيمـــا بينهم بصورة واضحة لا تحتاج الى شرح طويل •

على ان القادة الفرس لا زالوا يعتقدون ان العرب انما دفعتهم الحاجة وحدها للفتح ، وكان رستم نفسه يعتقد ان العرب صادفتهم غرة من فارس فتشجعوا على مهاجمتها[(٤٢)] علاوة على ان هذا القائد الـــكبير فى الدولة الفارسية كان فيه كبر ولا يهتم كثيرا للعرب، ويتجلى كبره هذا فى محاورته للملك يزدجرد ، فهو يظن ان لا قائد قـــدير فى فارس غيره وان العرب تهاب الفرس بسبب وجوده ، وان قائدا تكون نفسيته كنفسية رستم فيـــه كبر لا بد ان يعلوه عدوه بالرغم منه فان لم يكن ذلك لكبر فيه فهو ضعف فى قادة الفرس واننا نعتقد ان الفكرة الاولى هى الصحيحة •

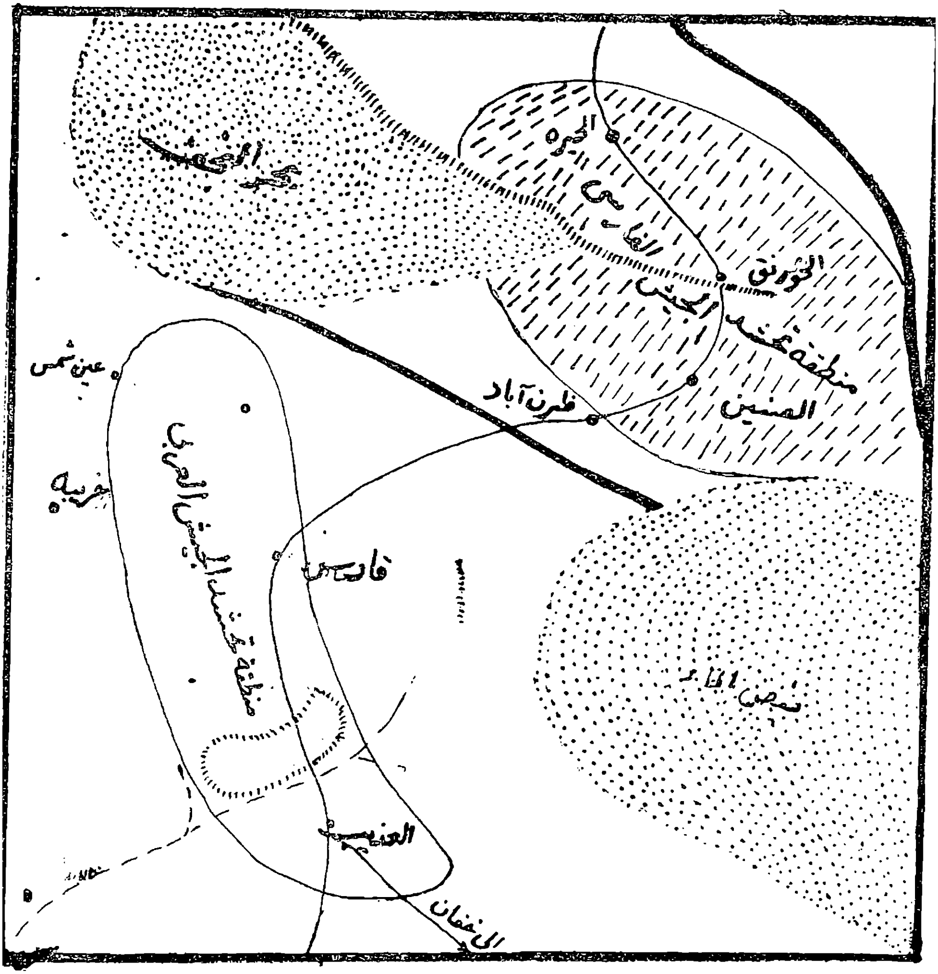
وبالطبع يكون الجيش الذى يحمل قادته هذه النفسية ويفكرون بهذه الافكار مخذول تجاه العرب الذين يفـكر قادة الرأى فيهم فى كل صغيرة وكبيرة ولا يتركون الامور على الايام ، ولا ينامون عن عـــدوهم مهما كان عدا ان العدو هو وريث الدولة الساسانية وان الجند يستبسلون فى القتـــال ليضمنوا العيش الكريم لابنائهم واحفادهم بينما يقاتل عدوهم وهو مرغم على القتال بل ويقاتل الفرد منهم فى غير مصلحته •

مناطق التحشد للجيشين

جاء فى كتاب الخليفة عمر بن الخطـــاب الى سعد بن ابى وقاص قائد جيش القادسية « ان القادسية باب فارس فى الجاهلية وانهـا مجمع الابواب وهى منزل رغيب خصيب دونه قناطر وانهار ممتنعـة وطلب اليه ان تكون مسالحه (معسكرات قواته) وتفرقها على المياه بين الحجر والمدر على حافات

---

(٤٢) راجع المناقشة بين رستم ويزدجرد والامثـــال المضروبة عن العرب من قبلهما •



خريطة رقم ٣

منطقة تحشد الجيشين العربى والفارسى

الحجر وحافات المدر » وهذا الامر الذى اصدره الخليفة الى قائد قوات الفتح فى العراق جعله يوزع قواته على مناطق المياه فى فترة التحشد ، فنزل سعد بمقره فى شراف وهى على بعد ميلين عن واقصة ونزل قسم فى ذى القصة وكانت قوات المثنى قد نزلت هذه المنطقة ايضا ، وفى شراف ثلاثة آبار كبيرة للماء عمقها اقل من عشرين قامة (٣٦ ـ ٤٠) مترا وماؤها عذب وبها قلب طيبة الماء يدخلها ماء المطر ، ومن شراف الى القرعاء ٢٢ ميلا ومنها الى المغيثة ٤٧ ميلا ومن المغيثة الى القادسية ٣٦ ميلا[٤٣] وبين القادسية والمغيثة عذيب الهجانات وجميع هذه المنازل فيها مياه كافية واهم مايحتاجه الجيش فى هذه المناطق هو الماء للخيل والجمال ، وهذه المنازل هى المراحل التى قطعها سعد بن ابى وقاص عند تقدمه من شراف الى القادسية ويظهر من المسافات التى بين المناطق ان المرحلة لليوم الواحد كانت تتراوح بين ٢٢ ـ ٢٥ ميلا •

ولما كان امر الخليفة الى سعد ان ينزل فى الناس فى موضع القادسية بين العذيب وعذيب الهجانات ثم يشرق بهم ويغرب اى يوزعهم على المياه الموجودة فى المنطقة ، وان العذيب يبعد اربعة اميال عن القادسية وقد وجدنا مكانه عند تجوالنا فى المنطقة لتحقيق المواقع[٤٤] للقادم من المغيثة وكانت المسافة بين العذيب وبين المغيثة ٣٢ ميلا وهو حد السواد وكانت به مسلحة فارسية[٤٥] بينه وبين القادسية حائطان متصلان بينهما نخيل اما عذيب الهجانات فلم نجد مايشير الى موضعه فى المراجع الجغرافية غير انه لما كانت المرحلة للقوات العربية تتراوح بين ٢٢ ميلا و٢٥ ميلا فلا بد ان يكون

(٤٣) راجع صفة جزيرة العرب ـ للهمدانى طريق بغداد ـ الكوفة مكة •

(٤٤) راجع تحقيقنا لموقع ومنطقة القادسية والخريطة المرفقة به نفس الكتاب •

(٤٥) راجع التنبيه والاشراف ـ ص ٣٥ اليعقوبى

هذا الموضع على بعد يتراوح بين ١٠ الى ١١ ميلا فى منطقة تلول ابو عبيد حاليا جنوب غرب الرحبة الحالية وعلى هذا تكون منطقة توزيع القوات على المياه بعمق لا يزيد على اثنى عشر ميلا ، وهى نصف مرحلة للقطعات ، وهذا يعنى ان القوات العربية كانت قادرة على الاشتراك فى المعركة عند مهاجمة القوات الفارسية بمدة وجيزة ، وان العرب كانوا مستعدين لمعالجة اية حركة مفاجئة من قبل الفرس ، لان القيادة العربية قد اتخذت التدابير لمحافظة امنية الجيش العربى ، كما ان غارات السرايا مستمرة لتطهير المنطقة من بقايا الموالين للفرس ، كما يظهر ذلك فى حادثة مطاردة الراصدين الفرس فى حصن العذيب فقد كان فى الحصن بعض الراصدين من الفرس لمراقبة حركات الجيش العربى فشاهدهم العرب عندما كانت مفارز الاستطلاع العربية تتقدم باتجاه الحصن فانهزم الراصدون الفرس امامهم ، فطاردوهم واسروا احدهم ، ومن العذيب تقدم سعد الى القادسية فنزل (قديس) فارسل مفرزة حامية بقيادة زهرة الى قنطرة العتيق (موضع القادسية اليوم)(٤٦) كما ارسل رجالا الى الحيرة لاستطلاع حركات وحالة الجيش الفارسى وحالة الاهلين فيها ، وقد كان لاهل الحيرة عهد مع العرب على ان يدلوهم على حركات العدو ، كما انهم كانوا من العرب فلا بد أن يميلوا الى اخوانهم وبنى جلدتهم العرب ، ولما كان الفرس لم يكتفوا بالسيطرة الاسمية على الحيرة انما ارسلوا حاكما فارسيا عليها ، وخاصة بعد حادثة النعمان بن المنذر مع كسرى ملك الفرس فلا بد وان يميل اهلها الى العرب للتخلص من هذا الوضع الى وضع احسن منه وبالاخص انهم قد

---

(٤٦) الطبرى ج ٤ ص ٨٧ . ومن الاشارة بكلمة القادسية اليوم يدل على ان القادسية التى وردت فى المراجع الجغرافية القديمة مدينة اسلامية بناها العرب بعد معركة القادسية ، وقد ورد قديس باسم قادس- راجع تحقيقنا لموقع القادسية فى نفس الكتاب لتطلع على المواقع بصورة صحيحة .

خبروا معاملة العرب لهم وعدلهم ومساواتهم منذ ثلاث سنين عندما حررهم خالد بن الوليد ..

وتقع القادسية بين الخندق والعتيق وان ما عن يسار القادسية بحر اخضر في جوف لاح الى الحيرة بين طريقين فاما احدهما فعلى شاطىء نهر يدعى الحضوض يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة ، وان ما عن يمين القادسية الى الولجة فيض من فيوض مياههم .

وبهذا يكون سعد قد اختار المنطقة الملائمة للقتال من وجهة مصلحة العرب ، لان اجنحتها امينة من كل حركة يقوم بها العدو اذا اراد الاحاطة بالجيش العربى من احد الاتجاهات ، فالقتال لابد ان يكون جبهويا ، والنصر لاحد الجيشين الذى سيقاتل بصبر وثبات فى المعركة .

اما المسافة بين القادسية والحيرة فكانت ثمانية اميال ، حيث ان المسافة بين القادسية والكوفة كانت (١٤) ميلا ميلا تكثر فيها الموانع والكوفة على مسافة ستة اميال عن الحيرة (٤٧) .

اما الجيش الفارسى فقد اجتمعت قواته فى برس وهو بارض بابل ويقع حاليا بين الحلة والكفل على مسافة ثلاثة عشر كيلو مترا عن الحلة ويكون يمين الطريق بمسافة اربعة كيلو مترات تقريبا ويسمى (النمرود) حاليا وهو من آثار العهد البابلى القديم ، ومن بعد برس تقدم الجيش الفارسى الى الحيرة ثم الى السيلحين فبقى بها رستم يتهيأ للمعركة ويطاول بها ليرغم العرب على التقدم او الانسحاب ، غير ان مطاولاته هذه لم تفده شيئا لان عمر بن الخطاب قد نبههم الى ذلك فحق لرستم ان يقول « أكل عمر كبدى » فقد كسب العرب المعركة سوقيا وخسرها الفرس الذين كان عليهم الاسراع فى العمل

---

(٤٧) لم تكن الكوفة موجودة عندما جرت القادسية ، غير ان الجغرافيين الاقدمين بدأوا بتدوين المسافات بعد بناء الكوفة ولذلك وجب دراستها وبهذا يمكن لمن يدرس المراجع ان يستدل على المواقع الحقيقية راجع تحقيق موقع القادسية ومنطقتها للمؤلف .

ويرسلوا قواتهم الى حصن العذيب (منطقة الرحبة حاليا جنوب النجف) لمنع العرب من احتلاله وللاحتفاظ بمنطقة القادسية المنيعة واجبار العرب على قبول المعركة فى المنطقة المنفتحة وبذلك تكون حرية العمل والمناورة للجيش الفارسى ، فان كان رستم مصيبا فى اسلوب مقاتلة العرب بارسال الجيوش متتالية وعدم قبول معركة فاصلة بالنسبة الى وضع الدولة الفارسية فقد اخطأ فى عدم الاحتفاظ بالمنطقة الحصينة من بلاده •

ويمكننا ان نعتبر هذه المنطقة مشابهة لمنطقة قتال الجيش التركى الذى كان يقاتل فيها فى الفلاحات تجاه الجيش البريطانى فى الحرب العالمية الاولى ، فقد كانت منطقة منيعة مستند جناحيها على نهر دجلة والاهوارفكانت جميع المعارك جبهوية مما سبب خسائر كبيرة للجيش البريطانى ، وقد اضطر الجنرال مود بعد استلامه القيادة ان يهيء امورا ادارية كبيرة لعبور نهر دجلة من دورةشمران ليضرب مؤخرة الجيش التركى للفوز فى المعركة، ولو لم تكن قوات الجيش التركى قليلة وسلاحها غير واف لكانت النتيجة بغير مصلحة الجيش البريطانى انما بصالح الجيش التركى •

ونحن نعتقد ان اهمية المنطقة لم تغب عن بال رستم وهو القائد المحنك ولكن العرب قد سبقوه اليها وتوقفوا على ابواب منطقة القادسية ، ثم تقدمت مقدمة الجيش الفارسى بقيادة الجالينوس فوصلت الى ظيزن آباد ، التى هى حصن بينها وبين القادسية مسافة ميل واحد (٤٨) وعلى هذا تكون المسافة بين المفارز الامامية للجيشين ميل واحد •

أما رستم فقد ضرب مقره فى النجف (٤٩) وبذلك تكون المسافة بين ابعد قوات الجيشين تقارب عشرة اميال •

---

(٤٨) راجع جزيرة العرب الهمدانى ، ومسلك الممالك الاصطخرى وغيرها من المراجع الجغرافية العربية •

(٤٩) المقصود بكلمة النجف هو مشرفة النجف لا مدينة النجف الحالية لانها لم تكن موجودة •

وفى اثناء تقدم الجيش الفارسى اغتصب الجند اموال الناس ووقعوا على نسائهم وشربوا خمورهم فضجوا واشتكوا الى رستم سيرة جنده فقال « يا معشر فارس لقد صدق العربى »(٥٠) وقد كان الجند الفارسى قد أسر عربيا وجاؤا به الى رستم فاراد ان يستنطقه بما يستفيد منه فى حربه وهو بكوثى (٥١) فقال رستم للعربى ما جاء بكم ؟

فقال العربى - جئنا نطلب موعود الله (٥٢)

قال وما هو ؟

قال العربى - ارضكم وابناءكم ودماءكم ان ابيتم ان تسلموا •

قال رستم - فان قتلتم قبل ذلك ؟

قال العربي - فى موعود الله ، ان من قتل منا قبل ذلك ادخله الجنة وانجز لمن بقى منا ما قلت لك ، فنحن على يقين •

قال رستم - لقد وضعنا اذا فى ايديكم ؟

قال العربى - ويحك يا رستم ان اعمالكم قد وضعتكم فاسلمكم الله بها ، فلا يغرنك ما ترى حولك ، فانك لست تجادل الانس ، انما تجادل القضاء والقدر •

فغضب رستم وامر بقتل العربى (٥٣)

فلما اشتكى اهل فارس من تصرفات الجند الفارسى قال لهم (يامعشر فارس ، والله لقد صدق العربى والله ما اسلمنا الا اعمالنا للعرب •••••• ان الله كان ينصركم على العدو ويمكن لكم فى البلاد بحسن السيرة وكف الظلم والوفاء بالعهود والاحسان ، فاذا ما تحولتم عن ذلك الى هذه الاعمال

---

(٥٠) راجع الطبرى ج ٤ ص ٩٩

(٥١) كوثى بين الصويرة والمسيب حاليا وتسمى جبل ابراهيم او حبل ابراهيم •

(٥٢) واورثناكم ارضهم وابناءهم وديارهم وارضا لم تطأوها ••••• قرآن كريم •

(٥٣) الطبرى ج خ ص ٩٩

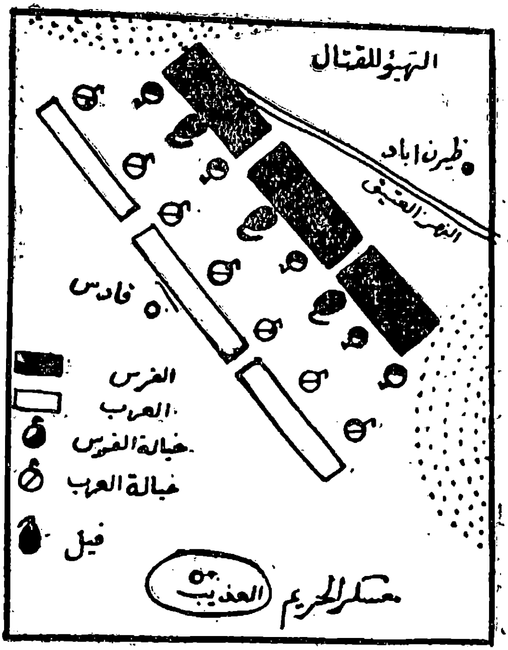
فلا ارى والله الا مغير ما بكم وما انا بآمن من ان ينـــزع الله سلطانه منكم) ثم عاقب الجند الذين اساؤا التصرف •

وهكذا كان يسيء الجند الفارسي الى ابناء جلدته وبلده ، بينما لا يقترب هذه الاعمال العرب مع الموالين منهم ، كما انهم بعيدون عن الموبقـــات مع اعدائهم ، فكيف لا يفضلهم ابناء البلاد المفتوحة على حكامهم الـذين كانوا سببا لكل هذا البلاء الذى اصابهم ، وكيف بهم وقد عم الفساد الجند الـذين هم اداة الاصلاح ويسعى لاصلاح ما فسد من الامور ، واذا بأداة الاصـلاح لديهم قد فسدت فلا يمكن اذا اصلاحها الا بدخول جيش اجنبي الى بلادهم ليصلحهم ، وقد هيأ الله جل جلاله العرب لهذا الواجب ، وجاؤا حســب موعوده الذى وعدهم اياه كما قال العربى لرستم ، فهم لا يغـــدرون ولا ينقضون عهدا ، واذا عاهدوا عهدا وفوا به فلابد لهم ان ينالوا موعــود الله (واورثناكم ارضهم وديارهم •••• الآية) وما عليهم الا الاحسان الى الناس حتى يتمكنوا من اداء واجبهم نحو البشرية والحضارة ، ولذلك كان الرؤساء لا يتوانون من اصدار الاوامر والتعليمات الى الجند المقاتل بان لا يخـربوا شيئا عامرا ، وان لا يؤذوا الناس فى اعمالهم وممتلكاتهم • وان يحفظـوا اعراضهم ، وقد كتب اليهم الخليفة عمر بن الخطاب « بان الله انما ينصرهـم لا لكثرتهم او لحسن سلاحهم فهم فى كلا الحالين فى العدد او التسليح أقل من عدوهم ، انما ينصرهم الله بحسن الخلق والسيرة الحسنة واجتناب الذنوب التى منعهم الله عن ارتكابها والتي لا تتفق واخلاق العرب وعاداتهم ، فانهـم اذا ما تساووا مع عدوهم بها فانهم لا ينتصرون فالنصر لمن حسنت سيرته » •

وقد كان العرب يريدون الاستفادة من كل تعمير فى البـلاد ولذلك فلم يخربوا شيئا فيها ، الامر الذى جعل السكان المحليين يميلوا اليهم •

اما منطقة القتال فقد كانت منحصرة بين الخندق والعتيق ولذلك كان بامكان القائد الفارسي ان يتخذ احدى الخطتين التاليتين :ـ

الخطة الاولى ـ مشاغلة الجيش العربى فى منطقة القادسية ، والقيـام



خريطة رقم ٤

بحركة احاطة واسعة على احد اجنحة العرب او على جناحي جيش العرب ، وقد كانت المنطقة مساعدة للقيام بمثل هذه الحركة ، غير ان مثل هذه الخطة تتطلب التفوق العددى وقد كان الجيش الفارسى بما يقرب من اربعة اضعاف العرب او يزيد ، ويساعدهم تعداد جيشهم على القيام بمثل هذه الحركة ، وبالاخص ان الفيلة تساعدهم فى مثل هذه الخطة اذ كان بامكانها ان تشاغل جبهة الجيش العربى ، وبالامكان ان تكون ارتال الاحاطة قوية في كل مكان، ومع هذه الامكانيات لم يطبق القائد الفارسى رستم هذه الخطة التى تقع قواته بها على خطوط مواصلات العرب ويضطرهم على ترك منطقة القادسية المنيعة فيقبلوا المعركة فى منطقة غير موافقة لهم .

الخطة الثانية ـ هى الخطة التى اختارها القائد الفارسى وتتلخص بالاجتماع فى منطقة القادسية ومواجهة العرب وجها لوجه بمعارك جبهية وتدمير

الجيش العربى ومن ثم التقدم الى بلادهم واشغال العرب بانفسهم ، والقتال وجها لوجه الذى سيكون فى هذه الخطة يجعل العرب قادرين على الانسحاب بأمان من المنطقة ان انتصر الفرس عليهم ومن ثم يعيدوا الكرة وهـذا بغير مصلحة الفرس ، واذا اراد الفرس ان يقاتلوا العرب في البادية فانهم غير قادرين على احتمال ضرواتها مثل العرب ، كما ان هذه الخطة تتطلب تفوقا بالتسليح وكان هذا بجانب الفرس ويسندهم الفيل وهو بمثابة الدروع فى العصر الحديث ، غير انهم بحاجة الى تربية عسكرية جيدة وضبط جيد ، فان العجم بالرغم من تيسر السلاح والعدد الكبير من الجند والدروع فقد كانت التربية لديهم لا تصل الىالتربية العسكرية العربية والضبط العربى ، كما ان الروح المعنوية فى الجيش العربى كانت اعلى من الروح المعنوية فى الجيش الفارسى نتيجة عوامل الهدم والتخريب فى الدولة الساسانية ، وعوامل البناء والتعمير فى الدولة العربية ، وقد رأينا كيف ان العربى الذى قتله رستم كان على يقين من ان النصر للعرب •

ومن اوليات هذه الحوادث والمناقشات نجد ان الحركات الاولية تدل صراحة على ان النصر اقرب الى العرب من الفرس ولم يبق على القائد العربى الا ان يحسن التصرف بادارة المعركة لينتصر •

المفاوضات

كانت خطة العرب التقليدية ان لا يبدأوا عدوهم القتال ما لم ينذروه اولا ويبينوا له مطاليبهم وهى الدخول فى الاسلام وله ما لهم وعليه ما عليهم ويجوزوه الى غيره ، او ان يؤدى الجزية عن يد وهو صاغر فيتركوه الى غيره ، او القتال والنصر من عند الله يؤتيه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين• ولهذا ارسل سعد بن ابى وقاص وفدين الى قادة الفرس احدهما الى المدائن والثانى الى غريمه فى القادسية رستم •

الوفد الاول الى المدائن ـ انتخب سعد اربعة عشر نفرا من العرب من

الذين لهم قدرة على المناظرة والمنطق ممن لهم هيبة الجند المحارب والرجولة (٥٤) وقد اثبت الوفد مقدرة كبيرة على المناظرة كما اثبت ان سعدا كان يعرف رجاله بصورة جيدة ويعرف مقدرة كل منهم ، وقد كان لقسم كبير منهم شأن في الدولة الاسلامية ، كما ان منظرهم أثار دهشة اهل فارس حتى قال بعضهم فيهم « ان العشرة منهم تعدل الفا بالهيئة » فلما عقد المجلس سألهم يزدجرد الملك :

ما جاء بكم ، وما دعاكم الى غزونا والولوغ في بلادنا ؟ أمن أجل اننا اجمعناكم وتشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟

وقد كان هذا السؤال الذي وجهه يزدجرد الى الوفد العربي يعني ان لا قبل للعرب بقوة فارس التي هي اقوى منهم ، كما انه كان يعني ان سبب الانتصارات التي أحرزها العرب في المعارك السابقة ليست نتيجة قوتهم ، انما كانت نتيجة لتشاغل الفرس عنهم وان من الخير لهم ان يتركوا ما جاؤا من اجله والرجوع الى الجزيرة العربية قبل ان ينالهم من الفرس ما لايرضونه لانفسهم ولاولادهم •

فقام النعمان بن مقرن وكان خطيب الوفد وقال له ـ ان ما جاؤا اليه انما هو طلب هداية الناس الى الدين القويم وهو دين الاسلام وهو يطلب واحدة من ثلاثة :ـ

١ ـ الدخول في الاسلام ولكم ما لنا وعليكم ما علينا •

٢ ـ وان ابيتم فالجزية •

---

(٥٤) كان الذين لهم قدرة للمناظرة هم ١ ـ النعمان بن مقرن ٢ ـ بسر بن ابي رهم ٣ ـ حملة بن جوبة الكناني ٤ ـ حنظلة بن الربيع التميمي ٥ ـ فرات بن حيان العجلي ٦ ـ عدى بن سهيل بن المغيرة بن زرارة بن النباش بن حبيب •

اما الذين لهم منظر ومهابة فهم ـ ١ ـ عطار بن حاجب ٢ ـ الاشعث بن قيس ٣ ـ الحارث بن غسان ٤ ـ عاصم بن عمرو ٥ ـ عمرو بن معد يكرب ٦ ـ المغيرة بن شعبة ٧ ـ المعنى بن حارثة اخ المثنى بن حارثة الشيباني •

٣ ـ وان ابيتم فالقتال •

ثم اوضح له انه اذا اجابوا الى الاسلام فيكون الحكم بينهم بموجب احكام كتاب الله عزوجل (القرآن) فقال يزدجرد « انى لا اعلم ان فى الارض أمة كانت اشقى ولا اقل عددا ، ولا اسوأ ذات بين منكم ، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحى فيكفوناكم ، لاتغزوكم فارس ولا تطمعون ان تقدموا لهم ، فان كان عدد لحق فلا يغرنكم منا ، وان كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتا الى خصبكم واكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم » •

وكان جواب يزدجرد هذا يشبه جواب من كان قبله الى النعمان بن المنذر ملك الحيرة عندما افتخر بالعرب (٥٥) •

فان كان لمن سبق منهم عذر بسبب اختلاف العرب وعدم اتفاقهم ، فلا عذر لقادة الفرس فى هذا الوقت الذى توحد به جهود العرب بوحدة الاسلام الذي اخرجهم من عبادة الناس والمادة الى عبادة الله عز وجل فطهروا انفسهم وحسنت سرائرهم ، اما الفرس فقد ساء ما كانوا يعملون ببلادهم وامتهم ، وكان لزاما عليهم ان يتطلعوا فى الناس ويعرفوا حال العرب وخاصة ان الجيوش الاسلامية كانت بتصادم مستمر بجندهم فيعرفوا تفكيرهم والعقلية التى خرجوا بها على الناس ليعرفوا كيف يتفاوضون معهم •

خطأ الفرس

ان ماتكلم به يزدجرد كان توضيحا لاسئلته الى الوفد العربي وزادعليه الترغيب والترهيب الذى كان قد افتكر انه سيؤثر فى العرب الاشقياء (كما فكر رجاله) ، فليس لنا ولا لاى احد يدرس التاريخ ان يلوم هذا الملك الشاب الذى جاء الى الملك وهو بعيد كل البعد عن سياسته فيما كان يفكر او يقوم به من الاعمال حتى هذا الوقت الذى تجرى فيه المفاوضات التى سيتبعها ما سيؤدى الى زوال الملك الفارسى برمته من يده ، انما اللوم كل

(٥٥) راجع العقد الفريد الجزء الثانى وفود النعمان الى كسرى •

اللوم على الرجال الذين يقومون باعباء الملك ، أولئك الذين يوجهون الامور للملك بالنسبة لتأثيرات أمور حياتهم الخاصة والعامة غير مبالين بما يصيب أمورهم ودولتهم من مصائب كان بامكانهم تجنبها باتباع اسلوب الحكمة وما تمليه عليهم مصلحة امتهم وبلادهم • فان ملكهم يرى إن الجوع والحرمان هما السبب الذى حمل العرب الى غزو بلادهم ، ولذلك ابدي لهم البذل والعطاء لعلهم يرجعون الى بلادهم وجزيرتهم ، ويرى ان يملك عليهم ملكا يرفق بهم ناسيا ان اول صفات توحيد الدولة وارسال الجيوش لاجل الفتح انما يكون بوجود رأس للدولة التى ينتمون اليها ، ولا يمكننى ان اتصور بأى شعور كان رجال الدولة الفارسية يفكرون حتى اهتدوا الى الحل الذى ذكره ملكهم بان يعدوا العرب ان يملكوا عليهم ملكا يرفق بهم ولعلهم فكروا بارسال احد رجال دولتهم ليكون ملكا للدولة الجديدة ، وليس لى من سبيل افكر به سوى ان الفرس لم يطلعوا حتى الان على حالة العرب والفكرة الجديدة التى خرجوا بها على العالم بالرغم من المعارك الحامية التى جرت بينهم وبين العرب بقيادة المثنى بن حارثة وخالد بن الوليد ، وأمة هذا شأن رجال دولتها والمسؤلين عن سياستها لابد ان يصيبها الفشل فى جميع اعمالها •

فهؤلاء العرب الذين لم يجتمعو على رأى منذ عهد سابور ، قد خرجوا الى العالم وهم اقوياء بعقيدتهم ، اقوياء فى اتحاد كلمتهم ، تركوا الدنيا واثروا الحياة الاخرة ، فكان لزاما على الفرس ان لا يغتروا بما لديهم من امكانيات واسعة ، ويدرسوا العرب ليعرفوا بواطن قوتهم ويصلحوا اخطائهم فى ادارة الدولة ، ويعرفوا ان العربى الذى يفاوضهم يحمل ضمن غمده سيفا بتارا وبين ضلوعه قلبا قويا وله ايمان لا يزعزعه الدهر بكل قوته وهو شر عليهم مستطير لا يقوون مقاومته •

ثم قام المغيرة بن زرارة بن النباش الاسدى وبعد ان ابان لهم الحال

التي كانت عليها العرب قبل ارسال الرسـول (محمد صلى الله عليه وسلم) وكيف تغيرت تلك الحال قال :ـ « اختر ان شئت الجزية عن يد وانت صاغر وان شئت فالسيف ، او تسلم فتنجي نفسك » .

فلما رأى يزدجرد ان لا فائدة من مفاوضة الوفد ، وان طلبهم احـد ثلاث (الاسلام او الجزية او القتال قال لهم « ارجعوا الى صاحبكم فاعلموه اني مرسل اليكم رستما حتى يدفيكم ويدفيه في خندق القادسية ، وينكل به وبكم من بعد ، ثم اورده بلادكم حتى اشغلكم في انفسكم باشد مما نالكم من سابور » وامر بوقر من تراب وضعه على رأس الوفد العربي لاهانته بعد ما يئس من اقناعهم ، فحمل التراب عاصم بن عمرو بصفته رئيس الوفـد متطوعا عن جماعته الباقين ، ولكن العرب استبشروا بذلك ، بان اعتبروا هذا الذي حملوه هو مقاليد الحكم سلمها يزدجرد اليهم . (٥٦)

وبعد ان خرج الوفد العربي قال يزدجرد لقومه « ما كنت ارى ان في العرب مثل رجال رأيتهم دخلوا علي وما انتم باعقل منهم ، ولا احسن جوابا منهم . »

وهكذا فشلت المفاوضات بين سعد بن ابي وقاص وبين يزدجـرد ، لتمسك الطرف العربي بمطاليبه وعدم قبول شروطهم من قبل الفرس وعلى رأسهم يزدجرد وبطانته التي لا تنظر الا الى مصالحها فقط ، غير ملتفتة الى مصلحة شعبهم ، وان كنا نعذرهم فيما مضى فلا عذر لهم اليوم الا انهم ورثوا الامبراطورية الساسانية العظيمة ، ويصعب عليهم ان يتركوا هـذا الارث العظيم فليس اذا بينهم غير السيف حكما ، والارض لله يرثها عباده الصالحون.

اما الوفد الثاني فقد ارسله سعد الى رستم قائد الجش الفـارسي في

---

(٥٦) راجع الطبري ج٤ ص ٩٥ ، وان صح ماورد فهذا لا يدل على كبر في النفسية الفارسية فحسب لا تؤهل يزدجرد ورجاله في قيادة امتهم ، انما تدل على ان يزدجرد كان جاهلا ابسط القواعد في الحكم والمفاوضات ، ولا بد ان يزول الملك على ايديهم .

القادسية ، فان رستما بعد ان حشد الجيش في منطقة القتال تقدم الى العتيق واراد استطلاع وضع الجيش العربي بنفسه ، فساير العتيق نحو خفان حتى اتى الى منقطع عسكر العرب المسلمين ثم صعد حتى انتهى الى القنطرة (قنطرة العتيق وكان ينزل بحيالها زهرة معو قوته) فوقف على القنطرة . وبهذا يكون رستم قد استطلع الارض في منطقة القتال جيدا ، وقدر قوة المسلمين في الوقت نفسه ، وهذا من اول اعمال القائد ان يقوم باستطلاع المنطقة ومعرفة اكثر ما يمكن من المعلومات عن عدوه الذي يقاتله ، فان كان لايعرف عن الارض والعدو جيدا فليس له أمل بغير الخسارة .

ثم ارسل زهرة حتى واقفه فاراد رستم ان يفاوض العرب على المصالحة وقال لزهرة :ـ

« انتم جيراننا ، وكانت طائفة منكم في سلطاننا وكنا نحسن جوارهم ونكف الاذى عنهم ونوليهم المرافق الكثيرة ونحفظهم من اهل باديتهم ، فنرعيهم مراعينا ، ونميرهم من بلادنا ، ولا نمنعهم التجارة في شيء من ارضنا وقد كان لهم في ذلك معاش » .

وفي هذا كان رستم يطلب مصالحة العرب او التأثير على معنوياتهم بما يذكرهم به من حسن الجوار وفضل الفرس الكبير على العرب بحماية بعضهم ، وقد نسي او تناسى ان الفرس كانوا يسعون للسيطرة المباشرة على الحيرة ، واغتالوا النعمان بن المنذر وحاربوا النزعة العربية فكانت معركة ذي قار التي انتصر بها العرب على الفرس .

فاجابه زهرة بن عبدالله بن قتادة بن حوية الحيوى من بني تميم يدعوه الى احدى شروط الاسلام الثلاث (الاسلام ، او الجزية عن يد وهو صاغر ، او القتال) .

فلما عاد رستم ارسل سعد وفدا اليه ليفاوضه ، فاتبع رستم نفس الاسلوب الذي اتبعه يزدجرد في مفاوضاته ، فابدى عرضا سخيا بالاكساء والاكرام

والتموين ، ولكن مطاليب العرب كانت كما هى • وهكذا فشلت المفاوضات بين رستم وسعد ، غير ان رستما كان يروم اطالة المفاوضات مع العرب ، الا ان هؤلاء كانوا يتبعون اسلوبهم الخاص في المفاوضات وذلك بانهم لا يطيلوا المفاوضات مع العدو اكثر من ثلاثة ايام ، فامهله الوفد هذه المدة ، واخبروه بان العرب سوف لا يبدأون القتال ما لم يبتدىء به الفرس انفسهم •

وهكذا لم يبق غير القتال حكما بينهم •

المناوشات الاولى قبل معركة القادسية

بعد ان اجتمع الجيش العربى فى منطقة تحشده فى القادسية ، باشر سعد بارسال السرايا للمحافظة على التماس بقطعات العدو وللسيطرة على النقاط المهمة واستطلاع حركات العدو وتنقلاته •

فلما علم رستم باعمال هذه المفارز ارسل القوات اللازمة لمنع هذه السرايا من عملها وقد تمكنت سرايا رستم من التأثير على سرايا سعد فلما علم سعد بمضايقة العدو لهم انجدهم بعاصم بن عمرو ولم نجد فى المراجع تفاصيل وافية عن هذه السرايا وعن اعمالها سوى بعض الاعمال الفردية • هذا سوى السرايا التى كانت ترسل فى انحاء السواد لتجمع ما تيسر من المؤن والطعام • اما رستما فقد ارسل السرايا ايضا للقيام بنفس الاعمال ، وبهذا كان القائدان نشطين فى ارسال السرايا والدوريات •

غير ان رستما رأى ان لا قبل له بالعرب بعد ان تيسرت له المعلومات الكافية عن العرب فقال « ان الله يعضنا ، لو ان اهل فارس تركونى اتعظ ، أما ترون ان النصر قد رفع عنا ، وترون الريح مع عدونا ، لا نقوم لهم فى فعل ولا منطق ، ثم هم يريدون مغالبة بالجبرية » (٥٧)

ونرى ان هذه الفكرة التى تجلت فى قول رستم تدل على ان الفرس

---

(٥٧) الطبرى ج٤ ص ٩٧ وما بعدها •

فقدوا كل أمل في النصر مع العلم ان الايمان بالنصر هو اول بشائره فاذا فقد هذا الايمان زال الاعتماد على النفس فزال النصر .

اذكاء المعنويات والحماس في الجند

كان سعد بن ابي وقاص مريضا (به عرق النسا او دمامل تمنعـه من ركوب الخيل) ، لذلك بقي في القصر الذي اتخذه مقراً له (قادس) وهـو مشرف على ساحة القتال ، وعين خالد بن عرفطة لكي يبلغ اوامره ويشرف على تنفيذها ، وكان خالد هذا كالخليفة لسعد لو لم يكن سعد شاهدا مشرفا ، وبهذا يكون خالد ضابط الركن الاقدم لسعد بن ابي وقاص ، ويظهـر ان سعدا سمح له باصدار الاوامر اللازمة للقطعات كما يتطلبه الموقف اذ لم يكن سعد حاضرا ومشرفا مما جعل بعض الناس يستنكرون ذلك ويشغبون عـلى خالد ، فلما سمع سعد بذلك وبخهم على عملهم هذا وشتمهم ومنهم ابومحجن الثقفي [٥٨] فارعوى الناس على انهم بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يطيعوا اميرهم ولو كان عبدا حبشيا ، ويظهر ان سعدا قد احتجز قسما من الذين شغبوا فقال «والله لا يعود بعدها احد يحبس المسلمين عن عدوهـم ويشاغلهم وهم بازائه الا سنت به سنة يؤخذ بها من بعدي » فاطلقهم او قسما منهم وكتب الى اصحاب الرايات الكتاب التالي :-

« اني قد استخلفت عليكم خالد بن عرفطة ، وليس يمنعني ان أكون مكانه الا وجعي الذي يعودني وما بي من الجنـون ، فاني مكب على وجهي وشخصي لكم باد ، فاسمعوا له واطيعوا ، فانه انما يأمركم بأمري ويعمـل برأيي » . فقرىء على الناس فزادهم خيرا وانتهوا الى رايه وقبلوا منه وتحاثوا

(*) لايشتم الرجال عدا انهم من الجند المحارب ، وقد اوصى عمر بن الخطاب قائد جيشه (سعد) بذلك ويظهر أن عمر كان يعرف عادات سـعد فاوصاه .

(٥٨) ابن خلدون ج٢ ص ٣٢٣ طبع مصر .

على السمع ، واجمعوا على عذر سعد والرضا بما صنع [٥٩] .

وفي يوم الاثنين من المحرم سنة ١٤ هجرية [٦٠] وقف في الناس خطيبا بعدما ندم على سجن الرجال المقاتلين في حادث الشغب على خالد بن عرفطة فقال « ان الله هو الحق لا شريك له في الملك ، قال جل ثناؤه ـ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ـ ان هذا ميراثكم وموعود ربكم وقد اباحها لكم منذ ثلاث حجج ، فانتم تطعمون منها ، وتأكلون منها ، وتقتلون اهلها ، وتجبونهم ، وتسبونهم ، الى هذا اليوم ، بما نال منهم اصحاب الايام [٦١] منكم وقد جاءكم منهم هذا الجمع وانتم وجوه العرب واعيانهم ، وخيار كل قبيلة ، وعز من وراءكم ، فان تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الاخرة ، جمع الله لكم الدنيا والاخرة ، ولا يقرب ذلك احد الى اجله ان تفشلوا وتهنوا وتضعفوا تذهب ريحكم ، وتوبقوا اخرتكم . »

ثم ارسل خطباء الناس وذوي النجدة فيهم الى الجند ليشجعوهم على القتال ، فقام عاصم بن عمرو في المجردة [٦٢] فقال « ان هذه بلاد قد احل لكم الله اهلها وانتم تنالون منهم منذ ثلاث سنين ما لا ينالون منكم ، وانتم الاعلون ، والله معكم ان صبرتم وصدقتموهم الضرب والطعن فلكم اموالهم ونساءهم وابناءهم وبلادهم ، وان خرتم وفشلتم ـ والله لكم من ذلك جار وحافظ ـ

---

(٥٩) هنالك فكرتان في اعطاء الواجبات الى ضباط الركن الاولى منها هي الصلاحية التي اعطاها سعد الى خلد بان يصدر الاوامر كما يتطلبه الموقف ، والثانية هي وجوب مراجعة القائد قبل اصدار الامر ولكل من هاتين الخطتين مزايا ومحاذير لسنا بصدد مناقشتها ، غير ان سعدا اتبع الفكرة الاولى .

(٦٠) وردت بعض التواريخ عن معركة القادسية تخالف هذا التاريخ ورأينا ان هذا التاريخ اثبت .

(٦١) اصحاب الايام هم جميع القوات التي كانت تقاتل منذ ابتداء غارات المثنى بقيادته وقيادة خالد بن الوليد حتى معركة القادسية ، وقد فضلهم عمر بن الخطاب في العطاء على غيرهم كما سيرد ذكره .

(٦٢) المجردة ـ اسم كتيبة عاصم بن عمرو .

لم يبق منكم من هذا الجمع باقية ، مخافة ان تعودو عليهم بعائدة هلاك(٦٣) الله ، الله ، اذكروا الايام وما منحكم الله فيها (٦٤) اولا ترون ان الارض وراءكم بسابس قفار ، ليس فيها خير ولا وزر يعقل اليه ولا يمتنع به اجعلوا همكم الاخرة » .

وقال قيس بن هبيرة « أيها الناس احمدوا الله على ما هداكم له ، وأبلاكم ، يزدكم ، واذكروا آلاء الله وارغبوا اليه في عاداته ، فان الجنة أو الغنيمة أمامكم ، وانه ليس وراء هذا القصر الا العراء والارض القفر والظراب الخشن ، والفلوات التي لا تقطعها الادلة .

وقال غالب « أحمدوا الله على ما أبلاكم ، وسلوه يزدكم ، وادعوه يجيبكم ، يا معشر معد ، ما علتكم وأنتم في حصونكم ، ومعكم من لا يعصيكم: اذكروا حديث الناس في غد ، فانه بكم غدا يبدأ ، وبمن بعدكم يثنى. »(٦٥)

وقال بسر بن أبي رهم الجهني « احمدوا الله وصدقوا قولكم بفعل ، فقد حمدتم الله على ما هداكم له ، ووحدتموه ، ولا اله غيره ، وكبّرتموه ، وآمنتم بنبيه ، فلا تموتن الا وأنتم مسلمون ، ولا يكونن بأهون عليكم من الدنيا فانها تأتي من تهاون بها ، ولا تميلوا اليها فتهرب منكم لتميل بكم ، انصروا الله ينصركم . »

وخطب الهذيل الاسدي فقال « يا معشر معد اجعلوا حصونكم السيوف ، وكونوا عليهم كالاسود الاجم ، وتربدوا لهم ما تربد النمور ، وادرعوا العجاج وثقوا بالله ، وغضوا الابصار ، فاذا كلّت السيوف فانها مأمورة فارسلوا عليهم الجنادل فانها يؤذن لها ما لا يؤذن للحديد فيه . »

وخطب عاصم بن عمرو « يا معشر العرب انكم أعيان العرب ، وقد صمدتم لاعيان العجم وانما تخاطرون بالجنة ، ويخاطرون بالدنيا ، فلا يكونن

---

(٦٣) ينبههم الى أهمية المعركة فهي اما هلاكهم أو هلاك العدو .
(٦٤) يقصد بالايام المعارك السابقة التي انتصروا بها على الفرس .
(٦٥) حصونهم ظهور خيلهم ، وعدتهم السيوف التي لاتعصى أمرهم .

أحوط منكم على آخرتكم ، ولا تحدثوا اليوم أمرا تكونون به شينا على العرب غدا • ».

وقال ربيع بن البلاد السعدى « يا معشر العرب قاتلوا للدين والدنيا ، وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والارض أعدت للمتقين ، وان عظّم الشيطان عليكم الامر ، فاذكروا الاخبار عنكم بالمواسم ما دام للاخبار أهل • »

وقال ربعى بن عامر « ان الله قد هداكم للاسلام وجمعكم به ، وأمركم الزيادة وفى الصبر الراحة ، فعودوا أنفسكم الصبر تقتادوه ، ولا تعودوا أنفسكم الجزع فتعتادوه • »

وهكذا قام الخطباء العرب بتشجيع الجند المقاتل وتشويقهم الى القتال لينالوا مآربهم وكانت الخطب تدور حول النقاط التالية :ـ

(١) اذا لم يكن القتال بصالحهم فسيكون بصالح العدو وبذلك يكون وبالا على العرب فان الفرس سوف لا يتركون العرب الذين وراءهم فى الجزيرة ، فهذه الحرب حرب حياة أو موت للامة العربية فلابد من التضحية فى القتال لنيل النصر •

(٢) انهم ذكروا لهم الجدب والقحط الذى كانوا يلاقونه فى الجزيرة ، ولا بد لهم من استخلاص موارد العيش الرفيه لهم ولاولادهم من بعدهم فى العراق مدى الدهر ، فالمعركة تستوجب التضحية الكبرى •

(٣) قد كان لهم عذر فى الماضى بعدم الفتح بسبب تفرق كلمتهم ، ولا عذر لهم اليوم وقد هداهم الله الى الاسلام ووحد به جهودهم بعد ان كانوا أعداء يقتل بعضهم بعضا •

(٤) ان الجنة لمن يموت منهم فى القتال ، وقد عاهدوا الله على هذا ، فلا بد لهم ان يصدقو فيما عاهدوا الله عليه ، فقد اشترى من المؤمنين أموالهم وأنفسهم بأن لهم الجنة وانه جل جلاله منجز وعده وناصر عبده ما دام عبده

صادقا وصابرا فى البأســاء والضراء وحين البأس وليس أفضل لهـم من هذا اليوم •

(٥) ان الفرار عار على العربى ، وان الخسارة عارا لهم ما دام هنـاك من يتحدث بالحوادث وان التاريخ لا يرحم الضعيف ، فعليهم أن يصـدقوا اللقاء والضرب فى العدو لينالوا حسن الاحدوثة فى الدنيا ويغنموا العراق •

(٦) وأخيرا فانهم أعيان العرب ، فقد أمر خليفتهم أن يرسـل ملوك العرب ليضربوا ملوك العجم وعليهم أن ينتصروا ويطلبوا الموت لتوهب لهـم الحياة ، وقد سبقهم أصحاب الايام فى مغارك المثنى وخالد بن الوليد وانتصروا على الفرس فى القتال بمواقع عدة ، وما عليهم الا أن يسـتمروا عـلى تلك الروح التي جاءوا بها لينالوا مطلبهم •

وهكذا لم يترك الخطباء نقطة أو صفـة الا ذكروها للجنـد المقاتل فازدادت حماستهم للقتال والتضحية ونشطوا له فتواثقوا وتعاهدوا واهتاجوا لكل ما ينبغى له •

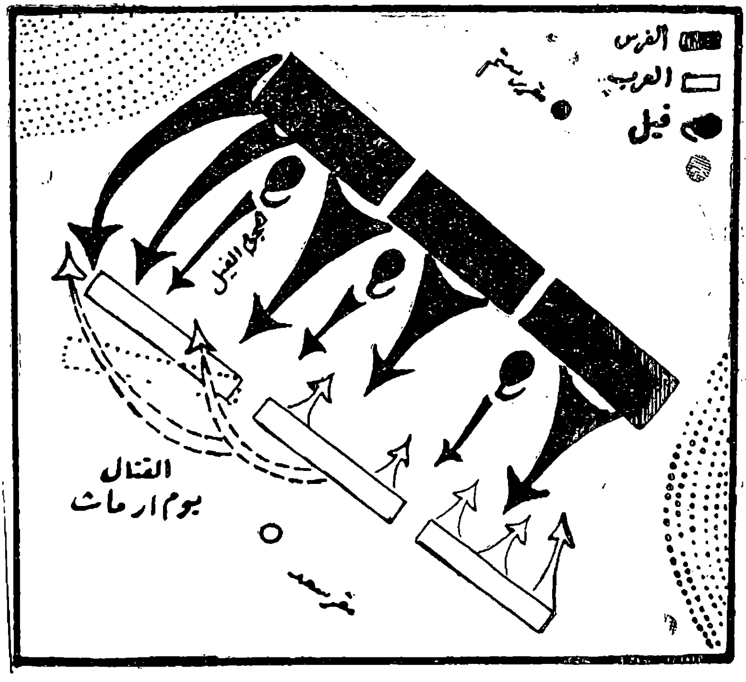
أما الفرس فقد كان لديهم من الرجال الذين شجعوا الجنـد للقتـال وتعاهدوا وتواصوا واقترنوا بالسلاسل ، وكان المقترنين منهم ثلاثون الفا •

ولكن هناك فرقا كبيرا بين قتال جند يقاتل عن مصالح مملكة يستغلهـا الاقطاعيون وقد أساء الحكام اليهم ، وبين جند يقاتل لوجه الله يريد الفوز فى الجنة التى عرضها السماوات والارض وشعاره « لا اله الا الله محمدا رسول الله » ويروم تحرير العالم من المادية البغيضة اليه ويخرج الناس من عبـادة العباد الى عبادة الله عز وجل ، ومن تأثير المادة للتخلق بالمثل الانسانية العليـا التى نادى بها أبناء القرن العشرين من بعد العرب بثلاثة عشر قرنا ولكنهم لم يطبقوها كما طبقها العرب المسلمون •

القتال يوم أرماث

تقدم الجيش الفارسي

بعد ان انقطعت المفاوضات تقدم الجيش الفارسي للقتـــال وأراد عبور العتيق من القنطرة فمنعه العرب لانها تحت سـيطرتهم وقـــد غلبوا الجيش الفارسي عليها ، فلذلك أمر رستم بسكر العتيق من محل آخر ، فسكر بحيال قادس أسفل منها مما يلي عين شمس ، فقضى الفرس ليلة كاملة وهم يسكرون العتيق بالتراب والقصب حتى جعلوه طريقا واستتم بعدما ارتفع النهـــار من الغد ، ثم تقدم الجيش الفارسي فعبر العتيق وركب رستم وكان مقـاتلا ماهرا وفارسا قديرا ، وقد ركب فرسه بكامل دروعه من دون أن يمس الفرس ، وبعد أن أخذ الجيش الفارسي بجناحيه والقلب مواضعه ، ضربت طيارة رستم



خريطة رقم (٥)

فى القلب وفيه ثمانية عشر فيلا عليهـا الصنـــاديق والرجال ، وفى المجنبتين ثمانية وسبعة من الفيلة فأقام الجالينوس بينه وبين ميمنته والبيرزان بينه وبين ميسرته وبقيت القنطرة بين خيلين من خيول المسلمين وخيول المشركين وبهذا تكون الخيالة على جناح الفرس الايمن وعلى جناح المسلمين الايسر عدا خيالة الحجاب بين الجيشين .

ولاجل تأمين المواصلات التامة بين رستم والمدائن وضع الفرس رجلا على مسافة الصوت ليوصلوا الاخبار الى يزدجرد فكان اذا حـدث أمر ينقله الاول الى الذى يليه ثم الى الآخر .... الخ حتى يصـــل الخبر الى المدائن فتصل الاخبار بأسرع وقت .

القتـــــال

وبعد ان تقدم رستم بدل سعد بن أبى وقاص مواضع بعض القادة فجعل زهرة مكان بن السمط وكان زهرة على قنطرة العتيق ، كما جعل رســـتم الجالينوس مكان الهرمزان(٦٦) وبهذا يكون القائدان قد وضعا فى الاماكن المخطرة (الرجل الذى يعتمد على مقدرته) فصار زهرة بين عبدالله وشرحبيل. ثم أمر سعد الطلائع بالطراد أمام الجيش (على الاسلوب المتبع فى ذلك الوقت لتشجيع الجند) فصار الخندق وراء المشاة والخيالة أمامهم .

أما الفرس فقد صارت الخيالة والفيلة أمام الجيش والعتيق وراءهـم ، وبعد صلاة الظهر قرأت سورة الجهاد على المسلمين جريا على العادة وبعد قراءتها هدأت النفوس واطمأنت الى وعد الرحمان فكبر سعد التكبيرة الاولى ، ثم كبر التكبيرة الثانية ، فلما كبر الثالثة نشطت الفرسان من العرب وتقدمت لمبارزة فرسان العجم .

---

(٦٦) لم نجد فى المراجع التاريخية تفاصيل تدل على أماكن القـــادة ووحداتهم فى القتال فى كلا الجيشين سوى ما سيتضح من ســـير القتـال وسنشير اليه فى وقته .

وقد كان الاسلوب المتبع فى ذلك الوقت أن يبرز الفرسان المبرزون فى الجيش للقتال لتشجيع الجند ومبارزة فرسان العدو ، للتأثير على معنوياته ، فكان ممن برز من الجند العربى عمرو بن معديكرب فبرز له أحد أبطال الجيش الفارسى فاعتنقه عمرو وجلد به الارض وقتله ، ثم برز اليه آخر فاعتنقه عمرو وجاء به الى كتيبته وكسر عنقه وقتله فقال للجند العربى « هكذا اعملوا واعلموا ان الفارسى اذا فقد قوسه فهو تيس » .

•

وخرج غالب بن عبدالله الاسدى وهو يرتجز :ـ

قد علمت واردة المسائح ذات اللبان والبنان الواضح
انى سمام البطل المشايح وفارج الامر المهم الفادح

فبرز اليه هرمز من الجيش الفارسى وهو من الملوك المتوجين فاسره غالب وجاء به الى سعد ثم رجع الى المطاردة ، كما خرج عاصم بن عمرو وهو ينشد :ـ

قد علمت بيضاء صفراء اللبب مثل اللجين اذ تغشاها الذهب
انى امرؤ لا من يعنيه السبب مثلى على مثلك يغريه العتب

فطارد رجلا من الفرس فما لبث الفارسى ان انهزم امامه حتى دخل الجيش الفارسى واحتمى به واسر عاصم حمل بغل جاء به الى سعد فاذا هو لخباز الملك ومعه طعام سيده فنفله سعد كتيبة عاصم . فلما رأى الفرس معنويات الجيش العربي وان الفرسان العرب اخذوا يجندلون فرسانهم ، ارسلوا ثلاثة عشر فيلا على الجيش العربى اتجهت باتجاه بجيلة (احدى القبائل العربية فى الجيش العربى) واخذت تفتك بها ولم تكن الخيول العربية قد تعودت روية الفيلة فخافت منها وتفرقت الكتائب ولم يبق سوى المشاة امام الفيلة ، وكادت هذه الحركة من قبل الجيش الفارسى ان تؤدى ببجيلة ، فارسل سعد الى قبيلة اسد ان ساعدوا بجيلة ومن معها من الناس ، فتقدمت

اربعة كتائب بقيادة طليحة الاسدى (٦٧) وحمال بن مالك ، وغالب بن عبدالله ، والربيل بن عمرو (٦٨) فباشروا مقاتلة الفيلة حتى اجبروها على العدول عن المضى فى مقاتلة بجيلة وخف الضغط عنها ، ولما رأى الاشعث الكندى فعل اسد نهض فى قومه فقال « لله بنى سعد ، اى فرى يفرون ، منذ اليوم اغنى كل قوم ما يليهم ، وانتم تنظرون من يكفيكم ؟ الباس ؟ اشهد انكم ما احسنتم اسوة قومكم العرب » فقام اليه عشرة من قومه فقالوا له « انك لتؤنبنا جاهدا ونحن احسن الناس موقفا ، من اين خذلنا قومنا العرب ؟ واسانا اسوتهم ، فنهد ونهدوا معه وشد فى القتال فازالوا الذين أمامهم من اهل فارس .

فلما رأى الفرس تأثير العرب فى القتال وتوقف الفيلة وانسحاب جندهم أمام بجيلة واسد وكندة ، شدوا فى القتال على العرب بجدهم وكان معهم ذو الحاجب الجالينوس وكانا فى ميمنة الفرس وبهذا تكون قبيلة اسد فى ميسرة الجيش الاسلامى ومعها بجيلة وكندة ، فثبتت القوات العربية أمام شدة الفرس ثباتا مشرفا حتى كبر سعد التكبيرة الرابعة فزحف الجيش العربي على الفرس والتحم الجيشان بقتال مرير لم يشاهد كل من الفريقين مثله من قبل ، وحملت الفيلة على ميمنة الجيش العربى وعلى ميسرته فذعرت الخيول منها واحتجمت عن القتال فقاتل كثير من الفرسان راجلين والخيل لا تقدم خشية الفيل ذلك الحصن الجبار الذى يقاتل مجتمعا وعلى ظهره الرماة فى

---

(٦٧) طليحة المتنبى بعد وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

(٦٨) قام طليحة بن خويلد فى قومه عندما استعرضهم سعد فقال « يا عشيرتاه ان المنوه به الموثوق به وان هذا (يعنى سعدا) لو علم أحد أحق باغاثة هؤلاء منكم استغاثهم ، ابدؤهم الشدة واقدموا عليهم اقدام الليوث الحربة فانما سميتم اسدا لتفعلوا فعله ، شدوا وتصدوا وكروا ولا تفروا ، لله در ربيعة أى فرى يفرون وان قرن يغنون ، هل يوصل الى مواقفهم، فاغنوا عن مواقفكم اعانكم الله ، شدوا عليهم باسم الله » وهكذا كان كل رئيس يرى قومه اعمال غيرهم الممتازة ليعملوا مثلها .

مأمن من سيوف العرب ورماحهم •

تدبير عاصم

وقد كان سعد على قادس (قصر القادسية) يرقب القتال فارسل الى عاصء بن عمرو التميمى « يا معشر تميم ، الستم اصحاب الابل والخيل ؟ اما عندكم لهذه الفيلة من حيلة ؟ »

قالوا بلى والله ، ثم نادى عاصم رجالا من قومه رماة واخرون لهم ثقافة وقال لهم « يا معشر الرماة ذبوا ركبان الفيلة » فباشروا بالرمى على من كان فوق ظهورها ، وامر اصحاب الثقافة ان يستدبروا الفيلة ويقطعوا وضنها ، فأقبل اصحاب عاصم يقاتلون الفيلة ويقطعون وظنها ، ويرمون من كان على ظهورها وما زالوا بها حتى قطعوا اظان جميع الفيلة ، ورموا البروج من على ظهورها وقتلوا من كان بها من الرماة ، فخف الضغط عن الجند العربى وعلى قبيلة اسد واستمر القتال حتى ذهبت هدأة من الليل ، فرجع جند الجيشين الى مواضعهم وتوقف القتال الى الصباح فبلغت خسائر اسد (٥٠٠) قتيل هذا اليوم •

نظرة فى خطة رستم

يظهر من سير القتال هذا اليوم ان خطة رستم كانت ان يزيل ميسرة الجيش العربى ويرميها على القلب ثم يرمى بالجيش العربى على المستنقعات (فيض الماء الذى عن يمين القادسية الى الولجة) فيعرى ظهر الجيش العربى ويقطع خط مواصلاته مع الجزيرة العربية فيقضى عليه قضاء تاما ، وهذه خطة حكيمة اذ ان القتال وجها لوجه أمام الجيش العربى لا يؤدى الا الى انسحاب العرب الى البادية فيطول أمد الحرب •

لكن العرب احبطوا هذه الخطة بقتال مرير فتمكنوا من المحافظة على موقفهم بصورة تدعو الى الاعجاب بهم ، وببسالتهم التى ابدوها في مقاتلة الفيل بالرغم من تفوق عدوهم •

فقال عمرو بن شأس الأسدى :ــ

لقـــد علمت بنو اســـد بانا　　اولو الاحلام اذ ذكروا الحلوما
وانا النازلــون بكل ثغـــر　　ولـــم نلقه الا هشيمـــا

الى ان قال :ــ

نفينـــا فارسا عمـــا ارادت　　وكانت لا تحاول ان تريمـــا

كما ان هذا القتال دل على نقص فى القيادة العربية ، اذ كان على القائد العربى ان يعرف هذه الفيلة واسلوب قتالها ويفكر باساليب مقاتلتها ومقاومتها ، ويدرب الخيل العربية على عدم النفرة منها فلو لم يكن عاصم بن عمـــرو التميمى قادرا على ما عمل لما تمكنت القيادة العربية من ايقاف الزحف الفارسى تجاه الجناح الايسر للجيش العربى ، فلا يكفى ان يكون القائد شجاعا ومؤمنا بعقيدته أو معتمدا على كفاءة الجند المقاتل انما عليه ان يدرس عدوه من جميع الوجوه ويجد الحلول لكل قضية ، وقادرا على استغلال المواقف فى مصلحة جيشه .

وا مثنيـــاه

تزوج سعد بن ابى وقاص سلمى زوج المثنى بن حارثة الشيبانى من بعد وفاته ، فلما رأت سلمى شدة القتال وتأثير الفرس فى الكتائب العربيــة صاحت (وا مثنياه ولا مثنى للخيل اليوم) وكان بجنبها سعد بن ابى وقاص وقد ضجر من حال القتال ومن المرض فلما سمعها تنادى وا مثنياه لطمها على وجهها وقال لها « اين المثني من هذه الكتيبة التى تدور عليها الرحى » يعنى اســدا وعاصم وخيله .

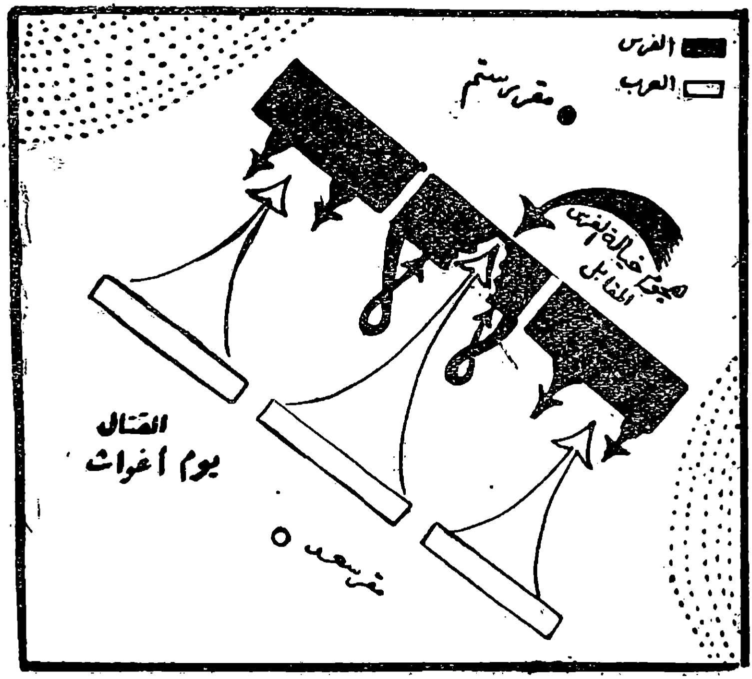
فقالت ــ اغيرة وجبنا ؟

فقال سعد ــ « والله لا يعذرنى اليوم احد ، ان لم تعذرينى وانت ترين ما بى ، والناس احق ان لا يعذرونى » فسمعها الناس فلما انتصروا لم يبق شاعر الا اعتد بها على سعد .

وحق لسلمى ان تقول وا مثنياه فالمثنى قد عودها ان لا تراه الا وسط الجند يدور في المعركة ويصول ويجول ويحيى ميت الرجاء فى النفوس ، وهو صاحب الغارات الاولى وبطل معركة الجسر الذى حمى ظهر الجيش العربى ، فهو مفخرة من مفاخر العرب ، وان الجند بحاجة اليه في هذا اليوم ولكن سلمى تلفتت فلا تراه وترى سعدا وقد اضر به المرض .

القتال يوم أغواث ووصول القعقاع

كان الخليفة عمر بن الخطاب قد أمر قائد قواته فى الشام (ابو عبيـــدة بن الجراح) ان يرسل اهل العراق اليه ، ويعنى بذلك ارجاع الجند الــذى جاء مع خالد بن الوليد ، فارسل ابو عبيدة ستت آلاف فارس بقيادة هاشم بن عتبة بن ابي وقاص وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو الذى فوز مع خالد بن



خريطـــة رقم (٦)

الوليد الى الشام ، وكانت معركة القادسية قد جرت بعد فتح دمشق بشهر واحد ، فلما جرى القتال يوم ارماث كانت القوات بطريقها الى القادسية ، وما ان انتهى العرب من حمل الجرحى ودفن القتلى من الساحة على الابل وقد استلم الجرحى النساء للعناية بهم وارسل القتلى الى مدافنهم حتى اقبلت مقدمة الجيش (النجدة من الشام) في صبيحة اليوم الثاني للقتال (يوم اغواث) •

والقعقاع كان قد اشترك مع خالد بن الوليد في جميع معاركه حتى الان فلابد له ان اخذ عن استاذه في فن الحرب ، كما انه مقاتل ومفكر حتى قال فيه ابو بكر الصديق « لا يهزم جيش فيه مثل هذا » ، فلما شارف على القادسية قسم جنده الى اقسام (كل عشرة من الرجال قسم ومع كل قسم راية وسرحهم) فكلما بلغ مد البصر ارسل قسما اخر ووصل مع القسم الاول وبشر الجند العربي بالنجدات ثم اخذت الرايات تتوارد على القادسية وعددها لا ينقطع فارتفعت معنويات الجند العربي ، واصبحوا وكأن لم يكن القتال يوم ارماث فلما دخل القعقاع الصف قال « ايها الناس انى قد جئتكم من قوم ، والله ان لو كانوا مكانكم ثم احسوكم حسدوكم حظوتها وحاولوا ان يطيروا بها دونكم فاصنعوا كما اصنع » •

البعير والفيل

فبدأت المبارزات الفردية بين ابطال الجيشين حتى انتصف النهار ، وعند ذلك التحم الجيشان وقام بنوا عم القعقاع وحملوا عشرة من الرجال على الابل وهي مبرقعة وطافوا بها على الخيل لكى تتعودها ولا تنفر منها ، وهذا العمل كان يجب ان تقوم به القيادة العربية التى لم تجرب به شيئا حتى جاء القعقاع (٦٩)

(٦٩) كانت النجدة من الشام (٦٠٠٠) مقاتل منهم (٥٠٠٠) من ربيعة و(١٠٠٠) من أهل اليمن من أهل الحجاز وعلى المجنبتين قيس بن هبيرة بن عبد يغوث المرادى ، والهزهاز بن عمرو العجلي وعلى الساقة أنيس بن عباس وعلى المقدمة القعقاع وبقى خالد بن الوليد فى سورية لان عمر قد عزله عن القيادة وابقاه مع ابى عبيدة لانه بحاجة اليه ـ راجع كتاب القائد الخالد ـ خالد بن الوليد ـ للمؤلف لمعرفة اسباب عزل خالد عن القيادة ـ طبع بغداد سنة ١٩٥٥ ميلادية •

فلما التحم الجيشان فى القتال خرجوا بهذه الأبل المبرقعة الى جيش الفرس فجفلت الخيول فى الجيش الفارسى منها ، فاشتد الفزسان العرب على الفرس واشتدوا فى قتل عدوهم •

وهنا نلاحظ ان القعقاع لم يترك حماية الأبل المبرقعة كما فعل الفرس عند تقديمهم الفيلة بدون حماية الامر الذى ادى الى تمكن العرب من قطع اوظانها ، انما وضع الحماية اللازمة لهذه الابل فكانت شدة العرب على الفرس فى هذا اليوم اشد من تأثير الفيلة الفارسية فى يوم ارماث ايضا ، وقد استمر القتال فى هذا اليوم حتى انتصف الليل وقد دعيت ليلة ارماث ليلة (الهدأة) وليلة اغواث ليلة السواد والنصف الاول من الليل دعى السواد • وقد قام قلب الجيش العربى بالهجوم على قلب الجيش الفارسى حتى كادوا أن يصلوا الى معسكر رستم ويأخذوه أخذا ، وكان النصر بجانبهم وقد قتلوا اعلام الجيش الفارسى ، غير أن الفرس لما رأوا شدة العرب امروا خيالتهم فقامت بهجوم مضاد على خيالة العرب فتوقف الزحف العربى هذا اليوم ، ونعتقد ان الفرس امروا الخيالة بالقيام بالهجوم المقابل (المضاد) اثناء الليل لان خيل الفرس نفرت من الابل المبرقعة ولا يعقل ان تقبل على الهجوم لو لم يكن الوقت ليلا • وبعد تناصف الليل تراجع الجيشان الى مواقعهما •

ومن سير القتال هذا اليوم يظهر لنا ان العرب اتخذوا خطة الهجوم على قلب الجيش الفارسى الذى أراد ان يضرب ميسرة الجيش العربى لتدميره والقضاء عليه اذ بذلك ينقسم الجيش الفارسى الى قسمين ، وفى رأينا ان خطة الجيش العربى خطة حكيمة فهي اصوب من خطة قائد الجيش الفارسى فى اليوم السابق اذ ان خطة الفرس تكلف كثيرا من الجهود (ان نجحت) لامكان دفع الجيش العربى الى منطقة واحدة وتدميره • فخطة العرب اقرب الى التحقيق لان المنطقة محاطة بالمياه من كل من الجانبين الايمن والايسر •

معنويات العرب فى أثناء القتال

ولنا ان نصف بعض اعمال الفرسان العرب فى هذا اليوم لنتصور

معنويات الجند العربى فى القتال •

فقد برز القعقاع بن عمروا ونادى للبراز فبرز اليه احد فرسان الفرس فسأله القعقاع من انت ؟ فقال الفارسى انا بهمن جاذويه • فنادى القعقـــاع يالثارات ابى عبيد وسليط واصحاب الجسر فاجتلدا فقتله القعقاع ، فبرز اليه البيرزان والبندوان من قادة الفرس فانظم الى القعقاع الحارث بن ظبيان بن الحارث اخو بنى تميم فقتلاهما ، وهكذا استمر القعقاع لا يبزز اليه احد من قادة الفرس الا وقتله •

اما النساء فقد جمعت امرأة من النخع اولادها الاربع وقالت لهم « انكم قد اسلتم فلم تبدلوا وهاجرتم فلم تثربوا ولم تنب بكم البلاد ، ولم تقحمكم السنة ، ثم جئتم بامكم عجوز كبيرة ووضعتموها بين ايدى اهل فارس ، والله انكم لبنوا رجل واحد كما انكم بنوا امرأة واحدة ، ما خنت اباكم ولا فضحت خالكم ، انطلقوا فاشهدوا اول القتال وآخره » فلما انطلقوا من عند امهم وهم مشتدين للقتال رفعت يديها الى الله تعالى تقول « اللهم ادفع عن بنى » وهكذا بلغ الحماس عند النساء درجة كبيرة ، وهذه احداهن وهى عجوز تدفع اولادها الى القتال مشجعة لهم على الموت تدفعها حميتها ونخوتها لدينها ولامتها ، لاتطلب غير عزة قومها ، ثم هى ترفع يديها الى الله تعالى تدعوه ليحفظهم ، وقد جعلت واجب امتها فوق عطفها وحنانها • وما احوجنا ونحن فى هذا العصر الى مثل هذه التربية الروحية العظيمة لنعيد مجدا أشاده اسلافنا ، وهذا خير مثل للنساء فى عصرنا ليعرفن كيف ان نساء العرب كن يربين ابناءهن للقتال والقتل فاخذن النصر من العدو اخذا •

وقد استجاب جل جلاله دعاء العجوز فدفع عن ابنائها فاخذ كل منهم الفين عند العطاء • وفى السجن كان ابو محجن الثقفى مقيدا في الحديد والحرب تدور رحاها فلم يصطبر فطلب الى سعد ان يطلق سراحه ليشترك فى القتال فابى عليه فقال :

كفى حزنا ان تردى الخيل بالقنا   واترك مشدودا على وثاقيا
اذا قمت عنانى الحديد واغلقت   مصاريع دونى قد تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير واخوة   فقد تركونى واحدا لا اخا ليا
ولله عهد لا اخيس بعهده   لان فرجت ان لا ازور الحوانيا

فسمعته سلمى زوجة سعد فاعطته (البلقاء) فرس سعد[٧٠] فخرج من خلف المسلمين وصار يصول ويجول بين الجند والناس متعجبون من هذا الفارس وظنوه من فرسان نجدة الشام التى لم تصل بعد ، حتى اذا ما انتهى من القتال رجع الى محبسه ووضع الحديد فى رجليه فذهبت سلمى واخبرت سعدا بالذى حدث فعفى عنه .

وقد جرح احد المقاتلين في المعركة فشقت بطنه وخرجت امعاؤه فاستعان باحد المقاتلين فردها الى محلها ثم مسك الجرح وتقدم نحو الفرس ويقصد رستما وهو غير مبال بجرحه وهو ينشد « ارجو بها من ربنا ثوابا + قد كنت ممن احسن الضرابا » . فمات دون بغيته .

الخسائر

وقد بلغت خسائر الجيش العربى فى قتال هذا اليوم (٢٠٠٠) قتيل ورثيث (جريح) وبلغ قتلى الفرس (١٠,٠٠٠) قتيل ، وفى صبيحة اليوم الثانى تمكن العرب من حمل الجرحى وسلموهم الى النساء لمداراتهم ، أما القتلى فقد احرزوهم وراء ظهورهم ، وكان المسؤل عن دفن القتلى صاحب بن زيد .

وهكذا مر اليوم الثانى للقتال من ايام معركة القادسية ولم يحرز العرب النصر ، ولم يتمكن الفرس من الدفع عن امبراطوريتهم فلا زالت القوات العربية نشطة ، وبقيت النتيجة معلقة بينهم .

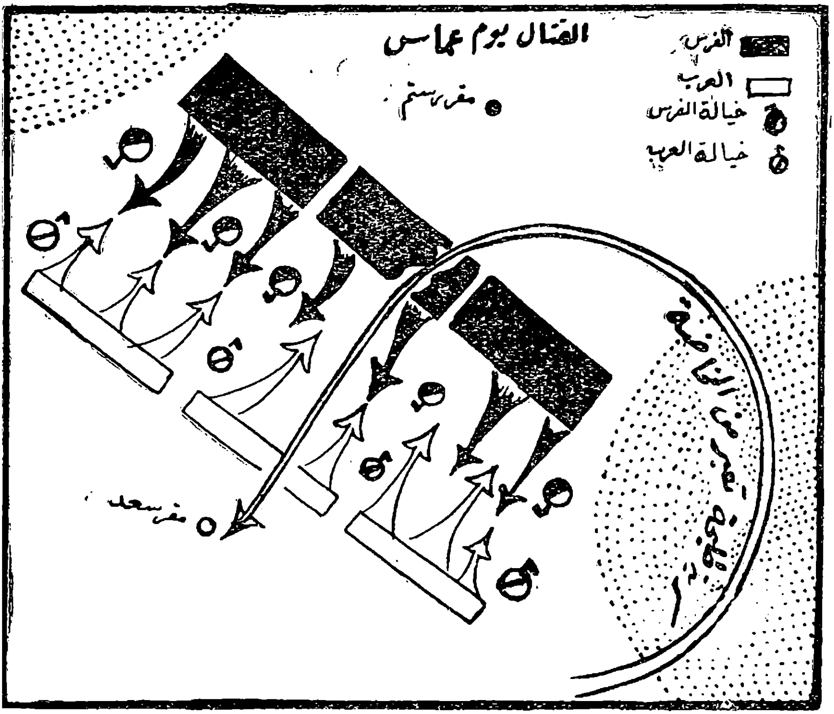
---

(٧٠) فى رواية ان الزبراء زوجة سعد (أم ولده) هى التى أعطته الفرس بعد ان عاهدها ان يرجع الى السجن ان كتبت له السلامة .

القتـــال يوم عماس

تدبير القعقاع

انتهى القتال يوم اغواث ولم تصل النجدات المرسلة من الشام بقيـادة هاشم بن عتبة بن ابى وقاص فلم ينم القعقاع بن عمرو التميمى ليلته ، انما ارسل جماعته الذين جاؤا معه الى المكان الذى وضعهم به فى اليوم السابق



خريطـــة رقم (٧)

وامرهم ان يتقدموا الى الناس مائة مائة ومع كل مائة راية فان وصل هاشم بقواته فبها ، والا فانهم سيجددون العزائم فى المقاتلين العرب باعتبارهم من نجدات الشام تدخل معهم الى القتال ، وقد كان هذا التدبير لازما لهـم فى ذلك اليوم لتجديد الهمم فى الجند العربى الذى مضى عليه يومان بلياليهاوهو في قتال مستميت مع الفرس ولم ينالوا شيئا •

بين القعقاع وفرانسوا

يستحسن قبل شرح موقف العرب والفرس ان نقارن بين عمل القعقاع بن عمرو العربى وبين عمل القائد فرانسوا الالمانى فى معركة تاننبرغ * فى الحرب العالمية الاولى فقد كان الموقف بين الالمان والروس ان الجيش الروسى منسحب امام الجيش الالمانى القائم بمطاردته ، وكان الروس ينسحبون خلال الغابات ، فقام هذا القائد الالمانى بزرع قوات فيلقه على طول الحافات الخارجية للغابات فسد جميع مخارجها على الجيش الروسى بدون علم من قائده (هندنبرغ) فلما همت الكتائب الروسية بالخروج من الغابات صار مصيرها الفناء بحراب جنود فيلق القائد فرانسوا فصارت هذه الغابات مقبرة الجيش الروسى فانتحر قائده .

والقعقاع يسحب قواته من المعركة بدون علم من قائده سعد بن ابى وقاص ، وبذلك ينقص قوة الجيش المحارب ولو لفترة وجيزة فهى خطرة على الجيش العربى الذى يقاتل تجاه جيش يتفوق عليه بالعدد والعدة ، فان كان فرانسوا قام بعمله وعدوه منسحب أمامه ولا خطر عليه الا من استماتة هذا العدو فى القتال ، فان القعقاع قام بهذا العمل وعدوه لا زال قويا غير أنه رأى بثاقب رايه أن هذا العمل ضرورى للجيش وتستوجب هذه التضحية، فمرحى للقعقاع فقد عرف نقطة الضعف فى قومه فعالجها ليضمن النصر ، بينما عرف فرانسوا نقطة الضعف فى عدوه فاستغلها ليضمن النصر ، وكلا العملين مبنى على تقدير دقيق للموقف الذى كانا به ، وهذا هو وجه الشبه بين عمل هذين القائدين وجراتهما وابداعهما الذاتي ، فكل منهما عرف نقطة ضعف فاستغلها لاحراز النصر هذا فى جيشه فعالجها وذلك فى عدوه فاستغلها ولا تكون القيادة الا كمثل هذا ، فمرحى للسابق منهما القعقاع بن عمرو

(*) معركة تاننبرغ بين الالمان والروس تدمر بها (٢٥٠,٠٠٠) جندى روسى فى الحرب العالمية الاولى . سنة ١٩١٤ م – ١٩١٨م .

تلميذ خالد بن الوليد[٧١] .

اثر عمل القعقاع فى القتال

وقد كان القتال بين العرب والفرس شديدا هذا اليوم ، فكلما بلـغ العرب من الفرس قابل الفرس عملهم باخر أشد منه ، وكلما قام الفـرس بشدة على العرب قابلهم العرب بشدة أكبر ويظهر ان شدة العرب على الفرس كانت نتيجة وصول جماعات القعقاع بن عمرو التى كلما وصلت جماعة منها أحيت ميت الرجاء فى النفوس فيشتدوا على الفرس ويؤيد ما ذهبنا اليه مـا اورده الطبرى اذ جاء (لولا الذى صنع الله للمسلمين بالذى الهم القعقاع فى اليومين ، وأتاح لهم بهاشم كسر ذلك المسلمون) وهذا يعنى ان لوصـول النجدات الموهومة أثر كبير فى النصر وفى ثبات المسلمين فى القتال هذا اليوم أمام شدة الفرس المتزايدة عليهم ، وفى وسعنا ان نقرر ان النصر الذى احرزه العرب فى القادسية كان من نتيجة عمل القعقاع ، فرضى الله عن القعقاع وجزاه الله عن العرب والمسلمين خير الجزاء ، وان كنا لنأمل ذلك منه فهو القـائد الذى لايهزم جيش فيه من مثله كما قال ابو بكر الصديق .

الفيـل ثانيـة

انزل الفرس الفيل فى هذا اليوم في ساحة القتال ووجهوه الى قلب الجيش العربى لتدميره لان قلب الجيش العربى يؤثر على قلب الجيش الفارسى، واننا نعتقد ان القائد الفارسى قد غير خطته فى هذا اليوم فى مهاجمة الجيش العربى فاراد بهجومه على قلب الجيش العربى ان يخترق الجيش العـربى ويفصله الى قسمين ليسهل عليه تدميره ، وهذه خطة معقولة بالنسبة لهـذا الموقف الذى يستند به جناحا الجيش على موانع قوية غير ان العرب كانوا

---

(٧١) لسنا مخطئين ان قلنا ان القعقاع تلميذ خالد بن الوليد فقـد اشترك فى جميع المعارك التى قادها خالد فى العراق وفى الشام حتى رجوعه الى العـراق .

صامدين للقتال فى هذه المرة ايضا وقد صار أمام رستم المحنك القعقاع المهذب الذى كان يعرف كيف يعالج المواقف ويداور بها لمصلحة قومه العرب •

أما سبب عدم تقديم الفيلة فى قتال يوم اغواث فهو عدم امكان اصلاح صناديقها التى تكسرت فى يوم ارماث وعدم تهيئة غيرها احتياطا ، وهذا نقص فى القيادة الفارسية ، اذ كان يجب تهيئة صناديق اخرى لاستعمالها عند الحاجة •

وقد استفاد الفرس من غلطتهم فى اليوم الاسبق بتقديم الفيل من غير حماية له فارسلوا معه جندا يحمونه ليمنعوا وصول العرب الى خلف الفيل كما حدث فى اليوم الاول وهكذا تقدم الفيل محميا من الخلف ، غير ان الفيل اذا تقدم معه احد لايكون شرسا في القتال ، كما اذا كان منفردا من غير حماية •

وقد كان للفيل هذا اليوم تأثير كبير على العرب ايضا وكان يقود الفيلة فيلان فيل ابيض واخر اجرب فلما تقدم هذان الفيلان تقدمت الفيلة الاخرى لذلك طلب سعد الى القعقاع واخيه عاصم ان يعالجا هذين الفيلين • وقد ارشد الجند الفرس الذين التحقوا بالجيش العربى الى اسلوب معالجة الفيل فتقدم القعقاع وعاصم الى الفيل الابيض وطعناه فى عينيه برمحين اصمين ، وقطعا مشفره ، وكذلك تقدم الربيل وحمال من قبيلة اسد الى الفيل الاجرب وأعمياه وقطعا مشفره ، فصار يجول بين الجيشين بدون توجيه له فيدفعه الفرس بالنخس لمقاتلة العرب ويدفعه العرب بالوخز لمقاتلة الفرس فرمى نفسه بالعتيق فتبعته الفيلة الباقية وانهزمت من الساحة وبقى الجيش الفارسى يقاتل بدون هذه الحصون المتحركة وتنفس العرب الصعداء ، واصبح مجال القتال بالسيوف مع الجند الفارسى وجها لوجه ، والنصر من عند الله يؤتيه من يشاء من عباده الصابرين •

وهذا نقص فى القيادة الفارسية اخر ، اذ انها دربت جميع الفيلة للقتال على أن تعقب فيلين فقط فلما أعماها العرب فقدت الفيلة الاخرى التوجيه ،

وكان لزاما على القيادة الفارسية ان تدرب فيلة اخرى لقادة الفيلة عندما يحدث مثل هذا الحادث •

وبعد الظهر (بعد ان مال الظل) زحف المسلمون يحميهم الفرسان الذين يقاتلون منذ الصباح الى مقاتلة عدوهم • وبالرغم من شدة القتال لم يتمكن احد من الفريقين من احراز النصر فى هذا اليوم ، لا الفرس المتفوقين فى تسليحهم وعددهم على العرب الذين كان معظم جندهم غير مسلح تسليحا كافيا ، فقد ان كثير منهم رؤسهم بالانساع وجنبهم ببراذع الرحال (٧٢)وقد اعرضوا فيها الجريد ليتقوا ضربات سيوف خصمهم المسلح بالدروع الحديدية، ولا العرب الذين يدفعهم ايمانهم بالنصر رغم قلتهم • فاستمر القتال حتى الهزيع المتاخر من الليل ، وكانت مخاصة تؤدى الى جناح الجيش العربى الايمن ، فارسل اليها سعد بن ابى وقاص طليحة وعمرو لحمايتها ، فصبر الفريقان العرب والفرس على القتال الشديد ولم يكن يفهم لهم الا الغمائم فسميت ليلة الهرير والحق ان كلا الجيشين كانا مستميتين فى القتال هذا يدفع عن الدولة الساسانية وهذا يريد النصر لنشر الاسلام والعدالة والسلام بين الناس •

طليحة عند المخاضة

وقد كانت ليلة الهرير اخر ليلة يقاتل بها العرب الفرس فى القادسية وقد ارسل سعد طليحة وعمرو الى المخاضة فلما وصلاها لم يجدا احدا من الفرس بها فطلب طليحة الى صاحبه ان يعبرا المخاضة لمهاجمة الفرس من خلفهم ، فابى عمرو ذلك ، الا ان يذهب من اسفلها فعبرها طليحة وحده وسار من خلف القوات الفارسية حتى صار بحيال المعسكر الذى عمله الجيش

---

(٧٢) النسع ــ سير او حبل طويل تشد به الرحال •
البرذعة ــ كساء يلقى على ظهر الدابة •

الفارسي لعبور العتيق ، فكبر ثلاثا مع سريته فارتاع العرب والفرس على السواء من عمله هذا اذ لا علم لاحد بما صنع طليحة ، فكف بعضهم عن بعض لمعرفة هذا الحادث ثم عاد طليحة فاخبر سعدا بالخبر فانشرحت صدور العرب •

ومن هذا يظهر ان هنالك نقصا في القيادة العربية (٧٣) ، فقد كان الواجب عليها ان تستطلع الساحة جيدا في وقت مبكر فلا تتركها ولو كانت سرية طليحة قد وحدت حركتها مع الجيش العربى وبقوة اكبر لكانت النتيجة فى صالح المسلمين •

كما ان الفرس قد تركوا هذه المنطقة بدون مراقبة ، فان اعذر القائد العربى باتخاذه التدابير لمراقبة المخاضة ، فلا عذر للقائد الفارسى الذى لم ينتبه الى اهميتها ، وقد لا يكون على علم بها • وقد يقول احد ان قلة القوات العربية هى السبب فى عدم القيام فى مثل هذه المعركة ، ولكننا نكاد نجزم ان لو كان خالد بن الوليد هو القائد لعرف كيف يستغلها لاحراز النصر بوقت اسرع • على ان عمل طليحة هذا يدل على نتيجة اخرى وهى ان سيطرة القيادة العربية كانت ضعيفة لنقص فى اصدار الاوامر ، فلو كان واجب طليحة واضحا ومحددا له لما قام بعمله هذا • أما سعد بن ابى وقاص فقد خاف على السريتين التين ارسلهما الى المخاضة فارسل سرية مؤلفة من سبعين فارسا بقيادة قيس بن المكشوح لمعاونتهما وان يكون قائدهما فلم يرض به عمرو قائدا فترك السرية ورجع الى سعد ، ويظهر ان هذه النفسية فى العرب كانت احد العوامل التى حملت عمر بن الخطاب على عدم تسليم قيادة الجند الى الرجال الذين ارتدوا عن الاسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر ان لايسلموا قيادة قوة اكثر من سرية (مائة رجل) •

---

(٧٣) هذا مع العلم ان عمر بن الخطاب اوصى سعدا وجوب معرفة الارض جيدا •

وصف معنويات العرب فى القتال يوم عماس

بعد ان وصلت نجدات الشام وقف هاشم بن عتبة بن ابى وقاص فى رجاله وكان معه قيس بن المكشوح فقال « يا معشر العرب ان الله قد من عليكم بالاسلام واكرمكم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فاصبحتم بنعمة الله اخوانا ، دعوتكم واحدة وامركم واحد بعد اذ انكم يعدو بعضكم على بعض عدو الاسد ويختطف بعضكم بعضا اختطاف الذئاب ، فانصروا الله ينصركم وتنجزوا من الله فتح فارس ، فان اخوانكم من أهل الشام قد انجز الله لهم فتح الشـــام وانتثال القصور الحمر والحصون الحمر •

وقد ابتدأت مطاردة الفرسان وبرز الابطال من الجيشين ، فمن الجيش العربى حمل أبو ثور معد يكرب الزبيدى على أحد الفيلة التي تقدمت بازائه وقال لقومه : انى حامل على الفيـــل فلا تدعونى اكثر من جزر جزور ، فان تأخرتم عنى فقدتم أبا ثور ، فانى لكم مثل أبى ثور ، فان ادركتمونى وجدتمونى وفى يدى السيف » فحمل على الفيل وعلا الغبار وســـتره عن القوم ، فقال أصحابه ما تنتظرون ؟ ما أنتم بخلقاء أن تدركوه وان فقدتموه فقد المسلمون فارسهم » فحملوا حملة صادقة فانفرج عنه المشركون ، فاذا أبو ثور وبيده السيف وقد طعنوا فرســـه •

أما من الفرس فقد برز أحد ابطالهم فبرز اليه من العرب رجل قصير ليس له مهابة الجند المقاتل فلما رآه الفارسى نزل اليـــه فحمله وجلس على صدره ليذبحه وكان عنان الفرس مشدود بحزامه فجفلت الفرس فاذا بالعربى فوق صدره فقتله وأخذ سلبه ، وهكذا استمرت المبارات والفرسان العرب يتسابقون الى قتل العدو والى الموت ثم تزاحف الجيشان •

رســـتم يغير تعبيته

أما رستم فلم يبق جيشه على التعبية التى سبق له ان عبأها قبل أن يفقد الفيلة ، فقد غيرها بأن جعل جيشه ثلاثة عشر صفا لكل صف اذنان وبهـذا

أصبح الجيش الفارسى واحة يصعب خرقها كما ان جوانبها اصبحت جبهة قادرة على مقابلة الهجمات من أي اتجاه كانت، وبهذه التعبية أصبح وضع الجيش الفارسى دفاعيا محضا – وقلما ينجح المدافع – والغلبة للمهاجم دائما أما الجيش العربى فقد بقي على تعبيته الهجومية من ثلاثة صفوف ، والخيالة فى الامام وعلى الجوانب فالمشاة المسلحون بالسيوف والرماح ثم رماة النبل • فلما زحف الجيش الفارسى انشب القعقاع القتال فقال سعد « ان الامر الذى صنع القعقاع » وأمر الجيش بالتهيوء للزحف ورحى الحرب تدور على القعقاع وكتيبته ، وقد احسن هذا بالاشتباك اذ أن ذلك اوقف تقدم الجيش الفارسى واوقف زحفه فتمكن الجيش العربى من التهيؤ للقتال ، فحق للمؤرخين ان يذكروا ان لو لا القعقاع لما انتصر العرب •

وقد قام قيس بن هبيرة المرادى في قومه فقال لهم « ان عدوكم قد أبى الا المزاحفة ، والرأى رأى أميركم وليس ان تحمل الخيل وليس معها الرجالة (المشاة) ، فان القوم اذا زحفوا وطاردهم العدو على الخيل لارجال معهم عقروا بهم ولم يطيقوا ان يقدموا عليهم ، فتيسروا للحملة وانتظروا التكبير وموافقة حملة الناس » وكانت نشاب الاعاجم تجوز صف المسلمين •

ويظهر ان رستما اراد الهجوم بالرغم من تعبية جيشه بخطة دفاعية والذى نراه انه افرغ كل ما فى جعبته من الاساليب لمقاتلة العرب ، وانه اتخذ هذه التعبية وزحف كآخر محاولة ممكنة لديه او انه فقد توازنه •

وما كاد ان يشتبك القعقاع بالقتال حتى ترجل امراء الاعشار ونادوا ترجلوا ايها الناس ، فترجل الجند العربى واستقبلوا القتال بعدما صلوا العشاء وكانت كتيبة القعقاع لازالت لوحدها مشتبكة بالقتال ، فلما كبّر سعد التكبيرة الثانية حمل عاصم بكتيبته وانظم الى القعقاع (اخيه) فتوالى الزحف العربى ، فلما كبّر سعد الثالثة لم يبق من الجيش العربى بانتظارها غير الرؤساء ، وقد استمر القتال شديدا وصبر الفريقان عليه فلم ير الفرس والعرب ليلة اشد

من هذه الليلة وانقطعت الاصوات فيها الا صوت السيوف وصليل الحديدالذى كان يشبه اصوات القيون (الصفافير) ، وبات القائدان رستم وسعد ليلة لم يبيتا مثلها وانقطعت الاخبار عنهما حتى الصباح حيث سمع سعد صوت القعقاع وهو يرتجز :ـ

نحن قتلنا معشرا وزائدا اربعة وخمسة وواحدا
نحسب فوق اللبد الاساودا حتى اذا ماتوا دعوت جاهدا
الله ربى واحترزت عامدا

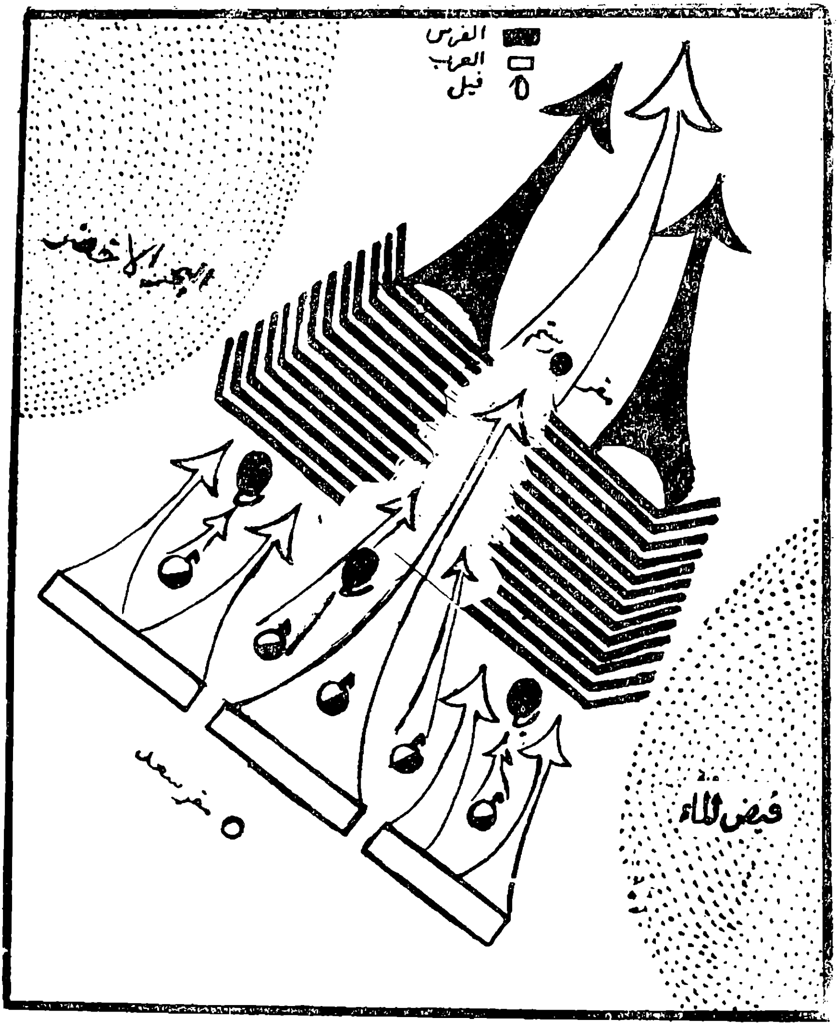
وكان بازاء كتيبة من كتائب العرب كتيبة من الجيش الفارسى من اهالى ترك الطبرى ، فلم تقو الكتيبة العربية عليها فسألهم حميضة (احد الجند) ما بالكم ؟ فقالوا له لا تؤثر فيهم السيوف ، ويظهر ان سواعدهم كلّت وهم بحاجة الى من يرفع معنوياتهم ، فقال لهم حميضة « كما انتم حتي اريكم » فحمل على رجل من هذه الكتيبة وقدّ ظهره بالرمح ، والتفت اليهم وقال «ما اراهم الا يموتون دونكم » فحملوا عليها وازالوها من مكانها ، فقال احدهم مرتجزا •

نحن تركنا تركهم فى المصطرة مخضبا من بهران الابهره

يوم القادسية

انتهى قتال ليلة الهرير واصبح النهار ولا زال القتال مستمرا بين الجيشين المحتربين فى القادسية وعند الصباح سمع سعد القعقاع ينادى « ان الدبرة بعد ساعة لمن بدأ القوم ، فاصبروا ساعة واحملوا فان النصر مع الصبر » •

وهكذا كان القعقاع محور الحرب فى الجيش العربى فى قتال القادسية ، ففهم الامراء ما كان القعقاع يقصد فاجتمع اليه بعض أمراء الكتائب وصمدوا للقتال فقال احدهم لرجال كتيبته « لا يكونن هؤلاء لاهل فارس اجرأ على الموت منكم » (يقصد جماعة القعقاع) ولا اسخى نفسا عن الدنيا ، تنافسوها



خريطـــة رقم (٨)

« فحملوا مما يليهم حتى خالطوا الذين بازائهم وقال رجال من ربيعة لقبيلتهم» انتم اعلم الناس بفارس واجرأهم عليهم فيما مضى ، فما يمنعكم اليوم ان تكونوا اجرأ مما كنتم بالجرأة ؟ وهذا يدل على ان الرؤساء لم يتركوا نقطة فى الجند

العربى الا عالجوها بالاسلوب الصحيح فتزاحم الرجال على القتال والقتل وشددوا الهجوم واستمر الزخم العربى يتزايد على قلب الجيش الفارسى وما ان حان وقت الظهر حتى كان العرب قد تمكنوا من خرق الجيش الفارسى بانفراج القلب فيه ، وبذلك انقسم الجيش الفارسى العنيد الى قسمين وتقدمت كتائب الجيش العربى مقتدية بكتيبة القعقاع بين قسمي الجيش الفارسي يشتتون كتائبه او يبيدونها • وبينما كان القعقاع بكتيبته يتقدم مسرعا نحو مقر رستم اذ هبت ريح جنوبية بغبار عاصف بوجه الجند الفارسى فساعد ذلك الجندالعربى على الوصول الى مقر رستم فوجدوا طيارته (مرصده) قد قلبته العاصفةوجرفتها الريح الى العتيق ورمتها فيه ، فلمارأى رستم وصول الكتائب العربية الى مقره اراد ستر نفسه عن اعين الجند العربى فاستظل بظل احد البغال فراه هلال بن علفة فضربه بالسيف فجرحه الا ان الجرح لم يمنعه الحركة فرمى نفسه بالنهر العتيق لينجوا بنفسه ، غير ان هلالا لم يتركه فادركه وسحبه من النهر وقتله ونادى (قتلت رستم ورب الكعبة) فاجتمع اليه نفر من رجال الجيش العربى وذاع الخبر فى الجيشين •

انسحاب الجيش الفارسى :

ما كاد الخبر يذاع بين الجيش الفارسى بمقتل رستم الذى كان الفرس يستمدون معنوياتهم منه لحسن تدبيره حتى اختل النظام فى الجيش وارتبكت القيادة الفارسية فى المعركة •

ونظرا للانفصال التام بين قسمى الجيش بعد الاختراق الذى نجح به العرب لم يبق للفرس أمل فى النصر ، بل انهم تحققوا الخسارة فاصبح لزاما عليهم الانسحاب من الساحة ، فاصبح قتالهم الان لا فائدة فيه وعليهم ان ينسحبوا الى محل اخر ليتهيؤا للقتال المفيد ، فباشر قادتهم بسحب القطعات وصار قتالهم فى سبيل انقاذ البقية الباقية من الدمار ، فلذلك سحب الجالينوس

قواته التى كانت في الجانب الايمن من الجيش الفارسى الى القنطرة التى عملها رستم عند التقدم لعبور النهر العتيق ، ليحمى انسحاب الكتائب الفارسيـــة المنسحبة ، وبعد ان تم الانسحاب خرّب الفرس القنطرة ليمنعوا العرب من مطاردتهم وقد احسنوا عملا بذلك •

ولما كانت القيادة الفارسية غير قادرة على تهيئة قوات اخرى بسرعة ، فقد اصبح الطريق للتقدم الى المدائن عاصمة الامبراطورية الفارسية سهلا على الجيش العربى كما سنرى •

وبالرغم من انسحاب الجيش الفارسى فان قسما من وحدات (كتائبـــه) لم تنسحب انما فضلوا الموت على عار الخذلان الذى لحقهم فاستبسلت بضعة وثلاثون كتيبة فارسية بقتال مستميت وقد ابيدت جميعها كما ابيد حرس الراية الفارسية(٧٤) •

وقد استسلم للعرب بعد معاندة قصيرة الامد قسم من القادة الفرس(٧٥)

فلما انسحبت الخيالة من الساحة لم يبق غير المشاة الثقيل وهم مسلسلون وكانوا ثلاثون الفا فلما هاجمهم الجيش العربى لم يجدوا بدا من الانسحاب غير ان انسحابهم كان متأخرا فرمى قسم منهم انفسهم فى العتيق خوفا من سيوف العرب التى اخذت تحصدهم فلم يحمهم النهر من الموت فابيدوا •

وهكذا ادام الجيش العربى زخم الهجوم فى معركة القادسية بحسن

---

(٧٤) كان القادة الفرس الذين استقتلوا فى المعركة هم :ـ
١ ـ شهريار بن كنار وكان بازائه سلمان • ٢ ـ ابن الهـــربذ وكان بازائه عبدالرحمن • ٣ ـ الفرخان الاهوازى وكان بازائه بسر بن ابى رهـم الجهنى • ٤ ـ خسرو شنوم الهمدانى وبازائه ابن الهذيل الكاهلى

(٧٥) كان القادة الذين استسلموا للجيش العربى هم :ـ
١ ـ الهرمزان وبازائه عطارد ـ ولكنه قد ظهر بموضع آخر فلا نؤيد ذلك • ٢ ـ واهود ـ وكان بازائه حنظلة بن الربيع كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم • ٣ ـ زاد بن بهيش ـ عاصم بن عمرو التميمى بازائه • ٤ ـ قارن ـ وبازائه القعقاع بن عمرو التميمى •

عمل القعقاع بن عمرو كما اتم خالد بن الوليد (استاذه) هذا الزخم في معركة اليرموك فافنى الجيش الفارسي كغريمه الروماني ، وبزوال اقوى جيش فارسي في القادسية زالت القوة الثانية من العالم ، فانتقلت السيطرة من ايدي الروم والفرس الى ايدي قوى الحق والعدل والانصاف ، ايدي الامة العربية فتنفس الناس الصعداء وتخلصوا من ظلم الاقطاع نهائيا واستظلوا بظل العدل والمساوات • وعلى الرجال العرب ان يعيدوا هذه السيرة وعلى المسلمين ان يتكاتفوا لنصرة الحق ، فقد تعود العالم ان لايرى الحق والعدل والمساوات الا تحت راية القرآن وان من ينصر الله ينصره •

المطـــاردة :

انسحب الجيش الفارسي بثلاثة اتجاهات ، وقد احسنوا بذلك صنعا ، ولو ان الانسحاب كان بثلاث اتجاهات طويلا ولكن كانت هذه المسافة وجيزة كما سنرى في فتح المدائن فلا يصح الانسحاب باتجاه واحـــد أمام جيش منتصر ، بل تنسحب القطعات بعدة اتجاهات ومن ثم تجتمع بمحل واحد للقتال وبهذا يضطر الجيش المطارد الى تشتيت قواته ، فامر سعد زهرة ان يطارد الرتـــل المركزي والقعقاع ليطارد الرتل الايمن (من سفل منهم) وشرحبيل بمطاردة الرتل الايسر (من علا منهم) •

واستمرت المطاردة حتى الليل فوصل القعقاع الى الخرارة ومعه شرحبيل أما زهرة فوصل الى النجف ، وبعد انتهاء المطاردة عادت القطعات الى القادسية ولم تستمر المطاردة الى مسافة اكثر من ذلك لان الجيش العربي كان منهك القوى من القتال الذي استمر اربعة ايام وثلاث ليالي وكان قتالا مريرا تجاه عدو متفوق بالعدد والعدد ، ولهذا لانرى ان نسمي هذه الحركة مطاردة حيث هي مطاردة موضعية فهي حركة تطهيرية للمنطقة لطرد القطعات الفارسية التي قد تتوقف على مسافة قريبة من القوات العربية وقد تسبب لها بعض المشاكل كما يقوم الاسد الجريح الذي يرى نفسه غير قادر على الافلات من الصياد بهجوم

انتقام منه لا لينقذ نفسه ، ولكن القادة فى الجيش الفارسى لم يقوموا بمثل هذه الحركة واتبعوا اسلوب الحكمة •

الغنـــائم :

بلغت غنائم العرب مقدارا كبيرا فامر سعد خالد بن عرفطة ان يجمعها وسلب الجند الفارسى فى ساحة المعركة ، وكتب الى الخليفة عمر بن الخطاب بالنصر مع سعد بن عجيل الفزارى ، ويسمى له من يعرف اسماءهم مـــن الشهداء فى القتال •

وقد فضل عمر بن الخطاب اهل البلاء فى العطاء على غيرهم بمقـــدار (٥٠٠) درهم[٧٦] •

وكانت راية الفرس التاريخية من حصة ضرار بن الخطاب فباعها بـ ٣٠٫٠٠٠ درهم وكانت قيمتها ١٫٢٠٠٫٠٠٠ درهم[٧٧] ، وكان زهرة قـد قتل الجالينوس واخذ سلبه فاستكثره سعد عليه فكتب الى عمر بن الخطـاب يخبره بذلك فكتب اليه عمر « تعمد الى مثل زهرة ــ وقد صلى بما صلى به ــ وقد بقى عليك ما بقى فتكسر قرنه ، وتفسد قلبه ، امض اليه سلبه وفضلـه على اصحابه عند العطاء بخمسمائة ، فاخذ زهرة سلبه وباعه بمبلغ (٧٠٫٠٠٠) درهم وبهذا كان الخليفة يستهدف رفع معنويات الجند المقاتل ولا يسمـــح للقادة ان يؤثروا فيها وخاصة ان المعارك لم تنته مع الفرس ، فأمامهم معارك اخرى لتطهير العراق منهم[٧٨] •

---

(٧٦) راجع نتائج فتح العراق فى الفصل الرابع نفس الكتاب •

(٧٧) جاء فى ذكر ثمن الراية الفارسية ارقام مبالغ فيها ومختلفة ، فقد ذكر حسن بيدنيا فى كتابه دسانهاى ايران قديم ان ضرارا باعها بمبلغ (٢٠٫٠٠٠) وذكر مؤرخوا العرب انه باعها بمبلغ ٧٠٫٠٠٠ وذكـر اليعقوبى ان ثمنها كان الفا الف (٢٫٠٠٠٫٠٠٠) فى التنبيه والاشراف •

(٧٨) هذه خطة خالد بن الوليد فى العطاء يطبقها عمـر بن الخطاب وليس لنا ان نلوم عمر على عزل خالد بعدما عرفنا انه اعترف بصحة نظـرة خالد وان عزله كان خطأ • (راجع القائد الخالد ــ خالد بن الوليد ــ للمؤلف)

. وكان من نتيجة القتال في القادسية ان اكمل العرب في العراق تسليحهم واصبح جميع الجيش العربي فرسانا بعد ان استولوا على خيول الفرس وعدتهم ، فاصبح الجيش العربي سريع التنقل .

أما العطاء للجند فكان إلفين للراجلين (المشاة) وضعفها للفرسان . بعد ارسال خمس الغنائم الى المدينة المنورة .

الخسائر

بلغت خسائر العرب في اليوم الاول من القتال (٥٠٠) قتيل من اسد وحدها ، وفي اليوم الثاني بلغت الخسائر (٢٠٠٠) قتيل وفي اليوم الثالث وليلة القادسية بلغت الخسائر (٦٠٠٠) قتيل فيكون مجموع الشهداء في معركة القادسية لا يقل عن (٨٥٠٠) قتيل .

وقد دفن الذين قتلوا في اليوم الال والثاني على مشرق [٧٩] أما من قتل في يوم الهرير فقد دفنوا حيال مشرق (في الخندق) .

أما خسائر الجيش الفارسي فقد بلغت عددا كبيرا جدا فقد بلغ عدد الكتائب التي ابيدت يوم القادسية بضعا وثلاثين كتيبة فاذا كان مجموع كل كتيبة ٥٠٠ (مقاتل باعتبار ان عدد الكتائب يتراوح بين ٥٠٠ مقاتل الى ١٠٠٠ مقاتل) فيكون مجموع الكتائب التي ابيدت لا يقل عن ١٨٠٠٠ مقاتل ، ويروى مؤرخوا العرب ان الجيش العربي اباد المسلسلين وعددهم ٣٠٫٠٠٠ مقاتل فاذا اضفنا اليهم قتلى اليوم الاول الذين بلغوا ١٠٫٠٠٠ قتيل فيكون مجموع خسائر الجيش الفارسي لا تقل عن ٥٠٫٠٠٠ قتيل من مجموع الجيش البالغ ١٢٠٫٠٠٠ مقاتل[٨٠] وما يجعلنا ان نميل الى هذا الرأى هو ان الفرس لم

---

(٧٩) مشرق تل قليل الارتفاع يقع على جنب خريبة جنوب النجف حاليا راجع تحقيق موقع القادسية .

(٨٠) هنالك من يعتبر ان عدد الجيش الفارسي ١٢٠٫٠٠٠ مبالغ فيه ولكننا لا نؤيد رأيهم لا لكون ان جميع المصادر التاريخية تقريبا تذكره ، انما

يتمكنوا من قبول معركة اخرى مع العرب الا فى جلولاء كما سنرى ، أما فى المدائن فكانت معاركهم للتعويق فقط •

عوامل النصر العربى :

تمكن العرب من الانتصار على الفرس فى القادسية بمعركة فاصلة بين الامتين وتدمير اقوى جيش تمكنت فارس من تهيئته حتى الآن وكان تعداد جيشهم اقل من ثلث الجيش الفارسى وجندهم اعزل من السلاح بالنسبة الى الجندى الفارسى الذى يسنده الفيل وان سبب هذا النصر هو :ـ

١ ـ المعنويات :

كان الجند العربى يقاتل وهو مؤمن انه على حق فهو يروم نشر العدالة والحرية بين الناس اجمعين لافرق بين حاكم ومحكوم وصغير وكبير ، وابيض واسود ، وانه يطلب موعود الله ، فهو يقاتل لاحدى الحسنيين (ظهور او شهادة) ويقاتل وهو مطمئن الى ان نتيجة القتال ستكون لمصلحته ومصلحة ابنائه من بعده فهو مستعد للتضحية ، بخلاف الجندى الفارسى الذى يقاتل عن مصلحة الطبقة الحاكمة والمتنفذين الذين لم يهتموا بالجرحى فى اليوم الاول من القتال بينما يرى اهتمام العرب بالجرحى والقتلى معا لشدة اهتمامهم بالفرد العربى •

ويستحسن هنا ان نذكر ان موعود الله (النصر على الاعداء) موجود فى كل زمان للمؤمنين به الذين يصبرون فى البأساء والضراء وحين البأس ، ومن ينصر الله ينصره ، وما على رجال الامة الا ان يصدقوا فى العمل ويبتغوا فيه وجه الله تعالى (الخدمة العامة للامة) ويحسنوا السرائر فاحق الجنود بالنصر من حسنت سريرته ولذلك قال رستم للفرس صدق والله العربي ، ان الله كان

لان الدولة الفارسية تهيأت بصورة جدية للحرب لا لطرد العرب فقط انما لاشغالهم بانفسهم وفتح بلادهم ، كما ان القطعات وردت اليهم من مختلف انحاء الامبراطورية الفارسية فكان فى الجيش الفارسى اتراك واكراد وفرس وافغانيين وغيرهم من الاقوام •

ينصركم على العدو ويمكن لكم فى البلاد بحسن السيرة وكف الظلم والوفاء بالعهود والاحسان •

٢ ـ العدل والمساواة :

تصادمت القوات العربية الاسلامية مع الفرس منذ ثلاث سنوات ـ منذ ابتداء المثنى بن حارثة الشيبانى بمهاجمة العراق ، ودخل العرب العراق فى عدة مناطق وتكاتبوا مع الفرس فعرفوا اخلاق العرب واخلاصهم ورعايتهم لمصالح الافراد وعدم ظلمهم ومساعدتهم لهم ، بخلاف ما كان يجرى فى البلاد الفارسية التى كان الفرد فيها مغبونا ، ان لم يكن مظلوما ، فلا بد له ان يطلب العدل والمساوات وقد جاءه العرب بهما ، فلابد ان يميل اليهم ، وفعلا قد التحق قسم من الجيش الفارسى بالعرب قبيل معركة القادسية وفى أثناء القتال [1] ، كما ان الوفود التى ارسلها سعد الى المدائن قد شاهدها الفرس انفسهم فاعترفوا انهم كانوا يظلمون رعيتهم فقد قالوا ان ما كان يطلبه العرب هى مطاليب سواد الناس في الدولة الساسانية ، وان أمة هذا حال رجالها ـ يشعرون انهم مظلومين من قبل الزعماء والحكام ـ مصيرها الزوال فلا بد ان تزول الدولة الساسانية وتحل مكانها حكومة عادلة يشعر زعماؤها بالمسؤلية الملقاة على عواتقهم ، وقد جاء العرب الذين يستنيرون بنور القرآن وهداية محمد صلى الله عليه وسلم • فلا امل فى ان يضحى الفرد الفارسى كما يضحي الفرد العربى فالنصر بجانب العرب لا بجانب الفرس اذا •

أما الذى تلام عليه القيادة الفارسية فى المدائن هو انها كانت ترى هذا الخطر فى الامة ومع ذلك لم تحرك ساكنا لاصلاح الحال والضرب على أيدى المفسدين قبل ان يتسرب الفساد الى الجيش وبذلك يفقدوا دولتهم •

٣ ـ العقيدة الموحدة :

توحد العرب على كلمة (لااله الى الله محمد رسول الله) بينما كانت الدولة الفارسية غنية بالافكار والمذاهب الكثيرة فتشتتت الامة الفارسية بالاضافة

الى تعدد القوميات فى الامبراطورية الفارسية (اكراد ، وارمن ، واشوريين ، واتراك •••• الخ) ولهذا اصبحت الصلة بين هؤلاء هى المصلحة المادية الآنية وهى متوقفة على العدل من قبل الحكام فلما زالت العدالة لم يبق لهم اسل بالنصر •

٤ ـ جهل الفرس وعدم معرفتهم وضع العرب بالجديد :

ان من الامور الطبيعية وجوب معرفة العدو والحصول على اكثر ما يمكن من المعلومات عنه وان الامة التى لا تعرف عن عدوها شيئا يكون حليفها الفشل لا محالة ، وقد رأينا كيف ان زعماء الامة الفارسية قد القوا اللوم على الماضين من امتهم (اباؤهم) لتصغيرهم شأن الامة العربية كما رأينا كيف ان يزدجرد لام قومه بعد المفاوضات مع الوفد العربى فقال لهم (ما انتم باحسن جوابا منهم) وهذه الدلائل تدل على ان الفرس لم يكونوا يعرفوا عن العرب الا قليلا نزرا لايفيدهم فى الحرب شيئا ، فان كان لهم عذر فى الماضى فلا عذر لهم بعد ان حدث التصادم بين الامتين منذ ثلاث حجج ، فكان الواجب عليهم معرفة حالة العرب ليتقوا الشر المستطير الذى يهددهم ولكنهم تكاسلوا وبقوا على ما وجدوا عليه آباءهم من تصغير شأن العرب ففشلوا •

وهذا درس لنا ابناء الامة العربية مع اسرائيل ويجب ان نستطلع كل صغيرة وكبيرة عن حال اليهود لكى نضمن النصر عندما تحين ساعة النضال فنقضى عليهم ونبعد الضرر عن امتنا •

٥ ـ الطمع والجشع :

افردنا لهذا العامل هذه الفقرة مع انه جزء من عدم المساواة ، غير ان الحالة في الدولة الفارسية كانت بدرجة من عدم الاهتمام بأمور الناس والركض وراء المصالح الشخصية بحيث فاقت حالة الدولة الرومانية • فالاقطاع والمادة كانا سبب تدهور عظيم فى الحالة الداخلية والنكبة الكبرى التى حصلت للفرس

ان الامراء والاقطاعيون والدهاقين كانوا يسعون الى انهاك الشعب تلك الحالة التي جعلت الرغبة للناس في تكديس المال وامتلاك الاراضي باي اسلوب كان، فكانت النتيجة ان فسدت الاخلاق بصورة عامة ولدرجة كبيرة ، ولا غرو في ذلك فالركض وراء المادة يؤدي الى عدم الالتفات الى القيم الاخلاقية ، وخاصة اذا كان هذا الركض بسبب عدم الاعتماد على حالة الدولة في محافظة حقوق الفرد . ولهذا رأينا ان جميع الامور السياسية في ادارة امور الامبراطورية الفارسية كانت تسير بالنسبة الى هذه المصالح . وعلى هذا فلا أمل في نجاح هذه الامة في الصراع مع أمة ترك رجالها المادة وراء ظهرانيهم وابتغوا مصلحة أمتهم (وجه الله تعالى كما كانوا يعبرون عنه في ذلك الوقت) .

فلذلك لم يتمكن الفرس من تثبيت اركان دولتهم عند التصادم مع العرب ، حيث لم يعد بمكان قيادة الجيوش الفارسية المحافظة على هذا الملك المتداعي فقد كان اشبه بجدار يريد ان ينقض فاسند باعمدة خارجة عن البناء غير ان هذه الاعمدة كانت على أساس غير متين وبناء غير قوي فلم تمض فترة يسيرة حتى انهار البناء والاعمدة معا .

ومن هذه العوامل المختلفة نجد ان الفرس كانوا قد خسروا المعركة سوقيا تجاه العرب الذين جاؤا بفكرة اخرى وانقذوا العالم من شرور المادة ، وعلينا نحن ابناء الامم الاسلامية بصورة عامة وابناء الامة العربية بصورة خاصة واجب انقاذ العالم من شرور المادة التي اعمت بصائر الامم الغربية فتركت المثل العليا وهي تقود العالم الى الفناء ولدى الامم الاسلامية أسس للعمل ان سارت عليها فانها ستضمن النتيجة الحسنة حتما وتعيد سيرة رجال صدر الاسلام .

العوامل العسكرية في فشل الفرس :

١ ــ تدخل السياسيين في الامور العسكرية ــ رأينا كيف ان رستم لم يوافق على قبول معركة فاصلة مع العرب لعلمه بضعف قواته ، غير ان الملك اجبره على ذلك فيكون اللوم على رجال السياسة لا على رستم .

٢ ـ كان الجيش الفارسى مدافعا فى جميع صفحات القتال ولم يهاجم العرب الا مرة واحدة فى اليوم الاول من القتال فلما فشل الهجوم لم تجرب القيادة الفارسية حركة هجوم غيرها كما ان سبب فشل هذا الهجوم كان بسبب عدم ادامة زخمة ، فعندما تقدمت قبيلة اسد لمساعدة بجيلة توقف الهجوم الفارسى ولم يرسل القائد الفارسى قواتا اخرى لادامة زخم الهجوم على الجيش العربى ، بينما نجد الجيش العربي ينقل قطعاته من محل الى اخر ويعالج المواقف •

أما فى اليوم الاخير من القتال فقد فقد الجيش الفارسى كل امل فى النصر اذ بتبديل الخطة الى ثلاثة عشر صفا لم يبق اى مجال للمناورة بالقطعات ، فلما تمكن الجيش العربى من اختراق القلب لم يعد بامكان القائد الفارسى انقاذ الموقف •

٣ ـ اختيار منطقة القتال

تقدم العرب الى منطقة القادسية فوقفوا فيها ولم يتقدموا او يتأخروا وكانت منطقة حصينة تحمى جناحى الجيشين المتحاربين وقد قبل الفرس القتال فى هذه المنطقة ، بينما كان موجود قواتهم يساعدهم على القتال فى المنطقة المفتوحة ليحافظوا على المناورة عند الهجوم على الجيش العربى ، ولكن بقبولهم القتال فى منطقة القادسية التى اختارها الجيش العربى اصبح القتال وجها لوجه وكانت جبهة القتال تتراوح بين ثمانية كيلومترات الى عشرة كلو مترات ، وساحة هذه جبهتها تستوعب عددا محدودا من المقاتلين فلذلك اصبح القتال وجها لوجه فلم يتمكن الفرس من الانتصار بالرغم من تفوقهم على العرب لضيق ساحة القتال الذى لم يسمح لهم بتقديم قوات اكبر عند الاشتباك •

وفى رأينا ان الاصلح للجيش الفارسى ان يتقدم الى الامام ويجعل خندق سابور وراء ظهره فيجبر العرب على القتال في المنطقة المفتوحة فتكون له حرية المناورة على اجنحة الجيش العربى ، غير ان العرب كانوا قد حسبوا هذا

الحساب فاجبروا الفرس على القتال فى المكان الذى ارادوه هـم لا الجيش الفارسى .

٤ ـ عدم الاستطلاع الجيد

تجول رستم فى منطقة القتال غير انه لم يستطلع المناطق التى تقع على جناحى الجيش العربى جيدا ليعرف النقاط التى بامكانه ان يستفيد منها ، وقد رأينا كيف ان طليحة تمكن ان ينفذ من احدى هذه النقاط فهاجم الجيش الفارسى من خلفه ، فالواجب على كل قائد ان يتعرف على الارض التى يقاتل بها حتى كأنه من اهلها ، وهذا ضعف فى القيادة الفارسية .

٥ ـ اهمال القضايا الادارية

اثرت الفيلة على الجيش العربى فى اليوم الاول من القتال لدرجة كبيرة، غير ان العرب تمكنوا من قطع احزمتها فوقعت التوابيت عنها فتكسرت فانشغل الفرس فى عمل غيرها فغابت الفيلة في اليوم الثانئ للقتال ، وهذا مثل من اهمال القضايا الادارية فى الجيش الفارسى فلو فكر الفرس فى حدوث مثل هذا الحادث لهم لهيؤا صناديق للفيلة احتياطية فلا يضطروا الى ابقاء الفيلة يوما كاملا خارج القتال فادى الى تأثير العرب على الفرس فى قتال اليوم الثانى بصورة شديدة .

٦ ـ عدم التعاون بين اقسام الجيش

تمكن العرب من تدمير التوابيت التى على الفيلة فى اليوم الاول كما تمكن القعقاع وجماعته ان يعموا الفيلة فى اليوم الاخير ولم يمنعهم مانع مما يدل على عدم التعاون بين اقسام الجيش الفارسى وصنوفه ، فلو كان هـذا التعاون موجودا لما تمكن العرب من تدمير ما دمروه من الفيلة التى هى سلاح رئيسى فى الجيش الفارسى ، بينما نجد العرب فى الوقت نفسه كانوا ينبهون المشاة على وجوب معاونة الخيالة فلم يتركوها تتقدم للقتال لوحدها خشية التأثير عليها من قبل الفرس .

٧ ـ **فقدان الاحتياط**

على كل قائد ان يحتفظ بقسم من قواته احتياطا لمعالجة المواقف الطارئة ويسد بها الثغرات التي قد تحدث اثناء القتال ، ولم يكن لدى الجيش الفارسي مثل هذه القوة ، فلما حدث الاختراق العربي لم يكن لدى رستم احتياطا يعالج بها الموقف الامر الذي ادى الى تدمير الجيش الفارسي تدميرا كاملا وما يؤيد ما ذهبنا اليه عدم ورود اي عمل من هذا القبيل في المراجع التاريخية التي بين ايدينا •

٨ ـ **نقص الحماية المحلية**

لم يكن لدى رستم قوة تحافظ مقره سوى حرس الراية الفارسية ، وعندما حدث الاختراق العربي تمكن هلال من قتل رستم ، وقد يكون لعامل الزوبعة اثر في ضعضعة تدابير حماية المقر ، غير ان تمكن هلال من قتل رستم وسعي رستم للاحتماء بالبغال دليل على عدم وجود مثل هذا التدبير •

٩ ـ **حسن التدريب في الجيش العربي**

كان الفرس يعتمدون على صنف الخيالة ، أما صنف المشاة فكان يجمع من الشعب عند الحاجة اليه فكان صنف المشاة ضعيف التدريب ، بينما كان الجند العربي مدربا خير من مشاة الجند الفارسي ، وان ما يؤيد ما ذهبنا اليه تمكن العرب من معالجة المواقف بصورة جيدة في جميع حالات القتال •

١٠ ـ اتخاذ العرب خطة الهجوم في جميع المعارك وقيام القعقاع في مهاجمة الجيش الفارسي بينما كان الفرس في وضع الدفاع مما امن نصر العرب •

١١ ـ قيادة القعقاع بن عمرو التميمي الذي وصل الى الساحة في الوقت الذي كانت القيادة العربية والجند العربي بحاجة الى مثل قيادته الامر الذي ادى الى ارتفاع معنويات الجيش العربي فاندفع الجند للتضحية التي امنت لهم الفوز •

نتائج معركة القادسية

بعد الانتصار على الفرس فى القادسية اصبح الجيش العربى يتحرك بحرية تامة فى العراق كما انفتح الطريق اما الجيش العربى الى المدائن فلم يبق أمام العرب قوات كبيرة وليس عليهم الا ان يسرعوا فى التقدم بعد انجاز مامطلوب لهـــذا .

كما ان التسلح قد تم فى الجيش العربى من الغنائم التى غنمها العرب من الجند الفارسى ولم يعد هنالك جندى عربى بغير فرس وبهذا اصبحت سـرعة التنقل مضمونة للجيش العربى وازدادت معنويات جنده .

اما فى اهل العراق فقد زال منه حكم المتنفذين من الفرس وزال عن السكان الخوف فاصبح لهم حرية المعتقد وساد العدل بينهم ففضلوا حكم العرب على حكم الفرس حتى ان قسما كبيرا منهم التحق بالجيش العربى اثناء القتال (بلغ عددهم خمسة آلاف جندى)[٨١] .

---

(٨١) كان الذين التحقوا بالجيش العربى من الجند الفارسى من الاكراد وقد كانوا ناقمين على الدولة الفارسية ، وقد سماهم العرب فيما بعد (الحمراء) راجع تأسيس الكوفة نفس الكتاب .

الفصل الثالث

فتـــح المـــدائن

موقف القوات العربية العام • موقف القوات الفارسية
خطة الفرس في الدفاع عن المدائن • وصف المدائن
واهميتها • اخضاع المنطقة حتى نهر دجـلة
معركة بهرسير • العبور الى المدائن
وفتحهـــا • الغنـــــائم

انفتح الطريق للعرب بعد معركة القادسية ولم يبق عليهم سوى التقدم الى المدائن عاصمة الدولة الساسانية ، فقد تشتت الجيش الفارسى في البلاد والفرس بحاجة الى وقت طويل لاستعادة نشاطهم وجمع قوات جديدة ..

أما العرب فقد كانت قواتهم فى سورية قد انتهت من فتح دمشق قبل معركة القادسية بشهر واحد وهم منشغلين بتطهير الجيوب فى سوريه لطرد بقايا الامبراطورية البيزنطية التى لم يبق منها ما يجعل القوات العربية بوضع حرج فى الوقت الذى تهيأ للعرب التقدم الى المدائن للقضاء على آخر حصن للفرس فى العراق . وهم بسبيل انجاز هذه الصفحة من صفحات الفتح لتأمين المنطقة والجيش العربى منشغل بتأمين السواد ما بين دجلة والفرات كما ان امير البحرين قد اخذ بالتأهب لغزو فارس من البحر من دون ان يخبر احد .

اما القوات الفارسية التى انسحبت من القادسية فقد اجتمع قسم منها فى المدائن بقصد الدفاع عنها فى بهرسير فى القسم الواقع غرب نهر دجلة .

وقد كانت خطة الفرس فى الدفاع عن عاصمة ملكهم تتخلص بابقاء قسم من القوات فى بهرسير لاعاقة القوات العربية من العبور فقط ولم تكن لديهم اية خطة اخرى ونعتقد ان سبب ذلك هو عدم تيسر القوات لهم ، اذ لو كان لديهم القوات الكافية لكانت خطتهم فى مهاجمة الجيش العربي من الشمال والجنوب ، وهذا ما يؤيد ما ذهبنا اليه من ان القوات الفارسية فى القادسية كانت تقارب العدد الذى ذكره المؤرخون .

المدائن

المدائن عاصمة الدولة الفارسية ومقر ملكهم وقد كانت تتألف من عدة مدن متصل بعضها ببعض على ضفتى نهر دجلة ، وهى بمركز العراق وتقع على خط الطول ١/٣ و٧٠ درجة وعرضها ١/٣ و٣٣ درجة ، وهى سبع مدن

متقاربة من بعضها البعض ، اذ كان كل ملك من ملوك الفرس يبني لنفسه مدينة الى جنب المدن الباقية حتى بلغت سبعا وهي كما عربها العرب • اسنابر، بهرسير ، جنديسابور ، درزيجان ، رومية ، نونيا فاذ ، كردافان [٨] ولا زالت اثارها باقية حتى الان جنوب بغداد بمسافة خمسة وعشرين كيلومترا وهي ستة فراسخ عربية ، ويقع قسم منها على ضفة نهر دجلة اليمنى •

ولم يغفل الفرس عن خطة الدفاع عن المدائن ، ففي شرقيها يجرى نهر النهروان آثاره تلول السعد حاليا اما في شمالها فتجرى عدة انهر من الفرات الى دجلة ونهر ديالى (سيروان) ولذلك فالمدائن في موقع حصين للدفاع عنها•

وتتصل المدائن من الشمال بتكريت واربيل والموصل الى نصيبين ، ومن الشرق بخانقين فنهاوند ومن الجنوب بكسكر فالابلة (البصرة) والاهواز ومن الغرب تتصل بالانبار والحيرة والى هيت فعانه • فهي في موقع سوقي مهم ويجب ان يسيطر العرب عليها لتأمين منطقة العراق حيث يتمكن الجيش المسيطر عليها من ان يتحرك بكل اتجاه وقد اشتهرت المدائن بطيبة الهواء فهو طيب رطيب ، ولا توجد فيه الاوبئة واراضيها منفتحة •

التقدم نحو المدائن

بعد ان استقر سعد بالقادسية لمدة شهرين كتب اليه عمر بن الخطاب وامره بالتقدم نحو المدائن لطرد الفرس منها ويخلف العيال في القادسية مع جند كثيف لحمايتهم على ان يشرك هذا الجند في الغنائم التي يحصل عليها الجيش العربي ، وفي رأينا هذا عمل حسن لان تقدم العيال مع الجيش في داخل الاراضي التي يسكنها الفرس يسبب مشاكل ادارية كثيرة للجيش العربي هو في غنى عنها •

---

(١) كانت اسماء المدن قبل تعريبها هي ـ اسفابوروه ، اردشيروه، هنبوشافور ، درزنيدانوه ، جنديوه ، نونيافاز ، كردافان ـ راجع معجم البلدان ـ مدائن •

سار سعد بالجيش لأيام بقين من شوال وكانت المقدمة بقيادة زهرة فتقدم في ارض الكوفة[٢] وهى اللسان الذى ادلعه البر فى الريف وكانت عليه الحيرة سابقا والكوفة حاليا ، وقد كان الفرس قد تركوا مؤخرة فى هذه المنطقة بقيادة النخيرجان ، غير ان هذا لم يشتبك بقتال مع الجيش العربى وقد احسن صنعا، فلا فائدة من ذلك •

تقدم الجيش العربى الى المدائن وكان على المقدمة زهرة بن حوية ثم تقدم خلفه عبدالله بن المعتم ثم شرحبيل بن السمط ثم هاشم بن عتبة وكان على الساقة خالد بن عرفطه ، ومن هذا يظهر ان سعدا تقدم بجيشه الى المدائن وقد قسمه الى اقسام تبلغ الستة وفى رأينا ان هذا اسلوب حسن حيث انه امن المناورة والامنية للجيش فى ارض العدو التى يسكنها قوم معادون بالرغم من ميلهم الى عدالة العرب كما ان الانهار التى تعترض تقدم العرب كثيرة وفيها مناطق مشجرة ، فيجب التقدم بحذر مع تأمين سرعة التقدم وكان اسلوب سعد يوفى بهذا الغرض • كما يساعده على ان يجمع الجيش باسرع وقت قبل ان تؤثر القوات الفارسية على مقدمات الجيش العربى عند التصادم ، ومن بعد هاشم تقدم سعد بكوكب الجيش •

مقاومة المؤخرات الفارسية

عندما وصل هاشم صرح البرس[٣] فى ارض بابل وهو تل مفرط فى العلو به آثار بختنصر ويقع هذا التل بين الحلة والكفل حاليا ويسمى الان (برس نمرود) لقى هاشم بصهبرى في جمع من الفرس فقاتلهم هاشم وهزمهم وكان هذا يقود آخر مؤخرة للجيش الفارسى من المؤخرات التى تركوها لتأخير الجيش العربى عند تقدمه الى المدائن ، فهرب بصهبرى الى بابل وكان

---

(٢) لم تكن الكوفة قد اسسها العرب بعد •

(٣) برس نمرود (صرح البرس) بين الكفل والحلة وهو من نواحى الكوفة ــ معجم البلدان •

فيها بقيا من سيوف الفرس المنهزمة من القادسية ومعهم من رؤسائهم النخيرجان ومهران الرازى والهرمزان وامثالهم فلما وصلهم بصهبرى مات من اثر الطعنة التى طعن بها فى صرح البرس •

وبعد انهزام بصهبرى وتقدم هاشم قدم دهقان البرس الى زهرة فاعتقد له ـ اعطاه الامان ـ وبنى له الجسور على نهر الصراة واخبره خبر قوات الفرس التي فى بابل ، فارسل زهرة المعلومات التى اخذها الى سعد ، ويظهر ان قوات الفرس في بابل كانت كبيرة نسبيا فامر سعد عبدالله بن المعتم وشرحبيل وهاشم (وهم امراء اقسام الجيش العربى التى تقدمت بعد زهرة) باللحاق به فتقدم هؤلاء بقواتهم الى بابل بسرعة للحاق بزهرة ، وقد تقدم زهرة الى بابل بعد الاجتماع وتقدم سعد الى البرس • وبعد وصول زهرة الى بابل التحم بالقتال مع الفرس فلم يتمكنوا على الثبات أمام العرب كثـيرا ، اذ وزد فى المصادر انهم انهزموا فى اسرع من لف الرداء (٤) •

وبعد معركة بابل تفرق الفرس فى ثلاثة اتجاهات •

الاتجاه الاول ـ الى الاهواز •

الاتجاه الثانى ـ الى نهاوند وكان فيها كنوز كسرى •

الاتجاه الثالث ـ الى المدائن وقد ذهب اليه النخيرجان ومهران الرازى وصمدا للجيش العربى حتى عبرا الى الجانب الغربى لنهر دجلة ، وقد خلفوا بكوثى احد دهاقينها لتأثير الجيش العربى عند تقدمه وتسمي كوثى الان (جبل ابراهيم) على مقربة من الصويرة على مسيرة ستة ساعات للراجل (*) •

وقد كان تفرق الفرس الى ثلاثة اتجاهات صحيحا من الوجهة العسكرية

---

(٤) لم نجد تفاصيل المعركة بين الجيشين لامكان معرفة خطة الطرفين لعدم اهتمام المؤرخين بها لانها كانت بين مقدمات الجيش العربى ومؤخرات الجيش الفارسى •

(*) تمكنت من قطع المسافة هذه على الرجل ماشيا من جبل ابراهيم الى الصويرة بنفسى (المؤلف) •

لو كان قد جرى قبل هذا الوقت اذ يجبر العدو على التقدم بعدة اتجاهات وبذلك يسبب تفريق قواته واشغالها عن هدفها الرئيسى ، غير ان هذا التفرق جاء متأخرا فتقدم الجيش العربى باتجاه واحد وهدفه المـــدائن عاصمـــة الامبراطورية الفارسية الساسانية ولهذا كان التفرق مغلوطا وقد اعطى الفرصة للجيش العربى للقضاء على القوات الفارسية والوصول الى المدائن بسـهولة فكان الواجب على الفرس ان يجمعوا قوتهم للدفاع عن العاصمة وتأخير الجيش العربى عنها حتى تتيسر لهم القوات اللازمة من انحاء الامبراطورية الساسانية لدفع العرب عنها .

ونعتقد ان السبب (الذى نستنتجه) هو ان الفرس قد ضعفت معنوياتهم وفقدوا الامل بالنصر ، ولذلك اخذ كل قائد وزعيم منهم وجهة خاصة فى سبيل محافظة مصالحهم الخاصة فاعطوا الفرصة للعـــرب فى القضـــاء على الامبراطورية الساسانية .

وصل خبر الفرس الى سعد بن ابى وقاص بانهم قد خلفوا شهرياراحد دهاقين الباب (٥) بكوثى فامر زهرة بالتقدم اليه فتقدم زهرة واخرج امامـه بكير بن عبدالله الليثى وكثير بن شهاب السعدى اخا الغلاّق بعد ان عبر الصراة فقتل بكير الفرخان وهو اهوازى وقتل كثير فيومان وهو ميسانى في سورا التى يقال انها موضع الى جنب بغداد وقيل بغداد نفسها (٦) ثم مضى زهرة بالتقدم

---

(٥) الباب او باب الابواب ، ويقال له الباب غير مضاف وهو الدربند ـ دربند شروان ـ وقال الاصطخرى فى مسالك الممالك (اما باب الابواب فانها مدينة ربما وصل ماء البحر الى حائطها وفى وسطها مرسى السفن وهذا المرسى من البحر وقد بنى على حافة البحر سدان وجعل المدخل ملتويا) . وهذا يؤيد ما ذهبنا اليه من ان الفرس قد كانوا قد حشدوا اكبر قوة ممكنة لهم فى القادسية وما اوردناه من قوة الجيش الفارسى كان صحيحا .

(٦) لا نميل الى هذا الرأى ونعتقد ان الموضع فى غرب المدائن غرب دجلة .

حتى جاوز سورا وتوقف الى ان وصل اليه هاشم ووصل باقى الجيش العربى مع مقر سعد ومن ثم استمر بالتقدم .

ومن انتظار زهرة وتوقفه فى المطاردة يظهر انه لم يرغب فى ان يجعل المسافة كبيرة بينه وبين الجيش العربى لاقترابه من المدائن (٧) وهذا يتطلب ان يكون الجيش قادرا على تدمير القوات الفارسية اذا ما اراد المقاومة وبهذا يكون العرب قد توخوا امنية القوات وامنوا التحشد والاقتصاد فى القوة . ثم تقدم زهرة الى كوثى حتى نزل عليها فالتقى بقوة شهريار ، ولم يحدث بينهما قتال سوى منازلات فردية منها منازلة شهريار لابن نباتة بن نائل بن جشم الاعرجى من شجعان بنى تميم فقتله بن نباتة واخذ سلبه (٨) فتفرق الفرس عن كوثي فنزلها الجيش العربى وصلى بهم سعد وقرأ الاية (وتلك الايام نداولها بين الناس ....) وبهذا لم يبق امام الجيش العربى ما يمنع وصوله الى المدائن من قوات الفرس شيء .

فتح بهرسير

بهرسير احدى المدن السبع لعاصمة الساسانيين « المدائن » التى اشتق اسمها من جمع هذه المدن السبع ، وتقع على ضفة نهر دجلة اليمنى مقابل المدينة العتيقة على الضفة اليسرى ، وهى مدينة محصنة يحميها نهر دجلة من الجهة الشرقية ويحيطها خندق لحمايتها من الهجمات وقد رتب حرسها ، وبعد انتهاء معركة كوثى امر سعد زهرة بالتقدم الى بهرسير وفى اثناء تقدمه تلقاه شيرزاد بساباط على تأدية الجزية فارسله الى سعد وقبل منه ، أما زهرة فقد اشتبك بكتيبة كسرى بوران وهى احدى كتائب الحرس الخاص فى الجيش

---

(٧) هذا يدل على اقتراب العرب من المدائن ويؤيد ما فى (٢) اعلاه .

(٨) بعد رجوع ابن نباتة بسلب القتيل امره سعد بلبس سوارى شهريار ودروعه ويركب برزونه ففعل بن نباتة ثم امره ان يخلعها ولا يلبسها الا بحرب فكان بن نباتة اول من سور بالعراق (الطبرى ج ٤ ص ١٦٧) .

الفارسي ففرق شملها في ساباط وتقدم ليلا الى بهرسير ونزل عليها فقال ضرار بن الخطاب الفهري « الله اكبر هذا ابيض كسرى ، هذا ما وعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٩) فكبر المسلمون ، وهكذا وجد الجند الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وحسنت سرائرهم ان ما وعدهم الله حقا ، وهو وعد عام وشامل لكل زمان ومكان ولكل قوم يخلصون النيات والعمل وينقطعون عن الطمع ويهدفون مصلحة الامة •

أما الفرس فقد تحصنوا في بهرسير وتهيئوا للحصار غير ان العرب لم يتركوهم فحصروهم ومنعوا عنهم كل اتصال مع المدائن الشرقية وباقي اقسام السواد فنفذ الطعام لديهم فاكلوا الكلاب والسنانير ، وقد ورد في المراجع ان العرب قد بقوا يحاصرون بهرسير حتى اكلوا الرطب مرتين وهذا يدل على طول الحصار الذى ضربه العرب على اهل بهرسير (١٠) •

اما يزدجرد الملك فانه لما رأى وصول العرب الى بهرسير اراد فيمايظهر ان يهادن العرب ليستفيد من الوقت فنادى احد رجال الفرس العرب قائلا « ان الملك يقول ، هل لكم في المصالحة على ان لنا ما يلينا من دجلة وجبلنا ، ولكم ما يليكم من دجلة وجبلكم » اما شبعتم لا اشبع الله بطونكم ؟ •

وهذا النداء يدل على ان الفرس لا زالوا يعتقدون ان العرب خرجوا لطلب الدنيا فقط فهم قد اهملوا العقيدة العربية الاسلامية التى خرج بها العرب ، كما نعتقد جازمين ان هذا الطلب هو لكسب الوقت لا غير • حيث ان

---

(٩) سبق للعرب ان نبههم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم الى فتح المدائن وذكر لهم ابيض كسرى (ايوان كسرى) في معركة الخندق •

ويظهر ان بوران قد الفت كتيبة باسمها فارسلت لمقاتلة العرب وتاخيرهم عن المدائن ، كما نستدل من ذلك عدم تهيؤ قوات فارسية لدى الفرس الذين تفرقت قواتهم من بعد معركة بابل فاضطروا لارسال كتائب الحرس الملكى للدفاع عن المدائن •

(١٠) سنرى ذلك في خطاب سعد في طلب العبور الى المدائن •

قوات فارسية كانت فى طريقها لنجدتهم كما سنرى فى فتح تكريت •

ولما كانت شروط العرب هو الدخول فى الاسلام او اداء الجزية او القتال ، فان طلب الفرس لهذه المهادنة لا يتفق مع هذه الشروط ، لذلك اجاب مفرز الاسود بن قطبة قائلا « لا يكون بيننا وبينكم صلح ابدا حتى نأكل عسل افريذين باترج كوثى» (١١) •

دخول المدينة

دافع الفرس عن بهرسير لمدة ثلاثة اشهر وكان لديهم عددا من المجانيق والعرادات فكانوا يرمون على العرب بها من وراء سور المدينة والعرب محيطين بها وليس فيها نقطة ضعف يمكن للعرب ان يستفيدوا منها سوى شاطىء دجلة فقد ورد ان الفرس كانوا يخرجون على المسنيات جماعات يقاتلون العرب فلا يقوون على دفعهم عن المدينة ، اما سعد بن ابى وقاص فقد استفاد من خبرة شيرزاد فصنع المجانيق والعرادات والدبابات وصار يقاتلهم بها وقد بلغ عدد المجانيق التى صنعها العرب عشرين منجنيقا (١٢) •

ولم يقاوم الفرس طويلا بعد طلبهم المهادنة ورفض العرب لها ، فقد انسحبوا من بهرسير وعبروا نهر دجلة الى المدائن القصوى وسحبوا الجسر معهم وقد احسنوا عملا بسحبه الى الضفة الشرقية من نهر دجلة حيث لم يبق أى معين لهم من السكان فى الضفة الغربية لنهر دجلة لان سعدا بث السرايا فى السواد المحيط فى بهرسير عند نزوله عليها وجمع الفلاحين خشية ان يقوموا بعمل معاد للجيش العربى وسجل اسمائهم واعطاها الى شيرزاد دهقان ساباط ، وقد اغتبط السكان بانسحاب الفرس وانتصار العرب الذين

---

(١١) راجع الطبرى ج ٤ ص ١٧١ •

(١٢) راجع الطبرى ج ٤ ص ١٦٧ وما بعدها •

اعطوا لهم حريتهم وحافظوا على مصالحهم [١٣] وسحب الجسر كان لتاخير العرب عن العبور وخاصة انهم سحبوا الزوارق فيما بين المدائن وتكريت [١٤] وبانسحاب الفرس اصبح بامكان العرب ان يدخلوا المدينة بامان ، فامر سعد باتخاذ تدابير الحماية قبل دخول المدينة خشية الوقوع في كمين ، فتسور الرجال سورها ودخلوها وبدخلوهم فيها انتهى القتال بين العرب والفرس فى ضفة دجلة الغربية ولم يبق أمام الجيش العربى الا عبور النهر لتحرير المدائن من حكم الفرس وادخالها فى حكم العرب •

تدابير الحماية عند دخول المدن

يتطلب دخول المدن المفتوحة تدابير حماية للقطعات التى تدخلها خوفا من الوقوع فى كمين من قبل الجيش المغلوب للاحتفاظ بالمدن او للانتقام ، واجبار العدو على التنقل بحذر شديد لاكتساب الوقت وهذه التدابير هى •

١ ـ احاطة المدينة المفتوحة بالقطعات من جميع اطرافها ومنع دخول الناس اليها او الخروج منها لضمان عدم اتصال من بداخلها بمن هو فى خارجها ، وبما ان مدينة بهرسير على نهر دجلة فان احاطتها تكون من جهة البر ، اما من جهة النهر فلا تحتاج سوى مراقبة النهر ، وقد احاط العرب بها عندما تسوروا سورها •

٢ ـ عند دخول القطعات الى المدينة ، على المفارز الاولى ان تسيطر على المناطق المهمة والمناطق المحصنة اولا قبل دخول القطعات الاخرى •

٣ ـ اجراء تفتيش المدينة بعد تقسيمها الى قواطع وتعيين القطعات التى تقوم بهذا التفتيش بصورة دقيقة ، وبما ان الفرس قد انسحبوا من بهرسير

---

(١٣) كان سعد قد كتب بهم الى الخليفة عمر بن الخطاب ليرى رأيه فكتب اليه عمر « ان من اتاكم من الفلاحين اذا كانوا مقيمين لم يغينوا عليكم فهو امانهم ومن هرب وادركتموه فشأنكم به »

(١٤) الطبرى ج ٤ ص ١٩٦ •

قبل دخول العرب اليها فنعتقد ان هذا التفتيش ان جرى فهو غير دقيق ، ولما لم يرد اجراء اى تفتيش فى المراجع التاريخية فاننا نعتقد ان ذلك لم يجـر نهائيـــا ٠

٤ ـ تعيين جماعات يكون واجبها ازالة الموانع التى اقامها العدو وجماعات لمحافظة المدينة من الهجمات الفجائية ، غير ان سعدا كان قد جمع الفلاحين كما ذكرنا ، فلا يحتمل ان يقوم الاهلون بحركة معادية الى الجيش العربى كما ان الجيش الفارسى انسحب الى الضفة الثانية من النهر فلا امل فى ان يقوم بحركة معادية للعرب قبل عبور نهر دجلة وهذا بعيد الاحتمال ، مع العلم ان الاهلين قد اغتبطوا بانتصار العرب كما جاء في المراجع التاريخية فهم قـــد فضلوا العرب على الفرس فكل حركة معادية للعرب بعيدة الإحتمال ان تكون٠

٥ ـ اصدار اوامر مشددة للاهالى بعدم اجراء اى عمل يضر الجيش وتحديد حرية تنقلهم ، وبما ان العرب كانوا يعاهدون الاهلين فى جميـــع الاوقات ويحافظون على حريتهم واموالهم وانفسهم فلا يحتمل قيام اعمـــال عدوانية ضدهم وخاصة فى العراق ، حيث كان الفرس الساسانيين لا يأبهون بالشعب بينما كان العرب يحسنون معاملتهم ٠

٦ ـ يجب السيطرة على المناطق المحيطة بالمدينة بمرحلة يوم واحد على الاقل مع وضع حاميات تنذر الجيش باسرع وقت فيما اذا اراد العدو القيام بعمل معاد وبما ان العرب فى ايام خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيبانى قد انجزوا الكثير من الغارات على المناطق المحيطة وعقدوا لهم العهود فعلى الارجح ان تكون مناطقهم هادئة ان لم تكن موالية للعرب ٠

واننا لم نجد فى المراجع التاريخية ما يدل على اى عمل معادى للعرب حيث ان الحكم العربى كان يمتاز على الحكم الفارسى بالعـــدالة والرأفـــة والانصاف الذى كان الفلاحون والعامة فى البلاد العراقية يتطلعون اليه ، وهذا حال كل دولة لا تحسن قيادة الامة فيها ولا يعم العدل فيها ، فان الشعب لا يبدى اية اعمال عدائية تجاه العدو الذى يسيطر على البلاد اذا كان خير من

حكامه ، وشواهد التاريخ كثيرة تدل على هذه النتيجة ولذلك فقد الفرس كل أمل في استعادة السواد من العرب المسلمين وصاروا ينقلون ذخائرهم وأموالهم من المدائن القصوى الى حلوان كما سيرد ذلك في فتح المدائن •

اخلاء المدائن القصوى وفتحها

ما ان علم الفرس باحتلال العرب لمدينة بهرسير حتى اخذوا باخلاء المدائن التى تقع على الضفة الشرقية مع ان العبور صعب على العرب لعدم تيسر وسائط العبور لهم فقد اخذها الفرس معهم الذين فقدوا النصر وما عليهم ان ارادوا البقاء الا ان يجيبوا العرب الى احدى خصلتين (الاسلام او الجزية) ولما كانوا غير راغبين فى احد هذين الامرين ويأملون وصول النجدات اليهم من انحاء فارس للقتال فلابد لهم ان يتهيؤ له في موضع آخر ، ولهذا اخذ الفرس فى النزوح من المدائن ونقل اموالهم التى يمكنهم نقلها كلما تيسر لهم الوقت •

لم يجد العرب وسائطا لعبور النهر وقد فاجأهم المد والجند العربي لم يألف عبور الانهر فهو غير مدرب عليها ، وليس فى وسع الجيش العربى نصب جسر على دجلة ، فلم يبق لهم الا العبور على ظهور الخيل ولتأمين العبور بنجاح يجب على العرب ان ينفذوا قوة الى الضفة الاخرى لتشكيل رأس الجسر ولمشاغلة القوات الفارسية ومنعها من التحرش بالجند العربى اثناء العبور اذ ان الفرس لابد لهم ان يهاجموا الجيش العربى اثناء عبوره لتأخيره او عرقلة ذلك حتى يتم انسحابهم على الاقل ، وتتطلب القوة التى تعبر النهر لتشكيل رأس الجسر تأمين ما تحتاجه من مواد الاعاشة للفارس وللفرس من العلف لكى لا تضطر الى الرجوع الى الخلف ، كما يجب ان يتم عبور الجيش فى اسرع وقت لكى لا تنعزل القوات الامامية فتكون لقمة للجيش الفارسى • ونعتقد ان القادة العرب كانوا يفضلون انتظار هبوط مستوى الماء فى النهر ليعبروا •

وبينما كان هذا وضع قادة الجيش العربي يتدارسون الوضع جاء الى سعد بعض رجال الدولة الساسانية الناقمين على الفرس ودلوهم على مخاضة يمكن عبور النهر منها (١٥) ويلوح لنا ان الاخبار التي اخبروا بها سعدا من قرب وصول النجدات للجيش الفارسي هي التي جاء بها هؤلاء الفرس الناقمين على الساسانيين ، اما المخاضة فلا بد ان استطلعها العرب او انهم سيستطلعونها ولذلك جمع سعد المجاهدين وخطب فيهم قائلا « .... ان عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون اليه وهم يخلصون اليكم متى شاءوا فيناوشونكم في سفنهم وليس وراءكم شيء تخافون ان تؤتوا منه فقد كفاكموه اهل الايام (١٦) وعطلوا ثغورهم وافنوا ذادتهم ، وقد رأيت من الرأى ان تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل ان تحصركم الدنيا ، الا انى قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم . » فقالو جميعا « عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل » فاخذ العرب يتهيؤن للعبور .

سبب الاسراع في العبور

ومن خطبة سعد بن ابى وقاص على الجند العربى نجد ان سبب الاسراع في العبور هو ليس الحرص على الحصول على الاموال التى يريد الفرس نقلها من المدائن انما كان السبب هو :ـ

١ ـ ان الفرس كانوا قادرين على مهاجمة القوات العربية متى شاؤا لتيسر وسائط النقل فى الماء لديهم ولا يملك منها العرب شيئا ، فان قام الفرس بعمل من هذا القبيل فانهم سيحصلون على الوقت وتصل اليهم نجداتهم فيدافعوا

---

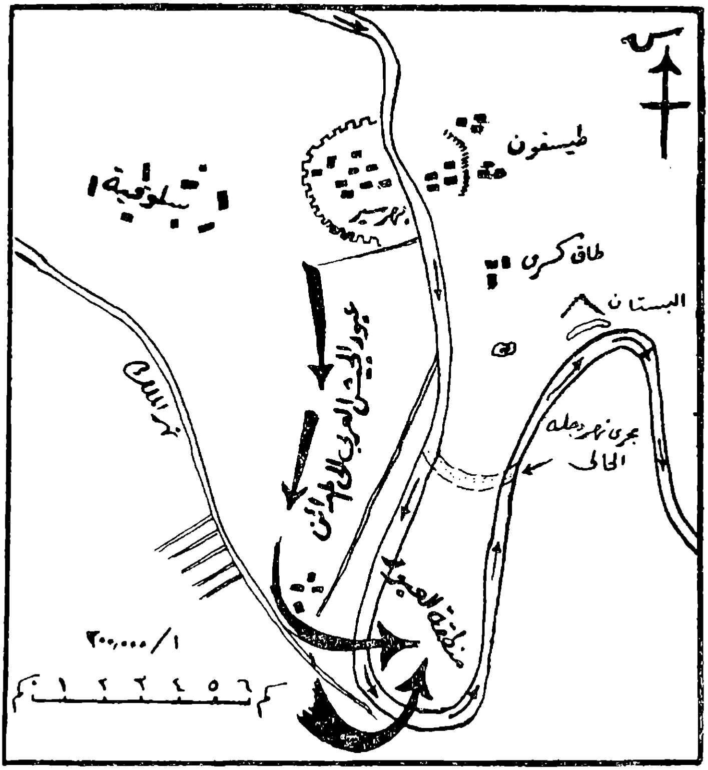
(١٥) ورد فى احدى الروايات ان الجماعة الفرس الذين جاؤا الى سعد اخبروه ان الفرس ينقلون متاعهم من المدائن الى حلوان وان هو بقى لم يعبر سوف لا يبقى من متاعهم شيئا ودلوهم على المخاضة ، غير اننا لا نميل الى هذا الرأى وما اثبتناه هو اقرب الى الصواب .

(١٦) اهل الايام هى القوات العربية التى كانت تقاتل بالعراق قبل معركة القادسية .

عن المدائن وعند ذلك يصعب احتلالها • فترتفع معنوياتهم وقد يتشجع الاهلون فيقوموا باعمال معادية الى الجيش العربى •

٢ ـ طلب سعد اليهم ان يبادروا العدو بنياتهم الصادقة قبل ان تحصرهم الدنيا ونعتقد ان المقصود بذلك ليس قلة المؤن التى لديهم فقط انما قرب وصول النجدات من الموصل ومن خراسان وهذا يتطلب الاسراع في العمل •

٣ ـ ان اهل الايام قد طهروا المناطق ولا يوجد ما يخشاه العرب فى غرب دجلة فلا خوف من العبور كما ان دهقان ساباط قد تكفل بالفلاحين فى المنطقة هذا عدا ان الاهلين كانوا مغتبطين بالنصر العربى •



خريطة رقم (٩)

العبور الى المدائن القصوى

متطلبات العبور

لما كان العرب قد عزموا العبور الى المدائن القصوى على ظهور الخيل وجب عليهم ان يتخذوا التدابير التالية :ـ

١ ـ استطلاع منطقة العبور ويجب ان تكون فى منعطف او فى منطقة ليست سريعة الجريان وليست بعيدة الغور ولها شاطىء عند النزول فى الماء وآخر للخروج منه (فرضات او كما نسميها شريعة) ويجب ان تكون بعيدة عن قوات الفرس لئلا يتدخلوا بالعبور وعلى ان تكون الارض فى الضفةالمقابلة ضيقة بين منعطفى نهر (كما اختارها سعد ـ راجع خريطة العبور) •

٢ ـ اجراء العبور باسرع وقت ممكن لتحاشى القتال فى الماء فان الجندى على ظهر الحصان فى الماء يكون بحالة ضعيفة وخاصة لجندى عربى لم يتعود عبور الانهر •

٣ ـ تأمين جبهة واسعة تتسع للجند فى العبور اذ يتطلب ان تكونالمسافة بين فرس وآخر مسافة مترين لامكان تأمين سباحتها من دون تأثير بعضها على البعض الاخر •

٤ ـ تهيئة بعض الوسائط لمساعدة الجند على العبور لعدم انهاك الخيل التى سيكون واجبها القتال فور خروجها من النهر فهى تعبة وخيل العدو مريحة •

٥ ـ تأمين جماعات من الرجال الاشداء تعبر امام الجيش لتؤمن رأس الجسر وتمنع تدخل العدو بالعبور حتى تتمكن الكتائب من العبور والتهيؤ للقتال •

٦ ـ انتخاب فرسان مدربين على القتال فى الماء لكى يكونوا متهيئين لمقاتلة العدو الذى سيجرب مقاتلتهم فى الماء على الخيل او فى السفن لحماية الجند العربى فى الماء •

٧ ـ تنظيم العبور بموجات متعاقبة وبين الموجة والاخرى مسافة لاتؤثر

بها بعضها على بعض مع الانتباه الى ان لا تكون المسافة كبيرة فتتأثر شـــدة الهجوم • او قد تنعزل القطعات عن بعضها •

٩ ـ تهيئة جماعات انقاذ لكى تتمكن من مساعدة الضعفاء من الجندوانقاذ من يشرف على الغرق اثناء العبور او انقاذ الجرحى الذين يصابون بجروح اثناء القتال ان صمم العدو عليه في الماء • وانقاذ المواد التى قد تغرق اثنـــاء العبور واثناء القتال •

١٠ ـ تأمين طعام القطعات العابرة ليوم واحد على الاقل لتتمكن منادامة نفسها وعدم اللجوء الى العبور فيما اذا دافع العدو عن المدينة حتى تتمكـــن القطعات العابرة من نصب الجسر او تأمين وسائط العبور الاخرى •

الجماعة الاولى للعبور

انتدب سعد عاصم بن عمرو وكتيبته المسماة بكتيبة الاهوال على رأس ستمائة فارس عربي مع كتيبة القعقاع المسماة بالخرساء للعبور وتأمين رأس الجسر في الضفة المقابلة التى سيعبر اليها الجيش العربى لاشغال الفرس عنه اثناء العبور ، فانتدب عاصم وهو الذى لقبه العرب ذو البأس ستين فارسا فتقدموا فى الموجة الاولى للعبور فهم رأس الرمح للجيش العربى ، وقد قسمهم عاصم الى قسمين بالنسبة الى نوع الخيول التى لديهم فجعل الخيول الاناث جماعة لوحدها والذكـــور لوحدها ليكون أسلس لعوم الخيل وكانت الزمرة التى بدأت العبور سبعة نفر من هؤلاء الستين وهم اصم التيم والكلج وابو مفرز ، وشرحبيل ، وحجـــل العجلى ، ومالك بن كعب الهمدانى ، وغلام من بني الحارث بن كعب ثـــم اقتحم باقى الستمائة من الفرسان ، فلما رآهم الفرس اعدوا خيلا مثل خيـــل العرب وارسلوها فى الماء لمقاتلة العرب فتلاقوا مع الجند العربى فى وسط الماء (في السرعان ـ اى فى التيار القوى من الماء) فصاح عاصم بالجند العـــربى « الرماح ، الرماح ، اشرعوها وتوخوا العيون ، فالتقوا فاطعنوا » فتوخى العرب

عيونهم وقد دنا الجيش العربى من الفراض (١٧) فتمكنوا من طردهم من الماء فلما رأى الفرس ذلك صاحو (ديمور) اى انهم شبهوا العرب بالجن ، كما صاح بعضهم (ديوان آمد) اى جاء الوحوش ، وما ان وصلت الوجبة الاولى من الجند العربى الى الشاطىء حتى تم قتل اغلب الفرس الذين نزلوا فى الماء ، ومن نجا منهم كان قد اصيب باحدى عينيه (١٨) وما أن رأى سعد ان عاصما قد تمكن من حماية الفراض حتى اذن للجيش العربى باقتحام الماء فنزلوا فى الماء بموجات متعاقبة وقد طبقوا دجلة خيلا ورجلا ودواب حتى ما يرى الماء من الشاطىء احد ..

أما الفرس فانهم لما رأوا الكتيبة المتقدمة فى العبور قد وصلت الى الضفة الشرقية ارسلوا قوة بقيادة شهريار بن سابور واشتبكت مع العرب فى القتال عند الفراض للدفع عن المدائن ، غير ان موجات الجيش العربي وصلت بسرعة الى الضفة الشرقية فخرجت خيلهم تنفض اعرافها وعلى ظهورها الفرسان الذين ما لبثوا الا واشتبكوا بالقتال واخذ الضغط العربى يتزايد على الفرس فاجهضهم العرب عن اموالهم وديارهم ودخل العرب المدائن فى صفر سنة ستة عشر هجرية وهم آمنين مطمئنين بعدما كانوا يدخلونها خائفين غرباء . راجع خريطة العبور .

خسائر العرب فى العبور

لم نجد فى المصادر التاريخية الموجودة بين ايدينا من يذكر اية خسارة للجيش العربى عند العبور او فى القتال سوى ان عرقدة بن بارق قد هوى فى الماء لان فرسه قد فقدت توازنها لطعنة اصابت عينها فاضطربت فلوى القعقاع عنان فرسه اليه فانقذه فقال « اعجزت الاخوات ان يلدن مثلك ياقعقاع » وكانت له خؤلة مع القعقاع .

---

(١٧) الفراض جمع فرضة وهى الشريعة فى النهر او المحل الذى يمكن الورود منه .

(١٨) راجع الطبرى ج.٤.ص ١٧٠

اما من المواد فلم ينفقد سوى قدح واحد ثم وجده صاحبه ، وهكذا تم العبور من دون اية خسارة مما يدل على كفائة عالية في الجيش العربى فى امثال هذه الحركات ، كما ان للخيل العربية قوة كبيرة على تحمل مشاق مثل هذه الحروب كما لها من المقدرة على تحمل مشاق الحرب على الارض وان حادث انقاذ الجندى يدل على وجود جماعات تراقب مثل هذه الحالات متهيأة للانقاذ، وان سعدا والقادة العرب قد اتخذوا كافة التدابير اللازمة قبل السماح للجيش بالعبور مما يدل على ثقافة عالية فى الحرب واستعداد كامل فى تهيئة الامور الادارية .

اما الفرس فكانوا منشغلين فى نقل عوائلهم واموالهم من المدائن الى حلوان . ولما رأت قواتهم التى تقاتل الجيش العربى شدته المتزايدة وعلموا ان لا قدرة لهم على المقاومة انهزموا تاركين عاصمة ملكهم ، فلما علم سعد بخلو المدينة من الفرس امر باتخاذ تدابير الحماية للجيش خشية الوقوع فى كمين والتهيؤ لقتال الشوارع ، فكان اول من دخل المدائن يعقوب الهذلى وكتيبة الاهوال (كتيبة عاصم) وكتيبة الخرساء (القعقاع) .

اما الجند المتحمسين من الفرس فقد استمروا بالرمى على الجند العربى فارسل سعد اليهم سلمان الفارسى الصحابى الجليل (ض) لمفاوضتهم وقد فهم سلمان منهم ان احدى بنات ملكهم مريضة وهم يدافعون عنها لحمايتها ، فامنهم العرب وارسلوها معهم آمنين الى مأمنهم . وهكذا تم فتح المدائن التى طالما كان العرب يردون اليها تجارا وكانت بها مناظرة ـ الملك النعمان مع كسرى الفرس مدافعا عن حرية العرب ، وبهذا انجز المجاهدون الوعد الذى وعدهم الرحمن باستلام ارضهم وديارهم .

اتخذ سعد تدابير الحماية وارسل ارتال المطاردة لطرد الفرس وتشتيت شمل القوات الفارسية التى كانت قريبة من المدائن لتأمين الجيش العربى والمدينة من تحرشات الفرس ، فارسل زهرة لتعقيب المنهزمين الى جسر النهروان ومعه القعقاع ايضا حتى وصلوا قنطرة النهروان .

فدخلها سعد والمسلمون وصلى سعد صلاة الفتح ثماني ركعات فى الايوان وكانت فيه التماثيل والصور ولم يتعرضوا لها وقرأ فيها (كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم •••• الآية) وبعد ان بقى سعد ثلاثة ايام فى الايوان انتقل الى القصر الابيض • فاتخذه مقرا له •

الغنائـــم

ليس فى مقدورنا ان نحدد مقدار الغنائم التى حصل عليها العـرب ، غير اننا يمكننا ان نتصور مقدارها الكبير من الحوادث التى وردت فى المصادر التاريخية •

فقد ورد ان زهرة وجد بغلا فى الماء وقد تكالب الفرس على اخراجـه منه اثناء المطاردة فاجلاهم عنه وجاء به الى مأمور الاقباض فى الجيش وكـان (هاشم بن عتبة) فاذا فى الحمولة تاج كسرى وجواهره وثيابه وهى موشمة بالذهب ومنظومة بالدر ، وجاء القعقاع بحمولة اخرى واذا فيها اسياف خمسة ملوك وهم :ــ كسرى ، مهمود ، خاقان ، النعمان ، هرقل • مع خمسة اسياف اخرى محلات بالذهب ومعها درع كسرى ومغفره ومنطقته ، ودرع هرقل، ودرع خاقان ملك الترك ، ودروع جماعة من الملوك كانت قد جائت اليهم من الممالك اثناء الفتح او فى غيره فآل امرها الى العرب فنفل سعد القعقاع سيف هرقل ودرع بهرام ووزعت باقى السيوف على ابطال الكتيبة الخرساء (كتيبة القعقاع) سوى سيف النعمان وسيف كسرى فقد ارسلهما سعد الى الخليفـة عمر بن الخطاب في المدينة وقد كان القعقاع يلبس ما نفله سعد فى الاعيـاد والحفلات •

كما جيء الى صاحب الاقباض بحمولة حمارين على احدهما تمثال فرس من الذهب والفضة مرصع بالدر والجوهر وعلى ظهره فارس وعلى الاخر ناقة من الفضة وعليها كور من الذهب •

وجاء اليه عامر بن قيس بمحفة من العود الرطب لشهران ابنة يزدجرد

فقال هاشم له « هل اخذت منه شيئا ؟ » فقال والله لولا الله ما اتيتكم به ، فقال هاشم من انت ؟ فقال والله ما اخبركم لتحمدونى ، ولكنى احمد الله وارضى بثوابه . فارسل هاشم من يسأل عنه فاذا هو عامر بن عبد القيس ، فقيل لسعد فى ذلك فقال « احلف بالله الذى لا اله الا هو ، اننا ما اطلعنا على احد من اهل جيش القادسية يريد الدنيا ، ولقد اتهمنا ثلاثة نفر فاتبعناهم فعجزنا عن وصف امانتهم وزهدهم وهم طليحة بن خويلد الذى ادعى النبوة بعد النبى صلى الله عليه وسلم والثانى عمرو بن معد يكرب والثالث قيس بن هبيرة (١٩) »

على هامش معركة المدائن

وكيف يطمع عربى مسلم بالدنيا وهو يروم اليوم الآخر وهدفه احدى الحسنيين واميرهم قد عف عن الدنيا وزخرفها وخليفتهم كان ينبههم الى كتاب الله ووجوب الامانة وهم امناء بغريزتهم شرفاء في سرائرهم صادقين فى نياتهم، ولا بد ان اخبرهم قائدهم بكتاب خليفة رسول الله اليهم الذى كان فيه (أما بعد ، فانى آمرك ومن معك من الاجناد بتقوى الله على كل حال فان تقوى الله افضل العدة على العدو واقوى من المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك ان تكونوا اشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش اخوف عليهم من عدوهم ، وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم الله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لان عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم ، فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، والا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ..) (٢٠) .

وهذا التوجيه الذى عالج به الخليفة نفسيات العرب كما ورد فى القرآن سهل لهم العمل وقوى عنصر الامانة فيهم ، فطلبوا خدمة الامة وعفوا عن الرذائل وتركوا المادة وراء ظهرانيهم فسهل عليهم الفتح وصار بركابهم النصر .

---

(١٩) راجع الكامل فى التاريخ ج٢ ص ٣٥٥
(٢٠) راجع الطبرى ج ٤ ص ١٧٩

وان كنا نرى وجوب التنبيه الى هذا فيجب ان لاننسى اعجزت الاخوات ان يلدن مثلك يا قعقاع ، فهذا عربى منتصر ويطلب من الاخوات ان يلدن مثل القعقاع البطل المغوار الذى لولاه لما احرز العرب النصر فىالقادسية ، فكيف بنا ابناء العرب فى القرن العشرين وقد انتصر علينا الاعداء ولم يبق بايدينا من الدنيا الا بقية دمع في مآقينا على مجد ضاع وعز ثلم وبلد استعمر وامة ذلها العدو ، فأين لنا القعقاع واين لنا من بنات العرب والمسلمين من بطل مثل القعقاع ، وقد آن الاوان للاخوات ان يربين ابنائهن على المثل العربية الاسلامية لكى يمكننا ان نعيد بناء ما بنوه •

من الغنائم

وقد عثر على صندوق مبطن ديباجا وخارجا فيه بساط ايوان كسرى الذى يفتخر به على الملوك وكله ذهب منسوج بالحرير منظوم بالدر واليواقيت الملونة والمعادن والجواهر الثمينة والزمرد وكان طوله وعرضه ستون فى ستين ذراعا ، منه كالصور وفى جانب كالشجر والرياض والازهار وفى جانب آخر كالارض المزروعة المبقلة بالنبات في الربيع وكل ذلك من الحرير الملون والمغادن على قضبان الذهبوالزمرد والفضة• وعند توزيعالغنائم علىالمجاهدين حار سعد فى توزيعه على الجند فذكر لهم صعوبة توزيعه عليهم فقال لهم «هل لكم ان تطيب انفسكم عن اربعة اخماسه » فوافقوه على رأيه ، فارسله مع الاخماسالى المدينةفوزعه الخليفه علىالمسلمينفباع علىبن ابى طالب(ض)قطعته بعشرين الف درهم ولم تكن باجود القطع • فاذا ما فرضنا ان قطعة على بن ابى طالب كانت معدل القطع وافترضناها ذراعا مربعا فيكون البساط قد قطع الى (٣٦٠٠) قطعة ويكون مجموع ثمنها (٧٢٫٠٠٠٫٠٠٠) درهما على أقل تقدير •

أما حصة الفارس من الغنائم التى وزعت على المجاهدين الذين كان عددهم (٦٠٫٠٠٠) فارس حسب رواية سيف فقد كانت حصة كل فارس

(١٢٫٠٠٠) درهما فيكون مجموع ما وزع على المجاهدين الذين كانوا جميعا فرسانا (٧٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠) درهم عدا الانفال التى نفلها سعد الى اهل البلاء من الجند العربى • ولكى يمكننا ان نتصور مقدار الغنائم نجمل الحساب التالى :ـ

درهم	التفاصيل
٧٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠	ما وزع على المجاهدين
١٨٠٫٠٠٠٫٠٠٠	الخمس المرسل الى المدينة وهو ربع ما وزع على المجاهدين
٧٢٫٠٠٠٫٠٠٠	ثمن البساط على اعتبار انه قطع الى قطع مقدارها ذراعا لكل قطعة
٩٧٢٫٠٠٠٫٠٠٠	مجموع حساب مادتين فقط من الغنائم ولك ان تتصور مقدار الثروة التى وردت الى العرب من نتيجة فتح المدائن •

وهذا عدا الاسلاب التى كانت من حصة المجاهدين •

وبعد ان استقر المقام بسعد وزال الخطر عن المدائن جلب سعد العيال من القادسية واسكنهم منازل الفرس وقسم الدور عليهم فاقاموا فيها الى ان تم فتح تكريت وجلولاء ثم تحولوا الى الكوفة •

وهكذا سيطر العرب على المدائن بعد ان حمل رئيس وفدهم التراب منها فاصبحوا اصحاب الامر والنهى فيها •

وما استعصى على قوم منال + اذا الاقدام كانت لهم ركابا

ابن الخطاب وكسرى

عندما وصلت الغنائم الى المدينة ورأى عمر كثرتها قال « والله لا يجنه سقف حتى اقسمه » فبات عبدالرحمن بن عوف وعبدالله بن ارقم يحرسانه حتى اليوم الثانى ، فلما اصبح الصباح جاء عمر الى المسجد فكشف عن جلابيبه ، وهي الانطاع ، فلما نظر الى ياقوته وزبرجده وجوهره بكى فقال

له عبدالرحمن بن عوف « ما يبكيك يا امير المؤمنين ؟ فوالله ان هذا لموطن شكر » فقال عمر والله ما ذاك يبكيني ، وتالله ما اعطى الله هذا قوما تحاسدوا وتباغضوا ، ولا تحاسدوا الا القى بأسهم بينهم » (٢١) •

فقال عمر « ان قوما ادوا هذا لذوا امانة » فقال له على بن ابى طالب « عففت فعفت الرعية » • والناس على دين ملوكهم كما قيل قديما ، فقد رأى الناس ملوكهم فى الحيرة والغساسنة فى الشام وفى اليمن يركضون وراء المادة فركضوا وراءها فاستعبدتهم • وركض ملوك الفرس والروم وراءها فدمرت امبراطوريتهم ، اذ استفحل الاقطاع وتعاظم امر اصحاب النفوذ وتبعهم الموظفون ففسدت الاخلاق التى هى قوام الملك ، فارسل الله جل جلاله محمدا صلى الله عليه وسلم لينقذ البشرية من هذا الداء الوبيل فارسله فى خير امة اخرجت للناس وامره ان يبلغها رسالته وامرها ان تبشر الناس وتهديهم سواء السبيل وهم قد تسامت نفوسهم عن عرض زائل وطلبوا الدار الاخرة فاصبحت المثل الاخلاقية هى المقياس لاعمال الناس فانتظم امر العرب بنظم الاسلام ففتحوا العراق والشام وهم بطريق تحرير بقية العالم •

ولما كان عمر بن الخطاب هو المسؤل الاول عن تربية الامة والمحافظة على المثل العليا وجب عليه تنبيه العرب الى ما آل اليه امر الساسانيين فارسل فى طلب اضخم رجل فى المدينة وكان أسمه (محلم) فالبسه ملابس كسرى وجعل الناس يتفرجون عليه ثم اخذ يلبسه انواعا من البسة كسرى والناس يتفرجون عليه ثم قال « احمق بامرىء من المسلمين غرته الدنيا ، هل يبلغ مغرور منها الا دون هذا او مثله ؟ وما خير امرىء مسلم سبقه كسرى فيما يضره ولا ينفعه ، ان كسرى لم يزد على ان تشاغل بما اوتى عن آخرته ، فجمع لزوج امرأته او زوج ابنته او امرأة ابنه ولم يقدم لنفسه ووضع الفضول مواضعها تحصل له والا حصلت للثلاثة بعده واحق من جمع لهم او لعدو جارف • وهكذا لم يترك الزعماء العرب المسلمون فرصة الا اعطوا

---

(٢١) الطبرى ج ٤ ص ١٨٩

الناس دروسا فى الخلق ونبهوا الناس ألى مواطن الضعف فى الامم الاخرى وأسباب أنتصار الجند العربى على جندهم •

وبهذا سمت النفوس العربية عن كل زائل وطلبوا وجه الله تعالى ولم يطلبوا الا ما كان ضروريا لهم فهم لا يطلبون الا كسرة خبز يسدون بها جوعة يومهم وشملة يسترون بها عورتهم ، يفترشون الارض ويلتحفون السماء وهذا خليفتهم عمر وقد اخذت الاموال تتكاثر على الدولة الاسلامية فقالت له ابنته ام المؤمنين حفص « لو وسعت على نفسك ، وقد كثر المال وولى الاقلال » فيقول لها « اخبريني ماذا كان يملك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول له « كان له ثوبان احداهما لمقابلة الوفود والصلاة فى الاعياد والجمع والاخر لسائر ايامه ، وكانت لنا قطيفة (سجادة) ينام عليها صيفا ونلتحفها شتاء ويأكل الخبز من الشعير »

فقال لها « أن مثلى مثل ثلاثة اختط الاول لنفسه خطة وسار عليها وبلغ مرامه وسار الثانى على منواله فان سار الثالث على خطة سلفيه فقد نجح وان افترق عن خطتهما لا يجتمع بهما • »

ونحن ابناء القرن العشرين من العرب والمسلمين بحاجة الى من يدلنا على هذا السبيل القويم الذى به نحفظ كياننا ونعيد أسس ماضينا العظيم بالرجوع الى أسس الدين الحنيف والخلق الاسلامى القويم تلك الاسس والمبدىء التى تسمو على غيرها ، فلانظم دمقراطية تأتينا عن الغرب ، انما هى اخلاق عربية اسلامية تستمد من القرآن ومن احكامه ، فنحن بحاجة الى امثال ابى بكر وعمر وعلى وأبى عبيدة وخالد بن الوليد ، اولئك الذين عاشوا على هذه الاسس وبنوا لنا مجدا يعز علينا بناءه ان لم نعد الى ما كانوا عليه •

(ان الدين عند الله الاسلام •• قرآن كريم)

نتيجة احتلال المدائن

بعد ان سيطر العرب على المدائن اصبحوا الحاكمين على العراق وسيطروا

عليه سيطرة تامة ولم يبق أمامهم الا بعض الجيوب التى ليس لها أهمية كبيرة وأصبح بأمكانهم ارسال الجيوش باتجاه الشمال الى الموصل والى نصيبين والى الجنوب باتجاه الاهواز كما أصبح في مقدور هذه القوات مساعدة قوات أبى عبيدة في سورية لطرد القوات البيزنطية من سورية نهائيا وتطهير الجزيرة ، كما تشجع العرب وارتفعت معنوياتهم وأصبحت لهم الكلمة المسموعـــة فى العالم وتمكنت الامة العربية من أثبات قوتها وأصبح لها المركز المرموق بين دول الارض أما الفرس فانهم قد فقدوا كثيرا من قوتهم ودولتهم فعرفوا أنهم كانوا على خطأ فى جميع اعمالهم ونظرا لانهم قد فقدوا القسم الغنى من ملكهم فلا بد أن يتهيأوا لمعركة أخرى ليستعيدوا ما فقدوا ولهذا اخذوا بتهيئـــة قواتهم فى منطقة حلوان فكانت النتيجة لهذا التهيوء معركة جلولاء الوقعية .

الفصل الرابع

معركة جلولاء ، فتح تكريت وفتح الموصل
نتائج فتح العراق ، العطاء ، تأسيس
البصرة والكوفة ، فتح الجزيرة
غزوة فارس من البحرين

معركة جلولاء

بعد أن أستقر العرب في المدائن أياما وردت الانباء اليهم تشير الى اجتماع الفرس في منطقة حلوان وقد وصل جند الموصل الى تكريت [١] فكتب سعد الى عمر بن الخطاب يستشيره فيما وصل اليه من الاخبار ، فأمره الخليفة أن يقدم هاشم بن عتبة في ١٢,٠٠٠ مقاتل الى جلولاء ، وان يكون على المقدمة القعقاع بن عمرو وعلى الميمنه سعد بن مالك وعلى الساقة عمرو بن مرة الجهني ، وان يقدم بعد هزيمة الجندين (جند الفرس في جلولاء وفي تكريت) القعقاع بن عمرو حتى يكون بين السواد والجبل على حد السواد •

قرار الفرس

أما الفرس فقد تجمعوا في جلولاء واتفقوا على أن تكون القيادة الى مهران الرازي وصمموا على القتال الشديد وقالوا لبعضهم « أن أفترقتم لم تجتمعوا أبدا ، وهذا مكان يفرق بيننا ، فهلموا فلنجتمع للعرب ولنقاتلهم فأن كانت لنا فهو الذي نريد ، وأن كانت الاخرى كنا قد قضينا الذي علينا وابلينا عذرا • » [٢]

أما يزدجرد فقد نزل حلوان وأخذ يرسل الاموال والرجال اليهم ، فحفروا خندقا حولهم واحاطوه بحسك الحديد والخشب ، وتركوا منافذ

---

(١) راجع فتح المدائن (بهرسير والعبور الى المدائن) ومحاولة يزدجرد في الحصول على الصلح مع العرب • نفس الكتاب
(٢) الطبرى ج ٤ ص ١٧٨

لهم يخرجون منها ويدخلون عند الحاجة وليس عليها حسك • ويكون حسك الحديد من قطع حديدية مثلثة الرؤس تفرش بها الأرض امام الجيش لتدخل في حوافر الخيل فتعيق حركتها ، وتترك في حقولها ممرات تدخل منها القوات المدافعة وتخرج للقتال منها وتحمى هذه الممرات من قبل القوات المدافعة لتمنع العدو من دخولها واقتحام مواضع المدافعين وان الغاية الرئيسية من هذا الحسك هي اجبار العدو على الحركة في اتجاهات معينة وتعتبر هذه الحسك كالالغام في العصر الحديث ولا يختلف استخدامها كثيرا عن استخدام الالغام ، التي تستخدمها القوات تعيق حركة الدروع والمشاة والوسائط الالية الاخرى لمنع تقدمها في بعض المناطق واجبارها على التقدم في مناطق يكون المدافع قادرا على التأثير فيها على المهاجمين من خلالها •

تقدم القوات العربية ٠

وفي شهر صفر السنة ١٦ هجرية تقدم هاشم على رأس ١٢٫٠٠٠ مقاتل على طريق قنطرة النهروان [٣] ثم سار باتجاه الشمال الشرقي الى مهروز [٤] فلما وصلها صالحة حاكمها على مبلغ مقداره فرش جريب واحد من الدراهم [٥] وبعد مسيرة اربعة مراحل وصل الى جلولاء فبذلك انتهى التنقل واقترب العرب من قوات الفرس ثانية ، ولما كانت المسافة بين المدائن وجلولاء ١١٢ ميلا تقريبا فتكون المرحلة التي قطعا الجيش العربي في اليوم الواحد تقارب ثلاثين ميلا •

---

(٣) النهروان ـ مدينة يشقها نهر النهروان من وسطها على اربعة فراسخ (وتقارب ٣٠ كيلو مترا) من بغداد راجع مسالك الممالك للاصطخري ص ١٦ طبع ليدن ٠

(٤) مهروز ويسميها العامة مهروت واسمها الحالي كنعان في العراق الحديث ٠

(٥) يقارب قطر الدرهم الساساني سنتيمترين ومساحة الجريب ٣٫٦٠٠ ذراع مربع والذراع ٧٥ سم وعند التقسيم يكون المبلغ ما يقارب ١٫٨٠٠٫٠٠٠ درهما ٠

وقد كان مع هاشم وجوه المهاجرين والانصار واعلام من العرب ممن ارتد وممن لم يرتد [٦] فلما وصل جلولاء حصرت القوات الفارسية فأخـذ الفرس اسلوب المطاولة مع هاشم ولم يقبلوا معه معركة فاصلة بل كانوا يخرجون خرجات باوقات متفاوته ، غير انهم فى كل مرة كان يردهم العرب الى خندقهم حتى بلغ عدد الزحوف بينهم وبين الفرس ثمانين زحفا ، ونعتقد ان الغرض من هذه المطاولة من قبل الفرس هو لاكتساب الوقت حتى تصل اليهم النجدات من باقى البلاد الفارسية •

أما هاشم ورجال الجيش العربى المبرزون فكانوا يشجعون الجند العربى على القتال ويذكروهم باهمية هذه المعركة ، فهى أما أن تدفع الفـــرس الى ما وراء الجبال فيتركوا العراق نهائيا ، أو ان تكون الاخرى على العـــرب فيتضعضع مركزهم فى المدائن ويخرجوا منها ولذلك كان هاشم يقول لهـــم (ان هذا المنزل منزل له ما بعده) ويطلب النجدات من سعد • فارسل اليــه سعد (٢٠٠) مقاتل واتبعها بمثلها عددا ثم اتبعها بمثلها ايضا ، فلما رأى الفرس تتابع النجدات الى العرب وتأخر وصول امدادهم خافوا النتيجة فخرجوا من الحصن أمام الخندق واشتبكوا فى القتال مع الجيش العربى فقال هاشم الجنده « ابلوا الله بلاء حسنا يتم لكم عليه الاجر والمغنم واعملوا له » فاشتبك الجيشان فى القتال غير ان الله ارسل ريحا واظامت البلاد فلم يعـــد بأمكان احد من الجيشين ان يقاتل فتحاجزوا ورجع كل جند الى اماكنه • وفي اثناء رجوع الفرس الى حصنهم ظل قسم من فرسانهم الطريق فسقطوا فى الخندق فاضطروا على عمل فرض فى الخندق ليعبروا منها عند الخروج والعودة فى مثل هـــذه الحالات فعرف العرب ذلك فهجموا ثانية وقاتلوا صدر نهارهم الى الظهـــر وصلوا صلاة الظهر ايماء حتى اذا كانت بين الصلاتين (صلاة الظهر وصلاة

---

(٦) المقصود بمن ارتد من الرجال الذين ارتدوا عن الاسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم •

العصر) ابدل الفرس قطعاتهم بغيرها مستريحة فخاف العرب نتيجة هـذا التبديل وكان الجند العربى تعبا من القتال وليس له بديل ، فقال لهم القعقاع « اهالتكم هذه ؟ »

فقالوا نعم نحن مكلون وهم مريحون والكال يخاف العجز .

فقال لهم القعقاع « انا حاملون عليهم ومجادوهم وغير كافين ولا مقلعين حتى يحكم الله بيننا فاحملوا عليهم جملة رجل واحد حتى تخالطوهم ، ولا يكذبن احـد منكم » . فحمل فانفرجوا فما نهنه احد عن باب الخنـدق ، فالبسهم الليل رواقه فاخذوا يمنة ويسرة وكان قد جاء فى المدد الى العرب طليحة الاسدى وقيس بن المكشوح وعمرو بن معد يكرب وحجر بن عدى فوافقوهم فلما تحاجزوا كان القعقاع قد سيطر على باب الخندق فامر مناديـا فنادى (يا معشر المسلمين هذا اميركم قد دخل خندق القوم واخذ به ، فاقبلوا عليه ولا يمنعكم من بينكم وبينه من دخوله) (٧) فاشتد عزم العرب وخارت قوى الجند الفارسى. فوصل العرب الخندق وهم يأملون أن يروا هاشمـا فى الخندق واذا به القعقاع بن عمروا التميمى فلم يبق للفرس الا ان يذهبـوا يمنة ويسرة عن طريق العرب الذى هو المجال الذى تركوه بين الحسك فاذا بهم وسط الحسك الذى وضعوه ليعقر خيل العرب فعقر خيلهم فاضطروا الى الترجل وادارو ظهورهم للعرب فاخذت سيوف العرب تحصدهم فلم يفلت منهم الا من لا يعتد له وبلغ عدد قتلاهم كما ترويه المصادر العربية مائة الف رجل ؟ وجلل القتلى المجال فسميت المعركة جلولاء لكثرة ما جلل الساحـة من القتلى الفرس فهى جلولاء الوقيعة (٨) . وقد بلغت شدة القتال فى معركة

---

(٧) راجع الطبرى ج ٤ ص ١٨١

(٨) لا نميل الى تأييد الرأى القائل بهذا العدد من القتلى لان المعركة الرئيسية فى القادسية لم يتمكن الفرس فيها من جمع اكثر من (١٢٠،٠٠٠) مقاتل وبالاخص ان النجدات لم تصل الى الفرس وهذا من المبالغات التى يجب تحقيقها .

جلولاء ان شبهت بقتال ليلة الهرير في القادسية الا ان كان اكمش منــــه واعجل .

ونرى ان لو لم يتقدم القعقاع بحركته نحو الخندق لما تمكن العرب من احراز النصر بهذه السرعة فجزى الله القعقاع عن العرب خير الجزاء . فهو الذى أمن النصر في القادسية ، وهكذا كان رجال هذه الامة مصدر قــدرة كبير للعمل يصعب التكهن بها . ولو لم يقاتل العرب الفرس في العراق قتالا شديدا بعد جلولاء التى نفذ فيها النبل والسهام وقصفت الرماح فاستخدمت السيوف حتى تثنت واستخدموا فيها الطبرزينات وهكذا كانت معركة جلولاء كما ارادها الفرس اخر سهم يرمونه على العرب فاذا بهذا السهم يتكسر على صخرة سريرة الجندى العربى فبلغت حصة الفارس العربى ٩٠٠٠ درهمـا وتسعة دواب [٩] .

أما يزدجرد فلما بلغه خبر نتيجة المعركة ترك حلوان الى داخل البلاد الفارسية ، فارسل هاشم القعقاع بن عمرو لمطاردة المنسحبين حتى احتل خانقين فنزل فيها بجند من العرب والحمراء [١٠] فى حلوان لمنع تحرشات الفرس المحتملة وبقى فيها حتى رجع سعد بالناس الى الكوفة وسحبه منها وابقــى على حاميتها قباذ وهو من الحمراء وكان اصله من خراسان .

فتح تكريت والموصل

كانت قد وصلت نجدات الفرس من الموصل الى الانطاق حتى نزلت بتكريت فخندقت فلمــا اخبر سعد بخبرهم الخليفة عمــر بن الخطاب كتب اليه الخليفة ان سرح الى الانطاق عبدالله بن المعتم وعلى مقدمته ربعى بن الانكل العنزى وعلى ميمنته الحارث بن حسان الذهلى وعلى ميسرته الفرات

---

(٩) ابن خلدون ج ٢ ص ٣٢٩

(١٠) الحمراء هم الجند الفارسى الذى اسلم والتحق بالجيش العـربى فى معركة القادسية وكانوا من الاكراد فسماهم العرب حمراء ديلم لان رئيسهم كان ديلم فى الكوفة فيما بعد .

بن حيان العجلى وعلى ساقته هانى بن قيس وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة •

ففصل عبدالله بن المعتم بخمسة الاف من العرب من المدائن وسائر اربعة مراحل حتي وصل الى تكريت فحصر الفرس ومعهم من الروم واياد وتغلب والنمر والشهارجة وقد خندقوا عليهم فحصرهم اربعين يوما واشتبكوا اربعة وعشرين مرة كان العرب فى كل منها يرجعونهم الى خندقهم • فلما رأى جند الانطاق ان لاقبل لهم بالعرب نقلوا متاعهم واثاثهم الى السفن فى النهر فعلمت اياد وتغلب والنمر بذلك فارسلوا الى عبدالله بن المعتم يطلبون منه الامان ويخبروه فطلب اليهم ان يعلنوا الاسلام ويشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ان كانوا صادقين ، فلبوا الطلب واسلموا وعند ذلك اعطاهم اشـــارة الهجوم وهى ان يكبر المسلمون ويتقدموا فتكبر القبائل من جهتها وتتقدم لمعاونة المسلمين فى ضرب العدو •

فلما هجم العرب من اتجاهين صار العدو بين السيوف العربية المجاهدة والسيوف العربية التى اسلمت فلم ينج احد من غير المسلمين ، وهكذا تـم فتح تكريت •

ومن بعد معركة تكريت ارسل عبدالله بن المعتم ابن الانكل الى الحصنين وامره ان يسبق الخبر قائلا له « اسبق الخبر ، وسر ما دون القيل واحيـى الليل » وارسل معه القبائل تغلب واياد والنمر فقدمهم بن الانكل وعليهـم عتبة بن الوعل احد بنى سعد وذو القرط وابو وداعة بن ابى كرب وابن ذى السنية قتيل الكلاب بن الحجير الايادى وبشير بن ابى حوط متساندين فتمكن المسلمون العرب من احتلال الحصن وهرب من لم يصالحهم من العدو •

نتائج تحرير العراق

قيمة الدولة العربية

بعد انجاز العراق وزوال الحكم الفارسى منه اصبح للعرب الوزن الاول فى العالم اذ انهم تمكنوا قبل هذا من ازالة القوات البيزنطية من ســورية فى

اليرموك [١١] فصارت الدولة العربية ذات الكلمة العليا واليد الطولى التي يحسب حسابها من قبل اعظم امبراطوريتين في العالم ٠

٢ ـ اعتز الفرد العربي بالدين الاسلامي واصبح العربي معتمدا على نفسه وعلى امته بعدان كان لا يجرأ على محاربة الفرس فاصبح لا يأبه لهم ٠

٣ ـ ازدياد الثروة لدى العرب الذين لم يكن اغلبهم يملك ما يستر به نفسه ، وقد كان لهذه الثروة اثر كبير في تطور الحياة الاجتماعية في المجتمع الاسلامي في صدر الاسلام ٠

٤ ـ زوال الاقطاع من العراق ـ فقد اعطيت الارض الى الفلاحين يستغلوها ويدفعوا الضرائب للدولة مباشرة فزال الظلم والجور الذي كان رجال الفرس والدهاقين يسومونه الناس ٠

٥ ـ القضاء على القوات البيزنطية التي كانت تروم استرجاع سورية من العرب فأمر عمر بن الخطاب سعدا لارسال قوة لمساندة الجيش العربي في سورية ففشلت محاولة الرومان فتمكنت القوات العراقية من فتح الجزيرة ومعاونة العرب في سورية فانقطع امل الرومان البيزنطيين في استعادة البلاد الشامية ٠

٦ ـ انتقال العرب من الجزيرة والسكنى في العراق وتأسيس الكوفة والبصرة ٠

٧ ـ دخول الكثير من الفرس في الدين الاسلامي واختلاطهم ومع العرب واتصالهم بهم وبالتالي زواج كثير من الجند العربي من الفارسيات فدخلت كلمات فارسيه في اللغة العربية فظهرت اللغة العامية ٠

الضمان الجماعي

٨ ـ فرض العطاء وعمل الديوان ـ [١٢] كان من نتيجة وصول

---

(١١) راجع كتاب القائد خالد ـ خالد بن الوليد ـ للمؤلف طبع بغداد ١٩٥٥

(١٢) راجع الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٤٥

الاخماس الى المدينة المنورة ان كثر المال فى خزينة الدولة وولى الاقلال والحرمان وازدادت الثروة فاصبح فى مقدور الدولة أن تصرف المال لتأمين الضمان الاجتماعى لهم وبما ان الصناعة غير مرغوبة من قبل العربى فى ذلك الوقت وان جميع ما يطلبه متيسر له لذلك قرر عمر بن الخطاب فرض العطاء لهم فاجتمع بالصحابة الكرام وبعد التداول فى الرأى اتفق هو والامام على على ان ما افاء الله على رسوله من اهل القرى التى وردت فى القرآن تشمل الخمس الى الله وللرسول فمن الله الامر وعلى الرسول القسمة بين اصحابه والمؤمنين من ذوى القربى واليتامي والمساكين وابن السبيل وفى الرقاب ... الى آخر ما جاء فى الآية الكريمة ، كما اخذوا بنظر الاعتبار ما جاء فى الآية التى بعدها للفقراء والمهاجرين ... الخ .

فكان تخصيص العطاء على هذه الاسس الواردة فى القرآن الكريم ووافق الصحابة على رأى عمر وعلى رأسهم الفقهاء ومنهم على بن ابى طالب، فخصص العطاء لاقارب الرسول اولاً ثم السابقين فى الاسلام بنسبة سبقهم وجهادهم فكان تخصيص العطاء كما يلى :—

درهم	جهة العطاء
١٢٠٠٠	لعم النبي العباس
٥٠٠٠	لكل بدرى والحق بهم الحسن والحسين وسلمان الفارسي واباذر
٤٠٠٠	لكل مسلم من بعد معركة بدر حتى صلح الحديبية
٣٠٠٠	لكل عامل فى الحقل الاسلامى من بعد الحديبية حتى انتهاء حروب الردة .
٢٥٠٠	لاهل البلاء فى معركتى القادسية واليرموك الذين امتازوا على غيرهم فى التضحية
٢٠٠٠	للمجاهدين فى معركتى القادسية وفتح سورية (نعتقد المقصود بهم اصحاب اليرموك) .

١٠٠٠	للمجاهدين الذين اشتركوا فى المعارك بعد القادسية واليرموك (الثنى)
٥٠٠	الى كل من اشترك من الروادف بعد المشتركين الذين قاتلوا بعد اهل القادسية (الثليث)
٣٠٠	لكل مجاهد بعد هؤلاء (الربيع)
٢٠٠	لاهل حجر والعباد بعد الربيع ثم ساوى الناس

وهكذا فضل عمر اهل السابقة في الاسلام على غيرهم فهم الذين تحملوا الاذى في المجاهدة ، ثم اهل المعارك الفاصلة حسب قدمها واهميتها حتى اعطى الجميع حقهم ، فلما اعترض صفوان بن أمية والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو على قلة عطائهم لانهم لا يرون احدا اكرم منهم قال لهم عمر (ض) «انى انما اعطيتكم على السابقة فى الاسلام ، لا على الاحساب » قالوا فنعم اذا •

ولم يكتف عمر بالذى اعطاه للرجال انما اعطى للنساء اللواتى كن مع المسلمين السابقين فى الاسلام وتحملن الاذى فى سبيل الله فخصص لهن كما يلى •

درهم	جهة العطاء
١٠٠٠٠	لكل واحدة من زوجات الرسول ، وقد رفضن التفاضل بينهن حيث ان الرسول لم يفاضل بينهن
٥٠٠	لكل واحدة من زوجات المجاهدين البدريين •
٤٠٠	لزوجات المجاهدين بعد معركة بدر الى الحديبية •
٣٠٠	لنساء المجاهدين بعد الحديبية الى الايام •
٢٠٠	لنساء اهل القادسية •
١٠٠	للصبيان جميعا •

وبهذا العطاء اعطى عمر لكل مجاهد حقه ، فلما قيل له (لو الحقت اهل

القادسية باهل الايام) قال « لم اكن لالحقهم بدرجة من لم يدركوا » وكيف يساوي بينهم وقد تحمل اهل الايام كما مر بنا من المصائب والمكابدة للعدو ما سهل لاهل القادسية عملهم ، فلما قيل له « قد سويت (ساويت) من بعدت داره بمن قربت داره وقاتلهم عن فنائه » قال « من قربت داره احق بالزيادة لانهم كانوا ردىء اللحوق وشجى للعدو فهلا قال المهاجرون مثل قولكم حين سوينا بينهم وبين الانصار » وقد كانت نصرة الانصار بفنائهم وهاجر اليهم المهاجرون من بعد • وبهذا حفظ عمر العادل حق الجند الذى كان في الخط الاول من العدو لقربه به وتحمل اذاه الى ان كتب الله نصره •

ولم يكن فرض العطاء هذا متيسرا للخلافة الا بعد ورود الاموال الكثيرة وازدياد واردات الدولة ومن الاخماس والضرائب (الخراج والجزية) تلك الاموال التى اخذت تنثال على الدولة من بعد معركتى القادسية واليرموك فهى نتيجة من نتائج هاتين المعركتين •

على هامش العطاء

قيل لعمر بن الخطاب « يا امير المؤمنين ، لو تركت في بيوت الاموال عدّة لكون ان كان » فقال عمر « كلمة القاها الشيطان على فيك ، وقاني الله شرها ، وهي فتنة لمن بعدى ، بل اعدّ لهم ما امرنا الله ورسوله ، فهما عدتنا التي افضينا الى ما ترون ، فاذا كان المال ثمن دين اخذكم هلكتم » (١٣)

هاتان فكرتان يجب مناقشتهما وعدم تركهما ، فقد قيل ان الدولة بالجند والجند بالمال والمال عصب الحرب ، وعلى هذا الاساس يجب على المسؤلين في الدولة أن يكتنزوا الاموال في خزينتها من المال الفائض لمالجة الطوارىء التى تحدث في الدولة ، وهى تحدث باوقات قد تكون الدولة غير مستعدة للعمل بها اولا يتيسر المال اللازم لها او ان تكون الدولة بظروف غير ملائمة ولهذا تأخذ الدول في العصر الحاضر بهذه القاعدة فتؤمن من وقت السلم

(١٣) راجع الطبرى ج ٤ ص ١٦٢ وما بعدها

مالاً من المال الفائض توفره لمعالجة الحوادث والأوضاع التى قد تحدث .

الا ان عمر لم يأخذ بهذه القاعدة ولم يدخر المال فصرفه على افراد الامة ، بل انه اعتبر الفكرة الاولى فتنة له ولمن بعده ان اخذ بها ، واذا تتبعنا سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وسيرة ابى بكر وعمر نفسه وعلى بن ابى طالب ثم راجعنا عمل معاوية بن ابى سفيان فى الشام ومن بعده وسيرة الخلفاء العباسيين في بغداد نرى ان الاول قد ساروا على ما ارتآه عمر بن الخطاب فانه وجماعته قد جعلوا الامة باجمعها هى العدة بموجب اوامر القرآن وامر الرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك كانت الامة جميعها تتهيأ للعمل لمعالجة اى حدث يكون فكل فرد فيها مسؤل عن صيانة الدولة من كل اعتداء او اختلال فى أمن الدولة ولهذا لم يكن المال هو الذى يسير الدولة ولو كان ذلك لما زالت حكومة الاكاسرة التى كان فى خزائنها ماقيمته ٩٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دينار قبل معركة القادسية[١٤] ولما زال حكم البيزنطيين من سورية وهى الدولة التى تمتلك من الاموال التى تمكنت الدولة الاسلامية ان تزيلها بجزء من اموالها ، وقامت الدولة العربية بهذا الجزء نفسه ، ولهذا لم يحتفظ عمر بالاموال لكون ان كان انما وزعها على الامة التى مات رجالها فى سبيل تكوينها ، انما احتفظ بقسم من الخيل لتكون على اهبة العمل عند الحاجة كقوة دائمة (جيش دائم) فقط .

هذا كان رأى عمر ، ولعل قائل يقول ــ اما كان فى الامكان الاستفادة من فضول الاموال او تقليل العطاء بصرف الفائض منه على اعمار البلاد وانشاء المشاريع العامة التى تزيد فى واردات الدولة ؟ وهذا رأى له وجاهته فاذا رجعنا الى التاريخ نجد ان الامراء في العراق قد باشروا بهذا وكان اول عمل انشائى بوشر به هو تجديد خندق سابور من قبل سعد بن ابى وقاص الذى يبدأ من جنوب هيت بمسافة سبعة عشر كيلو مترا ويتجه جنوبا يوازى نهر الفرات من جهته الغربية حتى يصب فى خور عبدالله فاخذ هذا الخندق

---

(١٤) مقدمة بن خلدون .

اسم سعد بن أبى وقاص فسمى باسم (كرى سعد)[١٥] الذى لا زال يسمى بأسمه حتى عصرنا هذا . هذا فى الاقطار التى خارج الجزيرة اما الاموال التى ترد الى الحجاز فهى تصرف على الامة لكى لا يكون المال ثمنا للدين .

فلما صار المال ثمنا للدين في زمن معاوية بن ابى سفيان وفى زمن العباسيين وخاصة فى زمن المأمون والمعتصم انصرف الناس عن الفكرة الاولى (ان كل منهم مسؤول عن الدولة) ففقد الفرد العربى الشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتقه ، فانفصل عن الدولة ويؤيد ذلك ان المأمون الف جيشا من اخواله الفرس وقتل الامين الذى كان يريد ان يجعل الحكم فى العرب ، وتبعه المعتصم فجاء بجيش من ابناء اخواله الترك متناسين القول العظيم (ما حن اعجمى على عربى) فلما دق ناقوس الخطر كان الفرد غير مهتم بمصير الدولة فزال حكم الحكام على يد المغول لان التكالب الذى كان فى الفرس على الحكم والمال حدث فى الدولة العباسية نتيجة تدخل الفرس والترك فيه . ولهذا منع عمر بن الخطاب احد عماله من الزواج من امرأة فارسية لان أبن المرأة التى لا تمت بصلة الدم الى العرب لا تهمها أمة العرب ولا دين العرب فينشأ ابنها وليس فيه حمية على ابناء العرب وعلى دين محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد آن لابناء العرب ان يرتدعوا عن الزواج بغير العربيات والا فسيكون مصير ابنائهم المصير الذى حدث فى الزمن العباسى .

وعلى هذا يكون عمر بن الخطاب قد هيأ الامة باجمعها فهى خير عدة لكون ان كان أما المال وحده فلا يفيد ان لم تكن الامة متهيأة فرضى الله عن ابن الخطاب وعوضنا عنه بمثيله .

تأسيس البصرة

بينما كانت القوات العربية تقاتل فى العراق باتجاه الحيرة كانت منطقة البصرة خالية من القوات العربية ، حيث انها كانت بعد فتح الابلة من قبل

---

(١٥) لم يكمل مشروع سعد فى زمانه وانما كمل فيما بعد ذلك

خالد بن الوليد ليس فيها الا القبائل القليلة منا فى صحراء البصرة ، ولما كان هذا الاتجاه يهدد خط مواصلات العرب فى منطقة القادسية فلا بد للخليفة ان يتخذ التدابير لمنع الفرس من القيام بأى حركة من جهة الابلة تهدد القوات المقاتلة في القادسية لذلك ارسل عتبة بن غزوان المازنى اليها فى ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا من المدينة وانضم اليه بعض رجال القبائل فاصبح تعداد قواته ما يقرب من خمسمائة مقاتل فنزل بقوته حيث أمره الخليفة اذ قال له « اذا كنتم فى اقصى ارض العرب وادنى ارض العجم ، فاقيموا » وهذا يؤيد ما ذهبنا اليه من ان الخليفة ارسلهم لحماية قوات القادسية فقط ، غير أن حامية الفرس وكان عددها خمسمائة مقاتل لم تلبث ان تحرشت بهم فتمكن عتبة من تدميرهم ونزل بقوته ثلاثة اوطان فى منطقة الابلة لم يتمكن من المقام بها لوجود الطين فيها ومن ثم جاؤا الى البصرة فنزلوها ، والبصرة لغة كل ارض حجارتها جص فهى المحل الذى اختاروه فى المرة الرابعة • وعلى هذا نؤكد ان محل البصرة التى نزلها العرب هى البصرة القديمة حاليا فى العراق الحديث وليست البصرة الحالية للاسباب التالية :ـ

١ ـ ان البصرة الحالية ارضها رخوة (سبخة) وطينية كما كانت فى السابق وقد تحول العرب عنها الى بصرتهم ليتخلصوا من الطين •

٢ ـ ان البادية كما يذكر الاصطخرى فى مسالكه تحيط البصرة على شكل قوس وهذا ينطبق على المحل المسمى حاليا بالبصرة القديمة فى العراق الحديث على مقربة من موقع الشعيبة •

٣ ـ ليس في البصرة التى سكنها العرب المياه الا الانهار كما شاهدها الاصطخرى وهو يؤيد الرواية القائلة بان عدد انهارها يقرب من(١٢٠،٠٠٠) نهرا وهى التى تأتيها من الابلة •

٤ ـ ان قبر طلحة بن عبدالله الصحابى فى البصرة (فى المدينة) خارج المربد وان هذا القبر قرب الزبير فى العراق الحديث •

٥ ـ كان للبصرة نهر يأتي من الأبلة اليها طوله اربعة فراسخ (تساوى عشرين كيلو مترا تقريبا) •

٦ ـ ان الابلة على البحر كما روى الاصطخرى فى مسالكه وقد رآها بنفسه •

٧ ـ كان فى حدود البصرة آجام كثيرة ولا زالت هذه الاجام موجودة وتسمى (ادغال البرجسية) حاليا قرب البصرة القديمة • وهى البصرة التى مصرها عتبة المازنى •

٨ ـ روى الاصطخرى ان قرب البصرة بطائح قليلة العمق واكثرها يسار فيها بالمدارى كانها كانت على قديم الايام ارضا مكشوفة ، وهذه المستنقعات غير موجودة حتي على مسافة من البصرة الحالية فى العراق الحديث، انما هى على مقربة من البصرة القديمة التى سكنها العرب وخاصة ايام الفيضان•

سكان البصرة من العرب

أما القبائل التى سكنت البصرة من العرب والمسلمين فهى قبيلة تميم وكان رئيسها الاحنف بن قيس الانصارى وقبيلة الازد مع بطون من القبائل الاخرى وقد سكنها الاعاجم بعدد اكبر من العدد الذى سكن الكوفة منهم ، حيث انهم كانوا يجدون استقرارا فى البصرة اكثر من الكوفة وذلك لان الطبقة المجاهدة الاولى فى الاسلام ومنهم سبعون من صحابة الرسول من البدريين وثلاثمائة من اصحاب الشجرة سكنوا الكوفة ، وهى الزمرة المختارة التى نذرت نفسها للجهاد فى سبيل الله واكتفت من الدنيا بعطاء الخليفة فنتج عن هذا ان صارت فى الكوفة طبقة علية ارستقراطية ليس لها هم الا المحافظة على تقاليدها وكانت الحياة العسكرية تشبع رغباتها ، بينما لم تكن هذه الطبقة فى البصرة الامر الذى سهل به على الاعاجم ان يتصلوا ويختلطوا بالعرب الفاتحين فى البصرة ولم يسهل ذلك سوى للنزر اليسير منهم فى الكوفة •

فتح الجزيرة وطرد الرومان من سورية

بعد فتح الحصنين (الموصل) استقرت القوات العراقية في مواقعها ولم يبق أمامها من القوات الفارسية في العراق ما يعتد لها فكان عبدالله بن المعتم في الموصل والعرب في المدائن وقد انتقل قسم منهم الى الكوفة ، غير ان اخبارا وردت تشير الى ان اهل الجزيرة الموالين للرومان البيزنطيين قد طلبوا الى ملك الرومان ارسال القوات لطرد العرب من سورية (١٦) فجمع ابو عبيدة الحامياة العربية في سورية الى حمص وقرر جماعة القادة العرب في سورية التخندق عدا خالد بن الوليد الذى طلب مقاتلتهم ، فخندقوا عليهم وكتبوا بذلك الى عمر بن الخطاب فكتب الى سعد ان ارسل القعقاع بن عمرو مع اربعة آلاف مقاتل لنجدةابا عبيدةالمحصور وهذا العددمن الجند هو القوةالتى كانقد اعدها عمرفى الكوفة لكون ان كان (معالجة الطوارىء) الى ان تتمكن القوات العربية من المسير الى العدو فهى قوة فى الانذار دائما اتخذها من فضول الاموال فىالكوفة وفى كل مصر من امصار المسلمين ، كما أمره بارسال عمرو بن مالك الى هيث التى وصلتها نجدات اهل الجزيرة على أن يتقدم بعد الفـــراغ منها الى قرقيسيا ويرسل سهيل بن عدى الى الرقة ثم الى حران والرها وارسال رتل الى نصيبين ثم يذهب من نصيبين الى رأس العين فالرها وحران كما أمربارسال الوليد بن عقبة الى ديار تغلب وبهذا يكون الخليفة قد أمر بتشكيل خمســـة ارتال من قوات العراق لمعالجة الموقف وعين عياض بن غنم قائدا عاما لها ، ان حدث قتال فهو القائد •

اما السبب فى ارسال عدة ارتال فهو ان اهل الجزيرة هم الذين شجعوا البيزنطيين على القيام بهذه الحركة وارسلوا قواتهم لمقاتلة القوات العربية فى سورية ولهذا ستكون الارتال العراقية متقدمة فى مناطقهم فيضطروا على ترك القتال فى سورية والرجوع الى مناطقهم لمحافظتها •

---

(١٦) يذهب اعتقادنا على ان الرومان شجعوهم على هذا العمل فاستجابوا لدعوتهم •

تقدم الارتال

تقدم القعقاع بن عمرو الى حمص مسرعا ، غير ان القوات العراقية تقدمت بوقت مبكر فلما علم اهل الجزيرة بتحركات الأرتال انسحبت الى أماكنها وتمكنت القوات السورية بقيادة ابي عبيدة من طرد القوات الرومانية الباقية قبل وصول القعقاع بثلاثة ايام غير ان عمر بن الخطاب اشركهم في الغنائم وان لم يشتركوا في القتال فعلا لان النصر كان من نتيجة حركتهم وبهذا فشلت آخر محاولة للرومان في استعادة سورية وتكسر سهمهم الاخير على الصخرة العربية من دون ان يضرها وكان هذا من نتيجة فتح العراق اذ لو لم تكن القوات العراقية قد اكملت الفتح لما زال هذا الخطر بهذه السهولة .
أما عمرو بن مالك فقد تقدم الى هيت وحاصرها غير انهم كانوا متخندقين فتأخر فتحها فترك حامية تحاصرها بقيادة الحارث وتقدم هو الى قرقيسيا على الخابور ففتحها صلحا ونعتقد ان السبب الذى اجبر مالكا على التقدم الى قرقيسيا وجود قوات فيها قد تصل الى هيت وتؤثر على موقف القوات العربية الاخرى فلما انتهى من قرقيسيا كتب الى الحارث « واذا لم يجبك اهل هيت الى ما تريد ، فخندق خندقا على خندقهم واجعل ابوابه اليك حتى اخبرك ، غير ان المحاصرين اجابوا المطاليب ورجعوا الى بلادهم والتحق الحارث بعمر بن مالك . أما سهيل فتقدم الى الرقه فصالحه اهلها .

أما اهل نصيبين فقد اجابوا عبدالله بن عثمان الى الصلح كما صالح اهل الرقه وكذلك اجاب اهل رأس العين والرها وحران .

أما قبيلة تغلب القبيلة العربية الصعبة المراس فقد أصاخ ابناؤها الى الصلح غير انهم رفضوا الجزية فذهب وفد منهم الى عمر وتفاوض معه حول الجزية فجعلها على التغلبى كما تؤخذ الصدقات من المسلمين سوى اربعة الاف ايادى دخلوا بلاد الروم فكتب عمر الى هرقل « أما ان تخرج ايادا من بلادك ، والا سأرسل اليك جميع النصارى ، » فأخرجهم الرومان وعادوا الى البلاد العربية . وهكذا تم فتح الجزيرة وكان فتحها اسهل فتح شهده المسلمون حتى

ذلك الوقت فقال عمر فى جند العراق « جزى الله اهل الكوفة خيرا يكفون حوزتهم ويمدون اهل الامصار » •

تأسيس الكوفة

سبب تأسيسها

بعد ان انتهت المعارك مع القوات الفارسية فى العراق استقرت القوات العربية فى المواقع التى وصلت اليها ، وكانت القوات الرئيسية فى المدائن – مقر القيادة العامة فى العراق – غير ان مناخ المدائن لم يوافق العرب فتأثرت صحتهم ولهذا أمر عمر بن الخطاب سعدا بان يرسل سلمان الفارسى رائد الجيش في العراق وحذيفة ليرتادا لهم منزلا بريا بحريا ليس بينه وبينهم فيه بحر ولا جسر ، أما نحن فنرى ان سبب تأسيس الكوفة هو لتكون معسكرا دائما للقوات العربية فتكون قاعدة لحركات الجيوش العربية فهى قاعدة سوقية مهمة بدلا من الحيرة ولما كان هذا المعسكر سيكون دائميا فلا بد أن تلاحظ فيه الوجهة الصحية كما ورد فى الروايات •

اختيار المنطقة

فارسل سعد المنتدبين (سلمان وحذيفة) ليختارا منزلا فسار سلمان من الانبار متجها الى الجنوب معقبا الجهة الغربية من نهر الفرات ، وسار حذيفة فى شرق الفرات وهما ينظران المواقع فلما وصلا الكوفة اختاراها على غيرها من المواقع وعادا الى سعد بالخبر •

فسحب سعد القعقاع بن عمرو من خانقين وعبدالله بن المعتم من الموصل وامرهما ان يستخلفا على جندهما (يسلما الحاميات الى قائد اخر) •

وبعد وصول امراء الحاميات الى سعد اخبر الناس بالمنزل الجديد فى الكوفة وترك من اعجبه منهم المقام في المدائن كحامية فيها ورجع بالباقى من الناس الى الكوفة فنزلوها ، والكوفة كل رملة وحصباء مختلطتين ، ولم يمض وقت طويل حتى اصبحت الكوفة معسكرا كبيرا للجيش العربى المسلم يعمل

على مساعدة القوات العربية في المناطق المختلفة ويرسل القوات للفتح ومازالت كذلك حتى اصبحت مقر الدولة الاسلامية زمن الخليفة امير المؤمنين على بن ابى طالب (ض) •

تخطيط الكوفة

وقد تم تخطيط الكوفة على الوجه التالى :

١ ـ عينت منطقة المسجد ثم وقف رجل شديد النزع (يرمى بعيدا السهم فى القوس) فرمى فى جميع الاتجاهات بسهم وأمر سعد أن يبتنى فيما وراء مواقع السهام فى الاتجاهات المختلفة وقد حفر خندقا حوالى المسجد ليمنع التجاوز فى البناء الى منطقة المسجد •

٢ ـ جعل سعد عرض الازقة سبعة اذرع وجعل عرض الناهج (الطرق الفاصلة بين القبائل) اربعين ذراعا ، وجعل عرض الطرق التى بين القطائع ستين ذراعا (الا الذي لبني ضبة) •

٣ ـ كانت الطرقات (المناهج) تبتدىء من الجامع باعتباره مركز المدينة وتتجه الى الخارج فاسكن القبائل على المناهج وجعلها حدا بين مناطق سكنى القبائل فكان الاسكان كما يلى : ـ

اولا ـ فى ودعة الصحن (فى شماله) كانت خمسة مناهج نزل عليها القبائل التالية :ـ

١ ـ انزلت القبيلتان سليم وثقيف على المنهجين (١ ، ٢)
٢ ـ خصص المنهج الرقم (٣) لقبيلة همدان
٣ ـ خصص المنهج رقم (٤) لقبيلة بجيلة
٤ ـ خصص المنهج الرقم (٥) لقبيلتى تيم اللات وتغلب •

ثانيا ـ فى قبله الصحن (فى جنوبه) اشرت اربعة مناهج جرى اسكان القبائل عليها كما يلى :ـ

١ ـ خصص المنهج الرقم (٦) لبنى اسد

٢ ـ خصص المنهج الرقم (٧) بين بنى اسد والنخع
٣ ـ جعل المنهج الرقم (٨) بين النخع و كندة
٤ ـ كان المنهج الرقم (٩) بين النخع والازد .

ثالثا ـ اما المناهج التى فى شرق المسجد فقد خصصت كما يلى :ـ
١ ـ المنهج الرقم (١٠) خصص للانصار ومزينة
٢ ـ المنهج الرقم (١١) كان لتميم ومحارب
٣ ـ وكانت قبيلتى اسد وعامر على المنهج الرقم ١٢

رابعا ـ المناهج التى تقع غرب الصحن فقد كان توزيعها على القبائل كما فى ادناه :ـ
١ ـ منهج (١٣)ليجاله من غطفان وبجيلة
٢ ـ منهج (١٤) لقبيلة بجيلة والخليط (اللفيف)
٣ ـ منهج الرقم (١٥) لجهينة واخلاط (لفيف)

ويذكر ما سنيون [١٧] انه كانت هنالك سكك غير هذه الطرقات والمناهج عرض كل منها خمسين ذراعا كانت تنار ليلا بالمشاعل لاضائتها .

أما القبائل التي سكنت الكوفة فقد كان قسم كبير منها من سكان اليمن وحيث لم يكن الانتقال من المدائن الى الكوفة اجباريا بل كان اختياريا فقد بقى قسم كبير منهم كحامية عسكرية فى المدائن فكان تعداد من نزل الكوفة عشرين الفا منهم اثنى عشر الفا من اليمانيين وثمانية آلاف من المضريين ونعتقد انها الوجبة الاولى من الذين نزلوا الكوفة حيث جاء اليها فيما بعد كثير من الناس حتى ضاقت بهم المناطق التى خصصت لجماعات القبائل كما ان سعدا كان قد ترك كثيرا من الفراغات (ساحات خالية) للذين سيصلون الكوفة فيما بعد من الذين يرغبون السكنى فيها وقد جعل سعد منطقة اليمانيين شرق المسجد ، وهى خير من المناطق الاخرى .

---

(١٧) فى كتابه خطط الكوفة ، ترجمة تقى المصعبى كمبوه

كما سكن الكوفة اربعة آلاف او خمسة آلاف من الفرس الذين اسلموا والتحقوا بالجيش العربى فى القادسية وبعدها وقد كان العرب يسمونهم بالحمراء ولم يلبثوا حتى دعوهم بحمراء ديلم (نسبة الى رئيسهم ديلم) وقد فرض لهم سعد فى العطاء فكان عطاؤهم (١٠٠٠ر١٠٠٠ر١) درهم يعطى الى رئيسهم ديلم فيوزعه عليهم ، وكانت التدابير الادارية الجارية فى ذلك الوقت ان تعطي العطاءات الى رؤساء القبائل فى الكوفة وهم الذين يوزعونها الى اصحابها وهم فى بيوتهم •

طبقات اهل الكوفة

نزل الكوفة آل زراره الدارميون والفزاريون الشيبانيون ، والزبيديون من آل قيس ، كما سكنها سبعون رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى مقدمتهم عمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود كما سكنها الفرس المسلمون الذين حالفوا عبد قيس ، كما اصبحت العلاقات بين النبط الذين كانوا يسكنون هذه المنطقة والنصارى المنتشرون فى الديارات حولها ايضا •

واذا تتبعنا عادات القوم واعمالهم وافكارهم نجد ان معظم النازلين فى الكوفة من العرب الذين يعتزون بانفسهم وعاداتهم كما انها جماعة ليس همها الا الخدمة العامة ضاربة عرض الحائط كل شيء آخر •

فالذين جاؤا من اليمن كانوا قد ورثوا عن اجدادهم مجدا عزيزا ولهم عزتهم وصناعتهم وهم قوم يحسنون التعامل التجارى ، واما بنى شيبان فقد كانت لهم عزة عربية من القدم حتى قيل فيهم « اذا كنت فى ربيعة فكاثر بشيبان ، وفاخر بشيبان ، وحارب بشيبان » • ولما كانت الطبقة التى سكنت الكوفة من جميع العرب والمسلمين الغالبة هى الطبقة العسكرية التى تعتز بكيانها لانها الطبقة التى دوخت الفرس واخذت البلاد منهم عنوة وهي الجماعات التى اخذت على نفسها ان تجاهد فى سبيل الله لذلك تركت ما دون اعمال الجهاد فاطال ذلك عهد البداوة فى الكوفة اكثر من البصرة التى وجد المغلويون

فيها نوعا من الاستقرار فذهبوا اليها كما نتج عن ذلك ان تولدت في الكوفة طبقة علية في القوم هي الطبقة التي لم تجد ما يشفي غليلها والمحافظة على عاداتها وتقاليدها ومثلها التي يتغنى بها العرب في الجزيرة سوى الجهاد فنتج عن ذلك تباعد بين اقسام الناس فسبب وجود الطبقة العلية كما ذكرنا فكان لها الرأي النافذ في جميع الاعمال • فسبب ذلك صعوبة ادارة الكوفة واسلوب حكمها ، فالعصبية القبلية التي اراد الاسلام القضاء عليها لم تلبث ان برزت في الكوفة مجددة عهدا قديما لها ولو لم يكن الاسلام جامع بينها لحدثت فيها أمور صعبة على الدولة والولاة ، غير ان ما خفف خطر هذه النعرة ان الامور كانت بيد الطبقة العسكرية التي اعتبرت الجهاد في سبيل الله هدفا لها ، وان خدمة الامة عن طريق مجاهدة العدو الرابض على الحدود العربية ، فلهذا لم يكن للعصبية القبلية في الكوفة تأثير كبير في الدولة سوى التأثير في ادارتها في صدر الدولة الاسلامية ، واذا تتبعنا اسلوب الاسكان الذي اتبع في الكوفة والبصرة (سواء في تخطيطها او في اسكان القبائل فيها) نجد ان الاسلوب الذي اتبع هو في غاية الدقة ومفيد جدا في اسلوب اسكان القبائل المتنقلة في بوادي العراق في مدن تؤسس لها بان تخصص للقبائل مناطق معينة وتخصص لها اراضي للزراعة والاشتغال •

مسح السواد وقسمته

ما ان استقر المقام بالعرب في العراق حتى راجع المسلمون عمر بن الخطاب طالبين منه ان يقسم السواد بينهم لانهم فتحوه بسيوفهم ، وكان عمر يجلس الى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم في موضوع السواد فقال له علي بن ابي طالب « دعهم يكونوا مادة للمسلمين » فعمل برايه وترك السواد ، وكان قد امر باحصاء السواد فظهر ان لكل منهم يصيبه ثلاثة من الفلاحين فكتب سعد بن ابي وقاص « اما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه أن الناس سألوك ان تقسم بينهم ما افاء الله عليهم فاذا اتاك كتابي فانظر ما اجلب

عليه العسكر بخيلهم وركابهم من مال او كراع فاقسمه بينهم بعد الخمس وأترك الارض والانهار لعمالها ليكون ذلك في اعطيات المسلمين فانك أن قسمتها بين من حضر لم يكن لمن يبقى من بعدهم شيء » . وقد كان الخليفة قد اعطى لبجيلة ربع السواد عند توجههم الى الحرب في العراق فاخذوا الربع لمدة ثلاث سنين فلما وفد جرير مع عمار بن ياسر على الخليفة قال لجرير « لولا انني قاسم مسؤل لكنتم على ما جعلت لكم واني ارى الناس قد كثروا فردوا ذلك عليهم » . ففعل وفعلوا .

فقالت امرأة من بجيلة تدعى ام كرز « ان ابى هلك وسهمه ثابت في السواد واني لن اسلم » فقال لها عمر يا ام كرز ان قومك قد اجابوا « فقالت له ما انا بمسلمة » او تحملني على ناقة ذلول عليها قطيفة حمراء وتملأ يدى ذهبا » ففعل عمر ذلك .

ومن حادث أم كرز ووفود عمار وجرير على عمر بن الخطاب وطلبه الى جرير برد حصتهم من ربع السواد الى المسلمين يظهر لنا جليا ان اختلافا حدث بين بجيلة التي استغلت ربع السواد لثلاثة سنين ولهذا راجعوا الخليفة فاسترجعهم إياه فارجعوه الى عامة المسلمين، كما يظهر من اكرام ام كرز ان السواد حق للمقاتلين فاسترضاء عمر لام كرز وهو الشديد في الحق دليل على ذلك ، كما يشير على ان المجاهدين قد تنازلوا عنه لفائدة الامة وحقوقهم محفوظة فيه أن جرى عليه التقسيم ، ولهذا السبب فارض السواد لا تباع ولا تشترى لا لكونها فتحت عنوة ، ولكن لانها حق للمجاهدين الاول من الذين تنازلوا عن حقهم للمجموع لا للافراد

وبتدبير الصحابة هذا التدبير واقرار عمر هذا حفظ الصحابة السواد لمن في اصلاب الرجال وارحام النساء فجعل اهل السواد المجوس ذمة تؤخذ منهم الجزية وفي ارضهم الخراج فهم ليسوا ارقاء اذ ان عبدالرحمن بن عوف شهد انه سمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « سنوا بهم سنة

اهل الكتاب » وقد قال الخليفة عمر لمن الح عليه بقسمة السواد « فما لمن جاء بعدكم "، واضاف " واخاف ان قسمته ان تتفاسدوا بينكم على المياه » •

واننا نعتقد ان المراد بالسواد الذى اصبح للمسلمين هو ملك الاكاسرة ومن يمت لهم والارض التى بلا مالك لها بين دجلة والفرات وشرقى دجلة حتى خانقين •

غزو فارس من البحرين

كانت منافسة بين العلاء الحضرمي وبين سعد بن ابى وقاص وكان كل منهما يسعى لعمل شيء للعرب خير من عمل الاخر وكان العلاء يفخر على سعد بانه تمكن من القضاء على المرتدين في البحرين اذ حاز فضلا عليه في ذلك، فلما تمكن سعد من الانتصار فى القادسية وفتح العراق حتى حلوان وكان بعمله قد فضل عمل العلاء اراد هذا ان يقوم بعمل يفضل به سعدا او يساويه فجمع جندا من منطقته وارسله الى فارس لفتحها من البحر فى السفن ، وهذا كان بخلاف فكرة الخليفة عمر الذى كان لا يرى العرب قادرين على القيام بمثل هذا العمل فى ذلك الوقت ، كما كان لا يريد ان يثير العرب الفرس ويندفعوا اكثر مما اندفعوا فى فارس فى ذلك الوقت على الاقل لان البلاد بحاجة الى التنظيم قبل التوسع فى الفتح حتى قال " وددت أن بيننا وبين فارس جبل من نار لا نصل اليهم ولا يصلون الينا " ونعتقد ان ذلك بالنسبة للظروف المحيطة بالدولة غير ان العلاء ارسل الجيش بقيادة خليد المنذر والجارود بن المعلى وسوار بن همام من غير اذن من احد او علمه فخالف خطة الخلافة •

عبر الجند البحر بالسفن وهي اول مرة يركب بها العرب البحر فى زمن الاسلام فنزلوا ارض اصطر (١٨) وكان الفرس قد علموا بذلك كما يظهر حيث انهم احاطوا الجيش العربى ومنعوهم من السفن التى نقلتهم فخطب خليد فى الجيش قائلا «أما بعد فان القوم لم يدعوكم لمحاربتهم وانما جئتم لمحاربتهم ،

---

(١٨) راجع الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ٣٧

والسفن والارض لمن غلب ، فاستيعنوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين » • فاجابوه الى ذلك ، وبعد صلاة الظهر اشتبك الجيشان بقتـــال شديد انتصر فيه العرب في موقع طاوس قتل فيه الجارود وسوار •

فلما وصل الخبر الى عمر بن الخطاب بالحملة أمر عتبة بن غزوان أن ينجدهم بقوة كبيرة قبل أن يحصرهم الفرس ويقضوا عليهم فارسل عتبـــة جيشا قوامه (١٢٫٠٠٠) مقاتل بقيادة ابى سبرة بن ابى رهم احد بنى عامــر بن لؤى وفى القوة عاصم بن عمرو وهرثمة بن عرفجة ، فسار الجيش عـــلى البغال يجنبون الخيل لتستريح (١٩) أما خليد فبعد الانتصار فى موضع طاوس اراد أن يساحل حتى يصل البصرة ، غير ان الفرس اخذوا عليه الطـــريق فحصروه الامر الذى اضطره على التعسكر واجتناب الاشتباك ، فصدقت نبؤة عمر بن الخطاب • وقد جمع الفرس قوات كبيرة لمساعدة اهل اصطخر فوصلت هذه القوات اليهم فى الوقت الذى وصل به المدد العربي الى خليد حيث لـــم يعترض تقدم الجيش العربى احد من اهل فارس فيظهر انهم ارسلوا قواتهـــم باتجاه خليد ، فاشتبك الجيشان بالقتال وتمكن سبرة من تشتيت الفرس فعادوا مسرعين الى البصرة ، لان عتبة كتب اليهم بالحث وقلت العرجة اى عدم التوغل فى فارس خشية أن تغرهم نشوة النصر فيتوغلوا فيسببوا مشاكل للدولة العربية قد تكون غير قادرة على انقاذهم منها •

اما العلاء فقد وضعه عمر بأمرة سعد لعمله هذا وكان هذا العمل ابغض شيء اليه حيث يكون بامرة منافسه ،

وهكذا تمكنت قوات العراق فى البصرة من انجاد الجيش العـــربى فى فارس كما تمكنت قوات الكوفة من انجاد قوات الشام ، فكان فتح العراق خيرا على العرب والمسلمين •

(ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم •• قرآن كريم)

---

(١٩) كان العرب يجنبون الخيل فى اثناء التنقل ولا يركبونها الى القتال

تحقيق موقع القادسية

١ ـ المعلومات الواردة في المراجع التاريخية والجغرافية

قادس ـ لغة السفينة العظيمة او هى السفينة الكبيرة .

القوادس ـ قوادس بمعنى البيت الحرام .

القادسية ـ مدينة صغيرة على جادة الحاج وهى على حافة البادية وليس بعدها ماء ولا شجر (مسالك الممالك ـ الاصطخرى صحيفة ٧٩ ـ طبع ليدن)

القادسية ـ مدينة على شفير البادية صغيرة ذات نخيل ومياه ، ويزرع بها الرطاب * الكثيرة ويتخذ منه القت علفا لجمال الحاج وغيرها ، وليس بعدها من ناحية البادية وجزيرة العرب ماء يجرى ولا شجر (صورة الارض ـ ابن حوقل ـ ليدن ـ الطبعة الثانية ص ٢٤٠)

القادسية ـ مدينة على سيف البادية ، تعمر ايام الحاج ويحمل اليها كل خير ، لها بابان وحصن طين ، وقد شق لهم نهر من الفرات ، الى حوض على باب بغداد وثم عيون عذيبية ، وماء آخر يجرونه عند باب البادية ايام الحاج وهى سوق واحد الجامع فيه (احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ـ المقدسى ـ ليدن الطبعة الثانية سنة ١٩٠٦ م) .

القادسية ـ اول المنزل من الكوفة الى المدينة (كتاب البلدان ـ اليعقوبى ـ طبع النجف ـ ص٧٦) .

موضع القادسية ـ ..... وعرض الكوفة اثنان وثلاثون درجة وبينها وبين القادسية اربعة عشر ميلا وعرض القادسية اثنتاو وثلاثون درجة ايضا وبينها وبين المغيثة ست وثلاثون ميلا (صفة جزيرة العرب ـ الهمداني ص ١٨٣ طبع مصر سنة ١٩٥٣) .

كتب عمر بن الخطاب الى سعد بن ابى وقاص ـ .... والقادسية باب فارس فى الجاهلية وهى اجمع تلك الابواب لمادتهم ولما يريدونه من الآصل

(*) الرطبه القصقصه جمع رطاب نبت يكثر فى المنطقة (المنجد الطبعة الخامسة ص ٢٦٨)

وهي منزل رغيب خصيب حصين دونه قناطر وجسور وانهار ممتنعة ، فتكون مسالحك على انقابهم ...... (الطبري ج ٤ ص ٨٩) .

كتاب سعد بن ابي وقاص الى عمر بن الخطاب (ض) ... والقادسية بين الخندق والعتيق ، وان ما عن يسار القادسية بحر اخضر في جوف لاح الى الحيرة بين طريقين ، فأما احدهما فعلى الظهر واما الآخر فعلى شاطيء نهر يدعى الحضوض يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة ، وان ما عن يمين القادسية الى الولجة فيض من فيوض مياههم (الطبري ج ٤ ص ٩٠)

ووضع سعد بالعذيب خيلا تحوط الحريم وانظم اليها حاطة كل حريم وأمر عليهم غالب بن عبدالله الليثي ، ونزل سعد القادسية ونزل بقديس ، ونزل زهرة بحيال قنطرة العتيق في موضع القادسية اليوم .... (الطبري ج ٤ ص ٩١) .

ظيزن آباد (ظيزن اباد) حصن بين الكوفة والقادسية بينها وبين القادسية ميل واحده (معجم البلدان ـ ياقوت) العذيب ـ تصغير العذب وهو الماء الطيب ... ماء بين القادسية والمغيثة بينه وبين القادسية اربعة اميال والى المغيثة اثنان وثلاثون ميلا ... وهو منازل حاج الكوفة وقيل حد السواد (معجم البلدان ـ ياقوت)

قال عبدالله السكوني ـ العذيب يخرج من قادسية الكوفة اليه وكانت مسلحة للفرس ، بينها وبين القادسية حائطان متصلان بينهما نخل وهي ستة اميال فاذا خرجت منه دخلت في البادية ثم المغيثة (معجم البلدان ـ ياقوت)

خريبة ـ ماء قرب القادسية نزلها بعض جيوش سعد ايام القوادس(معجم البلدان ـ ياقوت)

عين شمس ـ ماء بين العذيب والقادسية له ذكر ايام الفتوح (معجم البلدان ـ ياقوت)

مشرق ـ بضم الميم وفتح الشين وتشديد الراء وكسرها ـ واد بين العذيب وعين شمس في عدويته الدنيا منها الى العذيب والقصوى منها من العذيب ومن

غين شمس ، دفن فيها شهداء ما قبل ليلة الهرير ودفن شهداء ليلة الهرير ويوم القادسية حول قديس من وراء العتيق وكانوا الفين وخمسمائة حيال مشـرق (معجم البلداو ـ ياقوت)

٢ ـ زيارة المنطقة

لما كنت قد عزمت على اصدار كتاب (فتح العراق الاسلامى) وبما ان معركة القادسية هى المعركة الفاصلة فى هذا الفتح كأختها معركة اليرموك التى كانت فاصلة فى فتح الشام [١] لذلك زرت ساحة المعركة التي يحدها نهـر الفرات شرقا ومرتفعات النجف شمالا والرحبة الحالية جنوبا ويحدها خـط التلول الممتدة الى البادية غربا بقصد الاطلاع على المواقع التاريخية والعوارض الارضية ورسم خريطة صحيحة للمنطقة لكى يتمكن القارىء من تصـور حوادث القتال بسهولة •

ولما كان الوقت الذى يتيسر لى قصير جدا اذ انه يكون بين فترات اعمالى فى ايام العطل وايام الجمع وعندما لا اكون منشغلا بأمور بيتى وعائلتى ، لذلك اضطررت الى زيارة المنطقة عدة مرات مستهدفا فى كل مرة استطلاع المنطقة لغاية معينة •

وبالرغم من أن عوامل التعرية والفيضانات (التى كانت تحدث دائمـا فتغمر هذه المنطقة بعد غزو المغول.واثناء الحكم العثمانى الذى اهملها) قد غيرت معالم الارض كثيرا ، فقد تمكنت من تعيين بعض المواقع تحقيقا وبعضها تخمينا لاقرب ما يكون الى الصحة بالنسبة لما تيسر لى من المعلومات •

اولا ـ الزيارة الاولى ـ

خرجت من النجف بدون دليل الى الرحبة حاليا ومنها الى الدسم فالحيرة (الجعارة سابقا) ثم الى ابي صخير ، وكنت اقف على المرتفعات فى المواقع الحالية بقصد الاطلاع على حالة الارض العامة لتكوين فكرة عامة لى عن المرتفعـات

---

(١) راجع كتاب القائد الخالد ـ للمؤلف طبع الان لسنة ١٩٥٥

والمنخفضات في هذه المنطقة لكي يسهل علي دراستها فيما بعد • فوجدت أن المنطقة التي تقع في جنوب مرتفعات النجف تنخفض تدريجيا نحو الجنوب ثم تبدأ مرتفعات (سلسلة تلول) ممتدة من الشرق الي الغرب تقريبا بصورة عامة يفصل بين مجموعاتها منخفضات تدل على انها كانت مجاري انهار في سالف الزمن •

ومن بعدهذه التلول تبدأ الارض في الارتفاع ثانية وفيها بعض المنخفضات التي تدل على انها وديان تجري فيها مياه الامطار ، وتستمر الارض في الارتفاع حتى تكون هضبة غير مرتفعة كثيرا بين شعب وادي (حسب) الذي يبعد مسافة من ٥-٦ كيلو مترات عن الرحبة • وارض هذه المنطقة (من النجف حتى الرحبة) طينية على العموم ، غير ان فيها مناطق يستخرج منها الصخور بعد ازالة القشرة الترابية التي لا يزيد سمكها على قدمين في اغلب الحالات • كما تكثر عيون الماء التي يعتمد عليها في الزراعة في هذه المناطق •

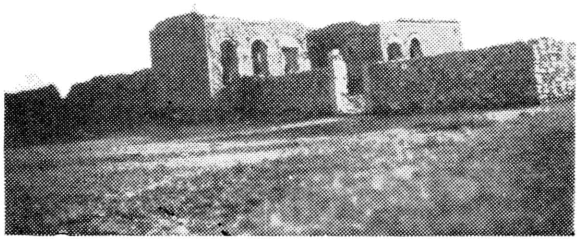
ثانيا ـ الزيارة الثانية

خرجت من النجف مع الدليل الحاج خضير عباس والاستاذ اسعد الدوري والرئيس فايق خطاب الى قصر الخورنق الواقع على حافة المرتفع (مرتفعات النجف) الكائن شمال منطقة القادسية ويبعد عن النجف حوالي عشرة اميال ومنه ذهبنا الى ابي صخير فالحيرة الحالية (الجعارة سابقا) ثم الى الصنين ثم رجعنا الى الحيرة ومنها سرنا الى قرية الدسم على سدة ترابية بنيت لمنع مياه الفيضان من غمر المنطقة ثم الى أمام بن الحسن وهي بناية صغيرة على تل صغير وبقربه عين ماء غير عذبة ومن ثم اتجهنا الى الرحبة وبعد ان قطعنا بعض فروع وادي « حسب » مررنا بتل واسع نسبيا ولا يزيد ارتفاعه على ثلاثة أمتار فيه آثار حجارة وصخر يدل على انه كان بناء في السابق وبعد اربعة كيلومترات عنه وصلنا الرحبة ومن الرحبة سرنا الى عين السيد بقرب الرحبة والكائنة في غربها والى الجنوب قليلا • وللرحبة عين ماء دائمة الجريان وهي بناء مرتفع

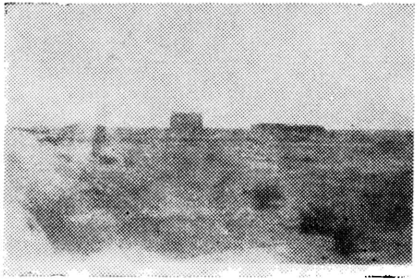
بناها السيد محمود من اهالى النجف قبل سبعة اظهر كما اخبرني سكان الرحبة بذلك ولذا يكون تاريخها بين ٣٠٠ الى ٣٥٠ سنة ، فدخلت في داخلها واذا هي على شكل قلعة يحتمي بها فلاحو الارض الذين يشتغلون لدى السيد محمود عند مهاجمة القبائل البدوية لهم زمان الحكم العثماني ، كما ان طراز البناء يدل على انه في عصر متأخر بالنسبة الى العصر الذى جرت فيه معركة القادسية • ومن الرحبة اتجهنا نحو الشمال الغربى فقطعت بنا السيارة وادى حسب على مسافة ستة كيلو مترات من الرحبة مارين بحافة الهضبة التي ذكرتها في الزيارة الاولى وسرنا شمالا الى موقع « خريبة » ثم اتجهنا باتجاه ابى صخير فمررنا بثلاثة مجموعات من التلال اخرها كان رمليا لم تتمكن السيارة من قطعه فسرنا باتجاه الشمال وكان يفصل التلال عن بعضها مجارى ماء واسعة تدل على انها كانت مجارى انهار سابقا ثم اتجهنا نحو النجف فوصلناها بعد ان قطعنا نهر البديرية الذى ينشأ حديثا •

ثالثا ـ الزيارة الثالثة

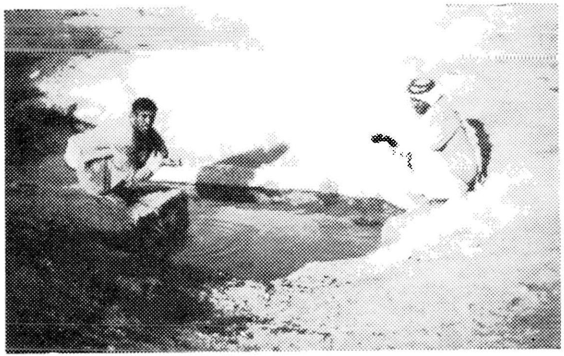
خرجت من النجف باتجاه الجنوب الى خريبة ، ومنها اتجهت شرقا الى موقع شجيج حاليا فوجدت فيه بناء حديثا مهجورا كأحد الابنية التى تبنى لحفظ المحاصيل الزراعية فيها (راجع الصورة الرقم ١) وعلى مقربة منه الى جهته الشمالية بقايا بناء طيني قديم (راجع الصورة الرقم ـ ٢ ـ) وعلى مقربة من البناء وعلى مسافة تقرب من كيلو متر واحد غرب البناء عين ماء جارية (راجع الصورة الرقم ـ ٣ ـ) وهى عين الماء الوحيدة التى تنبع من بين الصخور فى هذه المنطقة وقد كان الغرض من هذه الزيارة رؤية المرتفعات فى المنطقة من نقطة مركزية ومطابقة رأى المستشرق موسيل المنشور في كتابه الفرات الاوسط غير المترجم (The Middle Euphratis.) ورأى المستشرق ماسنيون فى كتابه (خطط الكوفة) الذى ترجمه الاخ تقى المصعبى ـ كنبوه ، وبعد دراسة المنطقة وتقليب الرأى على وجوهه المختلفة وجدت ان ..



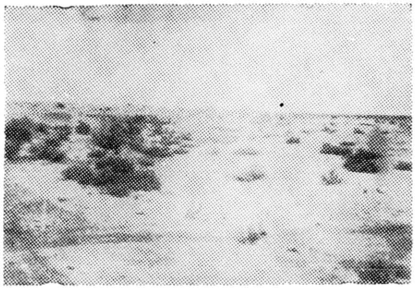
صورة رقم ١



صورة رقم ٢



صورة رقم ٣



صورة رقم ٤

١ـ ان ماسنيون قد عين طريق الحيره ـ الخورنق ـ الصنين ـ ظيزن اباد ـ فرات باد قلى ـ الرحبة فى خريطته المرفقة بكتابه خطط الكوفه (التي كانت بدون مقياس) طريقا للحاج الى مكة .

٢ ـ ان موسيل حدد فى خريطته المرفقة مع كتاب الفرات الاوسط The Middle Euphratis. أن القادسية تقع بين شعب وادى حسب على مقربة من الرحبة الحالية .

ولما كنت قد درست المنطقة من عدة وجوه مختلفة وجدت ان مسنيون كان اقرب الى الصواب من صاحبه موسيل فقد كان موفقا فى تعيين مدينة القادسية غير انه ذهب بها غربا اكثر من الواقع أما موسيل فقد ذهب بها جنوبا وهو موقع لا ينطبق على الارض والحوادث التي جرت اثناء القتال وبعده .

ان من يراجع المراجع التاريخية يجد ان سعد بن ابى وقاص قد نزل القادسية بقديس وارسل زهرة بحيال قنطرة العتيق ـ وقد جاء فى الطبرى ان زهرة نزل حيال قنطرة العتيق فى موضع القادسية اليوم ـ وهذا يدل على ان القادسية التى جاء ذكرها فى الكتب الجغرافية القديمة(٢) هى مدينة بنيت من قبل المسلمين قرب القنطرة ولما كان زهرة فى جناح الجيش العربى الايسر فى القتال فتكون القادسية هى مجموعة التلول المسماة (تل تنانير) حاليا وهى مجموعة من التلول يخترقها شارع واحد وينطبق وصفها على ما جاء فى المراجع الجغرافية القديمة (راجع الصورة الرقم ـ٤) وتقع هذه التلول شرق المنطقة التى عينها ماسنيون فى خريطة التى لا اعرف سبب عدم وضع مقياس لها (الخريطة المترجمة) والى جنوبها قليلا .

اما المنطقة التى عينها موسيل فهى برأينا المنطقة التى اخفى بها القعقاع بن عمرو قواته التى جاء بها من الشام وقدمها الى المعركة جماعات فى قتال اليوم الثالث لرفع معنويات العرب فى المعركة وانها منطقة مرتفعة يمكن ان يختفى بها

---

(٢) راجع المراجع المراجع التاريخية فى اول التحقيق

الفارس مع حصانه(٣) .

ولما كان القتال قد جرى في المنطقة المرتفعة من الارض وأن ماعن يمين المنطقه وما عن يسارها مناطق مغمورة بالمياه وان مقر سعد بن ابى وقاص كان في منطقة متوسطة للجيش العربى المقاتل فتكون منطقة شجيج الحالية هى منطقة مركز قيادة الجيش العربي ولهذا ففى رأينا ان البناء الطينى الموجود فى هذه المنطقة (صورة رقم ٢) هو قصر اقوادس الذى كان سعد يدير المعركة منه

وبما ان التقدم الى الحيرة قد جرى من هذه المنطقة وان التقدم جـــرى على الارض المرتفعة وان المنطقة المرتفعة متصلة بمنطقة شجيج ، لذا فيكون التقدم قد جرى باتجاه الخورنق ، ولا زال قرب الخورنق خرٌ فى الجرف يدل على انه كان طريقا قديما فى سالف انزمن . يدلنا على صحة الاتجاه الـــذى ذهبنا اليه ، ولما لم يرد اسم الصنيين عند تقدم القوات العربية اثناء مطاردةالقوات العربية للفرس فاننا نرجح عدم مرور ارتال المطاردة العربية فى الصنين .

وهنالك نقطة اخرى وهى ان القعقاع بن عمرو التميمى كان قد طارد الفرس بكتيبته باتجاه الحيرة الى الخرارة ولم تذكر المراجع التاريخية ان احدا من القادة العرب قد طاردالفرس مع القعقاع فتكونمطاردة القعقاع هذهمطاردة تعبوية لا سوقية وان المطاردة التعبوية يجب ان تكون ضمن مرحلة يوم واحد بابتعاد القطعة المطاردة مطاردة تعبوية ويجب ان تكون القطعة القائمة بالمطاردة بمسافة ضمن مرحلة يوم واحد بابتعادها عن الجيش لكى يتمكن القائد مـن نجدتها بسرعة عندما يريد العدو المنسحب ان ينقض عليها .

وبما ان القعقاع وصل بالمطاردة الى الخرارة وان هذا الموقع قرب الكوفة وعلى مسافة ثمانية كيلومترات عنها كما ثبت لى من استطلاعى المنطقة حيث لم اجد خرا (واديا) فى منطقة الكوفة غير واد واحد بين خان المصلى شمـــالا والسهلة جنوبا حيث ان المنطقة بين هذين الموقعين تنحدر من الشمال ومـن

---

(٣) راجع فتح العراق الاسلامى للمؤلف

الجنوب الى الوسط ومن الغرب الى الشرق فتكون خرا (واديا) يسيل فيه ماء المطر الى نهر الفرات فتكون الخرارة ضمن مرحلة يوم واحد عن المنطقة التي عيناها للقادسية واقترب منها ماسنيون فيكون المحل الذى ذكره موسيل بعيد جدا عن المنطقة المطلوبة والتي قاتل فيها الجيش العربى •

رابعا ــ الزيارة الرابعة للمنطقة

كان القصد من هذه الزيارة تثبيت طريق تقدم الجيش الفارسى الى منطقة القتال واخذ الصور للمناطق التى زرتها فى تجوالى السابق ، فقد خرجت من النجف مع الدليل الحاج خضير والسائق عبدالامير حسون بسيارته من النجف الى تلول الحيرة القديمة (قصور الحيرة) وبعد ان قطعنا بالسيارة ثمانية كيلومترات وصلنا الى تل (كنيدره) ــ راجع الصورة رقم ٥ ــ والحيرة تبعد ستة أميال عربية[٤] عن الكوفة ، ثم تركناها الى ابى صخير الحالية ومنها الى مركز ناحية الحيرة الحالية (الجعارة سابقا) فوصلنا مركز الشرطة بعد قطع مسافة خمسة عشرة كيلو مترا ثم سرنا الى الصنين الذى وصلناه بعد قطع تسعة كيلومترات بطريق ملتوى بين النخيل ثم تركناه الى اتجاه منطقة التلول المرتفعة فى المنطقة فعقبنا حافة نهر البديرية الشرقية ثم عبرناه من محل متروك فيه للعبور الى الجهة الغربية منه حتى وصلنا الى منطقة التلول وهى تلول رملية ونعتقد انها كانت الحافة الشمالية لنهر العتيق الذى تركه رستم وراء جيشه عند اشتباك الجيش بالقتال ضد العرب ، فرأيت بيوت الاهلين الساكنين فى هذه المنطقة التى لاتغمرها مياه الفيضان شمال التلول • ولم نتمكن من قطع التلول عموديا لعدم وجود منطقة تتمكن السيارة من قطعها (حيث جربنا ذلك فغرزت عجلات السيارة فى الرمل وتمكنا من اخراجها بمساعدة جماعة مرت بطريقها الى الفيصلية ، وبعد ان انفرط احد لوالب السيارة الامر الذى اخرنا كثيرا حيث اشتغلت مع السائق باصلاحه) لذلك اضطررنا الى العودة الى نهر البديرية الى

(٤) الميل العربى ــ يساوى ٢٠٠٠ متر •

الطريق العام ومنه الى الخربة التى وصلناها بعد قطع اربعة كيلو مترات من وصولنا الى الطريق العام • فسرنا الى غربها نحو تل مشرق غير مفرط بالعلو ولا يزيد ارتفاعه عن مترين فتجولت فيه لعلى اجد فيه ما يدل على ساحةالقتال وكان حدث لى شك فى جولانى السابقة بانه التل الذى دفن عليه شهداء القادسية العرب ، وبعد التدقيق وجدت بعض المستطيلات من الحصى والصخور التى تشير الى انها تحديد مقصود فهى تشبه التحديد الذى يجريه الناس حول القبور وهى كثيرة ، كما وجدت ان بعض الصخور قد غرزت عمدا وان عوامل التعرية قد اثرت فيها كثيرا ، فحفرت على بعضها فوجدت انها تشبه الصخور التى توضع عند طريق القبر (عند الرأس والرجل للقبر) وقد حفرت التربة فوجدت انها تشبه لون تربة المقابر ، كما ان رائحتها تشبه رائحةالكمأة المتعفنة •

وبما ان شهداء المعارك التى جرت قبل يوم القادسية قد دفنوا على مشرق فقد ذهب ظنى الى انه هذا التل الذى عليه هذه العلامات فأخذت صورة لها • راجع الصورة الرقم ٦ ، ٧ ، ٨ – •

كما وجدت جنوب التل وعلى حافته الجنوبية منخفضا ينحدر من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى فذهب ظنى الى انه الخندق‌الذى كان خلف العرب فى القتال ، غير ان مجراه قد درس ولم يبق ما يدل عليه سوى حافة التل الجنوبية •

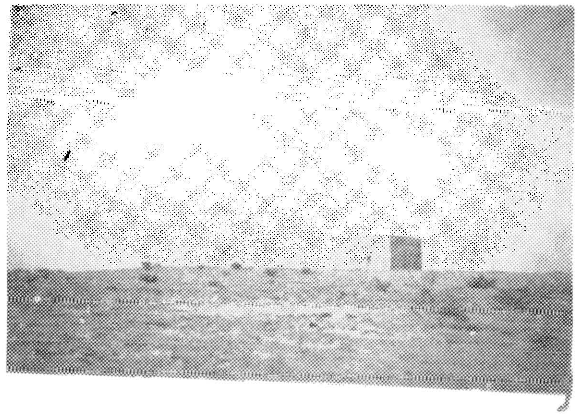
ونعتقد ان الصخور التى احيطت بها القبور لم تكن لتخلد قبور الشهداء انما كان القصد منها تعليم القبور لكى لا يدفن الشهداء بعضهم فوق بعض،وان ما يشجعنى على اعتبار هذه الاشارات انها لقبور الشهداء هو ان جميع الموتى يدفنون فى مقابر مدينة النجف منذ امد بعيد ولم يذكر الاهلون ان احدا ذكر لهم بان قتيلا او ميتا دفن خارج النجف وهو فى هذه المنطقة انما كان الجميع يدفنون فى مقابر النجف ، على ان قدم الصخور وتأكلها يشجعنا الى ان نجزم



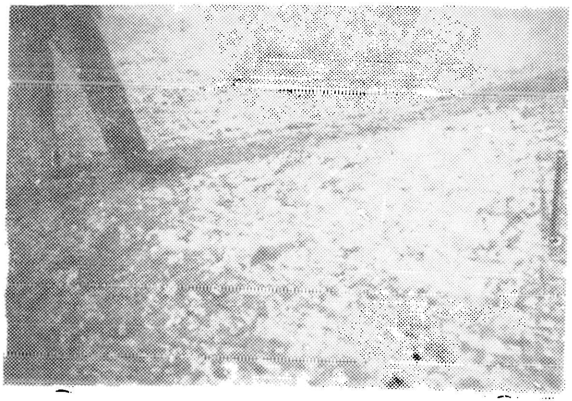
صورة رقم ٥



صورة رقم ٧



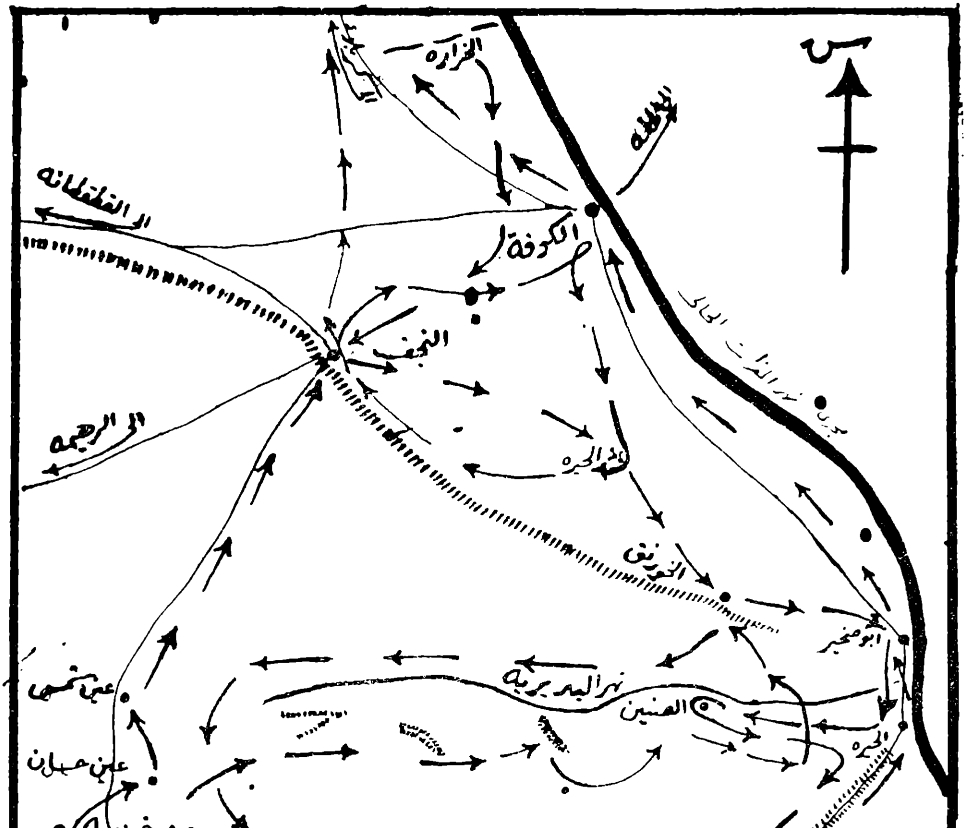
صورة رقم ٦



صورة رقم ٨

بذلك • هذا بالاضافة الى ان العرب كانوا يدفنون الشهيد فى مكانه ولا ينقلوه الى مكان اخر ، كما ان المصادر التاريخية التى بين ايدينا تثبت هـــذا الذى نعتقده •

٣ ـ ولزيادة الفائدة فقد رسمت خريطتين للمنطقة وهما الخريطتـــين المرفقتين بالبحث ، وتدل الاولى منهما الى المنطقة وهي بالاسماء الحالية للمواقع والثانية باسماء المواقع التاريخية حسب المراجع الجغرافية والتاريخية المتيسرة وجعلتهما بمقياس واحد لسهولة التعرف على المنطقة •



خريطة رقم (١٠)

جولتي في منطقة القادسية الاخيرة